ولم يحبوا حياتهم ...

ريتشارد وميراند

ولم يحبوا حياتهم...

أكثر من ثمانين قصه مؤثرة ومتحدية للإيمان من قصص المنتصرين

بقلم القس ريتشارد ومبراند

«جيد جداً أن نرى المسيح في حياة قديسيه»

ريتشارد ومبراند

In the Face of Surrender

Arabic/English Edition

Copyright 2015 Voice Media

info@VM1.global
Web home: www.VM1.global

All rights reserved. No part of the publication may be reproduced, distributed or transmitted in any form or by any means, including photocopying, recording, or other electronic, or mechanical methods, without the prior written permission of the publisher, except in the case of brief quotations embodied in critical reviews and certain other noncommercial uses permitted by copyright law. For permission requests, email the publisher, addressed "Attention: Permission Coordinator," at the address above.

This publication **may not be sold, and is for free distribution** only.

محتويات الكتاب

صفحة

١	المقدمة	٥
٢	في مواجهة التسليم	٧
٣	الباب الأول: ليس حب أعظم من هذا	١٣
٤	الباب الثاني: قوة الحب الغالبة	٢١
٥	الباب الثالث: النهوض	٢٧
٦	الباب الرابع: رحلات نحو المجد	٣٩
٧	الباب الخامس: أساليب من التعذيب	٥٧
٨	الباب السادس: الندم بعد السقوط	٦٧
٩	الباب السابع: أراضي مرتفعة	٧٩
١٠	الباب الثامن: أبناء الأمناء	١٣٣
١١	الباب التاسع: الصين وبلاد أخرى	١٤٣
١٢	الباب العاشر: شبكة الانجيل	١٦١
١٣	الباب الحادي عشر: رسائل من الشهداء	١٧٥
١٤	الباب الثاني عشر: إرساليات للشهداء	١٨٩

في مواجهة التسليم

«جيد جداً أن نرى المسيح في حياة قديسيه»

ريتشارد ومبراند

لن تجد قديسين كاملين فى هذا الكتاب، لكنك ستجد أناس مثلك ومثلي في كثير من النواحى. هذه قصص حقيقية لأناس عاديين بعضهم خطاة وبعضهم قديسين. وفى أغلب الأحيان هم خائفين ولكنهم قد أظهروا شجاعة عظيمة جداً. بعضهم فشلوا وبعضهم انتصروا...في مواجهة التسليم

ليس من هو أقدر من القس ريتشارد ومبراند ليحكى هذه القصص المتحدية للإيمان والتي تلمس القلوب. سُجن القس ريتشارد لمدة أربعة عشر عاماً في رومانيا، كما أن زوجته أيضاً قد سجنت لمدة ثلاثة سنوات. هل يمكن إن نكون مثل أولئك الرجال والنساء الذين دعاهم الكتاب المقدس أعظم من منتصرين؟. لقد عرفت بنفسي رجالاً على حافة الموت يقدمون الدواء الذي كان من الممكن أن ينقذ حياتهم لسجين أخر مريض. رأيت رجالاً يتضورون جوعاً ولكنهم يقدمون آخر تكسرت خبز معهم لآخر. لقد رأيت الفرح في وجوههم وسمعتهم يترنمون، كانت وجوههم تشع كضوء الشمس. بينما تقرأ هذا الكتاب سترى حب الرب يسوع وقوته من خلال حياة أناس عاديين فى هذه القصص البسيطة. بمجرد أن ترى ما جعله الرب يسوع ممكناً بالنسبة لهم ستتيقن بنفسك أنه يستطيع أن يجعل كل شيء ممكناً بالنسبة لك أيضاً. سوف تشتهي أن تحب الرب يسوع وتخدمه بقوة أعظم بينما تختبر عمق حبه بتكريس نادراً ما نراه في العالم الحر. ريتشارد ومبراند هو مؤسس هيئة

«صوت الشهداء» قام القس ويمبراند وزوجته سابينا – لمدة ثلاثين عاماً – بتشجيع القديسين المضطهدين في كل أنحاء العالم. إن توجهاته المملوءة شجاعة ضد الفظائع التي ارتكبت في حق شعب الله، قد شجعت الآلاف وأثرت فيهم. انه محبوب للغاية ومعروف على مستوى العالم من خلال كتابه الأكثر مبيعاً: **العذاب الأحمر**.

المقدمة

هدف هذا الكتاب هو إن تقديم عدد من قصص الغالبين رجالاً ونساءً. هؤلاء لم يحتملوا فقط شدائد وآلام، ولكنهم استخدموا العوائق ليصعدوا إلى مرتفعات روحية عالية وعظيمة جداً. حينما دخل الرب يسوع أورشليم راكباً على جحش ابن أتان هتفت الجموع قائلة «**أوصانا في الأعالى**» (مر١١: ١٠) إن كلمة أوصانا هي دمج لكلمتين في العبرية: «هوشع» التي تعنى يخلص «ونا» التي تعنى من فضلك. لذا فعبارة «أوصانا في الأعالى» تعنى: أرجوك خلصنا إلى أبعد حد أو خلصنا في المرتفعات. يمكنني أن أخلص يتيم جائع من جوعه وذلك بأن أعطيه بعض النقود لمساعدته كذلك يمكنني أن أخلصه أو أنقذه بصورة أفضل إذا ما شاركت بصورة منتظمة فى تسديد احتياجاته الجسدية، ولكنى أكون قد خلصته إلى أبعد حد إذا ما تبنيته وجعلته وارثاً لكل ما أملكه. يطلب الناس من الرب يسوع وينالون أنواع مختلفة من الخلاص: البعض منهم يطلب الخلاص من المرض والبعض من مشاكل حالية والبعض من خطاياهم والبعض من الموت ولكنه يستطيع أن يقدم خلاصاً أبعد وأعلى وأسمى من كل هذا – أنه يستطيع أن يخلصنا من أن نكون مجرد بشر، أنه يستطيع أن يقدم لنا أكثر جداً من أي أمر يمكننا أن نجرؤ أن نفكر فيه أو نطلبه، أنه يقدم لنا امتياز أن نجلس يوماً ما معه ومع أبيه في عرشه؛ ذلك العرش الذي من لدنه تخلق وتحكم أكوان، أنظر (رؤيا ٣ : ٢١). ان أولئك المدعوين لهذه المرتفعات يحلقون الآن أعلى من النساء والرجال العاديين حتى وإن كان منظرهم الخارجي يوحى بأنهم مزدرى ومداسين بالأقدام. كنت فى السجن مع أناس عظماء. القس فرنسيس فيشكي (Francis Vishky) وهو قائد لمنظمة السعي المسيحي فى رومانيا. حكم عليه بالسجن لمدة أثنتى وعشرون عاماً وذلك بسبب عظات ألقاها، لم ترضى الشيوعيين. تم ترحيل زوجته وأولاده السبعة إلى مكان صحراوي حيث كان

من الصعب عليهم أن يحصلوا على خبز وماء، ولكن الهدوء السماوي الذي كان يصاحبهم فى هذه المواقف العصيبة كان جد يثير العجب. لقد كان هدوءً لا يمكن أن يأتي إلا من عرش السماء. أود أن أخبركم عما حدث فى اللحظات التى تم اعتقاله فيها. فى هذا الصباح بالذات كانت العائلة بأكملها مجتمعة على وجبة الإفطار، وكانوا يقرأون (مزمور ٢٣ : ٤، ٥) «**إذا سرت فى وادى ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معى عصاك وعكازك هما يعزيانني ترتب قدامى مائدة تجاه مضايقى مسحت بالدهن رأسى كأسى ريا**». وبدون طرق أو استئذان اقتحم ثلاثة ضباط من البوليس السرى المنزل وقالوا أنهم يجرون تفتيشاً عادياً دون أن يقدموا أى شرح أو توضيح آخر، ولكن الجميع كانوا يعلمون أنه بعد التفتيش سوف يُؤخذ والدهم إلى السجن. استمرت العائلة تأكل فى صمت وقد أثار هذا دهشة البوليس أنه كانت لديهم شهيه للطعام وإنهم ظلوا هادئين. قال القس فيشكي فى وقت لاحق أنهم قد فهموا هذا المزمور بصورة أعمق وهم تحت هذه الظروف الصعبة، واستوعبوه أكثر من ذى قبل. **الله لم يقدم وعوداً لأولاده أنهم لن يسيروا فى وادى ظل الموت، ولكنهم فى وسط هذا الوادى لن يخافوا شراً، فهو يقدم مائدة ويجهزها لنا فى حضور أعدائنا وعلى هذه المائدة لن نجد دائماً ما نشتهيه، قد يقدم لنا معاناة وتجارب وترحيل وسجن وحتى الموت بصورة عنيفة، ولكن الوادى الذى نسير فيه يدعى وادى ظل الموت وليس وادى الموت**. إن ظل كلب لا يستطيع أن يعض وكذلك ظل الموت لا يستطيع أن يقتل، وقد أضاف فيشكى أن «اليهود فى القديم كانت الوصية لهم أن يأكلوا الفصح بالكامل: رجليه ورأسه وأحشاؤه، ولابد أن هذه الأحشاء لم تكن شهية للأكل، أيضاً ولم يكن هناك الكثير من اللحم فى الرجلين. لابد أن نقبل الرب يسوع بكامله وليس فقط ما هو مسرٌ بالنسبة لنا، ولكن إكليل الشوك الخاص به أيضاً». لقد احتفظ فيشكى وهو فى السجن بنفس الهدوء ونفس التسليم. هذا يحدث عندما يعرف المرء أنه سوف يكون له عرش. ليس فقط الملوك

المتوجين لابد أن يسلكوا سلوكاً ملوكياً ولكن الأمراء أيضاً. ونحن نتعلم كيف يكون لنا هذه الشخصية من أناس لهم هذا المستوى من الإيمان. لهذا سأقدم في هذا الكتاب العديد من الأمثلة عن قدر من الإيمان الذى يجتاز الضغوط الرهيبة. قد يقول البعض اننى أقدم كثير من الأمثلة، ولكن كم من الوقت نقضيه في مشاهدة التليفزيون والإستماع الي الراديو وقراءة الجرائد والمجلات؟

أظهر إستفتائاً بالولايات المتحدة الأمريكية أن حوالى ٩ ٪ فقط من هؤلاء الذين يتحدثون إلينا من خلال وسائل الإعلام لهم علاقة بأى دين من الأديان. وعن طريق التكرار المستمر تعمل وسائل الإعلام على اشباع وتسديد احتياج ٨٠ ٪ من الأمريكيين الذين يذهبون الى الكنيسة بأفكار أناس لا مُثل عليا لهم ولا يهتمون بالله كثيراً. وهؤلاء قد لا تكون لهم مبادئ أو أخلاقيات يتمسكون بها، وبالتالى لا يمكنهم بأى حال من الأحوال أن يساعدوا أحد على أن يحيا حياة مقدسة. إن الكتاب المقدس يكرر ذاته أيضاً – أنه يتعرض لحوالى ١٣٠٠ شخص، البعض منهم أمثلة مضيئة للإيمان والبعض الآخر مؤمنين عاديين، غير أنه من المفيد جداً أن نعرف أسمائهم وبعض الأمور عن حياتهم كما كان من المهم جداً بالنسبة لى حينما أتيت إلى الولايات المتحدة الأمريكية أن أعرف بعض الناس والاتصالات التي قد تفيدني فيما بعد. الكثير من شخصيات الكتاب سيكونون أصدقاء لنا فى السماء. والبعض الآخر يعلمنا عن طريق حياته الصعبة أى أناس يجب أن نحترس منهم إذا أردنا أن ندخل السماء. لذا فمن الجيد أن نتعرف على أبطال الإيمان الذين سأصفهم.

منذ أن صعد الرب يسوع إلى السماء، تبعه الكثيرين وأكملون نقائص شدائد المسيح فى جسدهم لأجل جسده الذى هو الكنيسة (كولوسى ١ : ٢٤) هذا هو الموضوع الأساسى لهذا الكتاب. هناك آلاف الكتب تظهر كل عام يمكنك الأستفادة منها، فلما يجب أن تقرأ هذا الكتاب؟ كيف ستستفيد منه؟ هل يقرأ الإنسان كتباً غير مفيدة أيضاً؟ ألا يجب أن نختار الكتب التى نقرأها

كما ننتقى الطعام الذى نأكله. إن الكتاب السيء يمكنه أن يسمم الحياة. إن نيتشا، ولينين، وهتلر، وماو، ودي ساد، وكثيرين غيرهم قد كتبوا كتباً ليقرأها الآخرون ويؤمنوا بها ويعملوا بها، والنتيجة كانت أن عشرات الملايين من الناس قد ماتت نتيجة الحروب والثورات. كتب دي ساد (De Sade) كتباً أشعلت العقول بالعنف والشهوة. إن الكتب يمكنها أن تكون أسلحة خطرة للغاية، وقد علم البعض، عن طريق ما كتبوه، أن يحتقر البشر زملائهم فى البشرية، والنتيجة كانت أنهم ساروا يُبغضونَ ويُبغضونَ. إن الإنسان كان سيكون أفضل حالاً لو لم تكتب الكثير من الكتب. يقول الكتاب المقدس أنه خوفاً من السلطات التى كانت قد صلبت الرب يسوع، اجتمع التلاميذ الأوائل خلف أبواب مغلقة (يوحنا ٢٠ : ١٩) وقد كان ذلك حكمة منهم إذ كانوا فى خطر أن يُعتقلوا ويُقتلوا، فإذا كان من الحكمة أن نُبقى الأبواب مغلقة خوفاً من المضطهدين الذين يقدرون أن يقتلوا الجسد فقط ألا يجب علينا أيضاً أن نبقي الأبواب التى تحمى أذهاننا مغلقة ضد أى أفكار خبيثة أو تصورات خادعة أو أكاذيب يمكنها أن تدخل وتدمر أرواحنا. إن إيفاجر (Evagre of Pantus) وهو معلم أغريقى مسيحى من القرن الثالث كتب يقول: «كن أنت حارس باب قلبك فلا تدع الأفكار تدخل إليه دون أن تستجوبها أولاً قائلاً: «إلي أى جانب تنتمين؟ هل تنتمين إليَّ أم إلى العدو؟» يجب أن يسأل القراء أنفسهم قبل أن يقرأوا أى كتاب كيف يمكن أن يفيدنى هذا الكتاب. إن حياتى قصيرة ووقتى محدود جداً للقراءة، لماذا يجب على أن أضيع هذا الوقت فى هذا الكتاب بالذات؟ وما هى أهميته بالنسبة لي. الكثيرون لديهم تحيزات ضد الدين وهم يجادلون قائلين إنه يتحدث عن أشياء عالية جداً دون فائدة عملية فى هذا العالم. لقد كنت أفكر بنفس هذه الطريقة فى وقت من الأوقات وقد أدهشنى أن أجد الدور الخطير الذى يلعبه موضوع المنفعة فى الكتاب المقدس. حاول الشيوعيون أن يبنوا اقتصاد قائم على شئ أخر غير هدف الربح وقد فشلوا. لقد وضع الله هذا الأمر فى قلب الإنسان. يحذر الكتاب المقدس يحذر من الغرور بالأباطيل التي لا منفعة منها (أرميا ١٦ :١٩)

ان الكتاب المقدس يعلم الناس أن يحسبوا ما هى الفائدة للإنسان من كل تعبه الذى يتعبه تحت الشمس (جامعة ١ : ٣) إنه يعلم فى (تيموثاوس الأولى ٤ : ٨) إن التقوى نافعة لكل شئ إذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة، إنه يطرح السؤال فى (ملاخى ٣ : ١٤) ما المنفعة من أننا حفظنا شعائره وأننا سلكنا بالحزن قدام رب الجنود.

إن الرسول بولس قد فعل بالضبط ما أقوم به الآن، لقد كتب فى (كورنثوس الأولى ٧ : ٣٥) قائلاً: «**هذا أقوله لخيركم**». والرب يسوع بنفسه قد علم بوضوح إنه يجب أن نبحث ونطلب ما هو مفيد لنا، لقد قال «**لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه**» (متى ١٦ : ٢٦) كل ما أريد أن أقوله هو أن هذا الكتاب سوف يفيدك.

ريتشارة ومبراند

الباب الأول

ليس حب أعظم من هذا

* ١- قصة عائلة روثتشايلد (Rothschild)

حينما أعظ اليهود وأتحدث معهم عن الرب يسوع كثيراً ما أوضح لهم عمق ما قام به وأهميته بالنسبة لنا بأن أحكى لهم كيف بدأت ثروة عائلة المليونيرات روثتشايلد إن بمؤسس العائلة ماير آمشل روثتشايلد (Mayer Amshel Rothschild)

كان ماير صبياً فقيراً يخدم فى بيت المعلم ديفيد ماش (David Moshe of Chortkov) الذى كان يعيش فى تشورتكوف. كان المعلم اليهودى قد قام بإدخار مائتي قطعة ذهب من أجل جهاز ابنته. ترك الفتى روثتشايلد المعلم ديفيد وذهب إلى بلدة أخرى وهناك تزوج وقام بافتتاح محل صغير كان يتقوت منه وكان عمله ناجحاً. مرت السنوات وجاء الوقت لابنة المعلم اليهودى لكى تتزوج وعندما اقترب موعد الزفاف فتح المعلم الدرج الذى كان يحتفظ به بقطع الذهب لكى يقدمها الى العريس ولكنه اكتشف أن النقود لم تكن هناك. لم يستطيع أحد أن يفهم أو يقدم إيضاحاً كيف يمكن لهذه النقود أن تختفى، وحامت كل الشبهات حول الفتي ماير، وتسآل الجميع فيما بينهم من أين أتى الفتي الصغير بالنقود التي افتتح بها المحل، وأجزم الجميع أنه لص، ولكن المعلم اليهودى صار يدافع عنه قائلا: «ليس من العدل أن نقوم باتهامه دونما دليل». ولكن العائلة أصرت على أنه يجب أن يذهب ويتحدث إليه وإلا سيتعرض للخزي حيث أن الضيوف على وشك الحضور. ذهب المعلم اليهودى وهو مثقل واعتذر وهو مملوء بالخجل بسبب السؤال الذى كان سيسأله للصبى، ولكنه أوضح له عمق الأزمة التى يتعرض لها.

نظر المعلم اليهودى فى عينى موظفه السابق وسأله هل تعرف أى شئ عن هذه النقود؟ فصمت الفتي للحظات قليلة ثم قال «لقد سرقتها وسوف أردها إليك الآن أرجوك سامحني». إن المعلم اليهودى وهو عالم بطبيعة النفس البشرية والخطية قدم الصفح بسرور. وأقيم الفرح وتمت المراسيم فى بهجة وسرور ولكن ماير كان قد أفلس تماماً. بعد سنوات عديدة، اكتشفوا أن فتاة كانت تعمل خادمة لدى المعلم اليهودى هى التى سرقت المائتى قطعة ذهب وقد اقتسمتها مع عشيقها وبينما كان هذا الحبيب مخموراً فى حفلٍ، أخذ يتفاخر بأن النقود معه فتم القبض عليه وقد اعترف كلٍ منهما بجريمته. حينئذ ذهب المعلم اليهودى إلى ماير وسأله بالتدقيق لماذا اعترفت بخطية لم تقترفها؟ بها لماذا أعطيتنى النقود؟ رد ماير قائلاً :لقد رأيتك فى حزن شديد وتخيلت زوجتك وابنتك وهما يبكيان وقد كنت على أتم الاستعداد أن أعطيك النقود فى التو واللحظة لأعوضك عن الخسارة، ولكنني كنت أعلم أنك لن تقبل هذه التضحية منى، لذا كان على أن أقول أنها نقودك الذى سرقتها منك حتى تستطيع أن تذهب بسلام وتفرح. حينئذ بارك المعلم اليهودى الفتي ماير وقال له: فليعوضك الرب عن عملك الذى عملته معى بل تمتد بركته الى جميع الأجيال القادمة فتدرك أولادك وأحفادك بالغنى الكثير. وبالفعل تحققت هذه البركة، وصارت عائلة روتشايلد من أغنى أغنياء العالم. إن الإنسان يعجب بمثل هذا العمل المضحى، ولكن هل نقف فقط عند حد الافتتان والإعجاب؟ أم نحاول جاهدين أن نصير أبطالاً فى بعض نواحى الحياة؟ إن عمل الصبي ماير له رائحة التأثير الذي لنا من الرب يسوع. إن الرب يسوع – لكى يجعل رسالته وعطيته مقبولة لنا – اتخذ أقل صورة للإنسان، لقد ولد ليس فى عائلة فقيرة فحسب ولكن فى إسطبل للحيوانات بل وأكثر من هذا- لقد صار خطية لأجلنا وأنهى حياته على الأرض معلقاً على الصليب وسط اللصوص والمجرمين. لقد ذهب الى أبعد حد ليعلن لنا أنه حمل خطايانا بالكامل بدلاً عنا.

* ٢ - الراهب الأنثى

حينما أتحدث فى الكنائس الأرثوذكسية دائماً ما أحكى قصة ثيودورا من بستان الرهبان، والذي أقول فى حزن أن المسيحى الأرثوذكسي العادى لا يقرأه أبداً. ماتت أم ثيودورا وقرر أبوها أن يصير راهباً، واقترح عليها أن تذهب الى دير للفتيات. ولكنها كانت متعلقة بأبوها جداً وقررت أن تدخل الدير معه. لم تكن ثيودورا لها شكل الأنثى، لذا فقد قبلوها كراهب فتى في الدير، وقد أصبحت من أكثر الرهبان تفضيلاً ومحبة بسبب تنكرها ورقتها. كانت تخدم الجميع بتواضع وتكريس وكان رئيس الدير يرسلها مع راهبان آخران من وقت لآخر الى البلدة لشراء ما كان الدير فى احتياج إليه، وقد كانوا يقضون الليلة فى فندق صغير بالبلدة. وكان لصاحب الفندق ابنة قد اكتشف ذات يوم أنها حبلي، وقد استخدم معها العنف ليعرف من الذى تسبب فى هذا الخزى والعار لهم. أرادت الفتاة أن تحمى حبيبها من غضب أبيها فأدعت أن الراهب الرقيق المنظر هو الذى فعل بها هذا. ذهب الأب فى غضبه الى رئيس الدير وحكى له عن شكواه، فما كان من رئيس الدير الا أن قام باستجواب ثيودورا والتى ظنت بدورها أن أحد الرهبان زملائها كان مسئولاً عما حدث فسقطت على ركبتيها وقالت أخطأت سامحني. إن ثيودورا قد فكرت فى نفسها قائلة إنه لابد وان يطرد الراهب المذنب من الدير وإذا كان قد قام بمثل هذا الفعل وهو راهب فلابد وأن يقوم بأفعال أشد وأسوأ إذا ما تم طرده من الدير، لذا فلم تقل سوى كلمة واحدة «أخطأت يا أبى سامحني». تم طرده أوطردها فى الحال ولكنها لم تغادر باب الدير أعواماً وأعواماً طالبةً من كل من يدخل الغفران، وأخيراً أشفق عليها رئيس الدير وسمح لها بالدخول الى الدير مرة أخرى ولكن الى آخر حياتها ظلت تقوم بأعمال حقيرة وبسيطة دون أى تقدير. وحين ماتت وطبقاً لقوانين الدير كان يجب أن يغسّل جسدها، وعندئذ أكتشفوا أنها فتاة. لقد حملت على عاتقها ذنب شخص أخر لكى تحفظ الجو الدينى بداخل الدير آملةً ألا يسقط من فعل فعلته فى خطية أفظع.

وتكرم الكنيسة الأرثوذكسية اسم ثيودورا لأجل عملها هذا. إن مثل هذه الأعمال تفوق بكثير ما نراه فى أيامنا العادية ونحن نتسآل فى عجب إذا ما كان أولئك الذين يقومون بمثل هذه الأفعال ينتمون لعالمنا أم أنهم يستلهمون أعمالهم من عالم آخر. تغنت حنة - وهى من شخصيات العهد القديم - فى حزنها مأنه ليس قدوس مثل الله (صموئيل الأول ٢ :٢) ان هذه الأنشودة حزينة جداً، ان الله يتمنى أن نكون قديسين وكاملين مثله. ان الرب يسوع محبوب للغاية من أجل حبه للآخرين وتضحيته بنفسه ولكنه يود لو أن الكثيرين يقتفون أثره فيكون بكر بين أخوة كثيرين. نحن جميعاً مدعوون أن نأخذ خطوات حاسمة من أجل هذا الهدف.

* ٣- تضحية تسو - بو - تاو (Tso-Po-Tao)

ذات مرة كنت أعظ فى تايوان بالصين، وقد حاولت أن أعظ بالطريقة بالصينية فقلت للمستمعين قصة من عهد (Chuen-Chin) من التاريخ الصينى فى عام ١٥ قبل الميلاد.

ذهب تسو بو تاو فى رحلة مع صديقه يانج شاو آي (Yang-Chao-Ai)، هناك واجهتهما عاصفة ثلجية ولم يكونا مستعدين لها إذ لم يكن لهما الملابس والطعام اللازمين للبقاء على حياتهما. فما كان من تسو إلا أن اقترح أن يخلع كل ملابسه ويعطيها لصديقه وكذلك يهبه نصيبه من الطعام حتى يستطيع أن ينجو بحياته. رفض يانج أي هذا العرض بشدة ولكن رفضه ذهب هباءاً خسارة كبيرة صديقه فى خلع ملابسه وكان تقريباً نصف متجمد. مات سو ونجا يانج بسبب ما قام به صديقه. وكعادتي قبل تقديم أية عظة، فكرت كثيراً قبل تقديمها ، وفى تأمل عميق تفكرت فى حقيقة الأشخاص الذين مروا فى مخيلتي وكأننى أسمع كلمات.. سوبوتاو وهو يقول أنى أقدم لك جسدى ـ لقد رأيته ينزع ثيابه بينما الثلج يهطل، ولابد أنه ـ قد جابه اغراءاً كبيراً ليبقي على الأقل بقميصه ويحتفظ به، غير أننى رأيت وجهه يلمع أكثر فأكثر وكانت ملامحه أكثر إصراراً. لم يتوقف عن خلع ثيابه حتى صار عرياناً مثلما كان الإنسان الأول فى الجنة، غير أنه لم يكن له أى سبب ليشعر بالعار. لقد تعجبت من عمله ومن تضحيته وأعجبت به كما أعجب به يانج. من المؤكد أن صديقه الذى عاش لم ينسى قط تلك اللحظات التى حملت في طياتها عظمة الأبدية. قرأت هذه القصة منذ عشرات الأعوام غير أننى لم أستطع قط أن أنساها أنها تمثل ما يصبوا إليه الإنسان من الداخل. لقد تأثر مستمعى كذلك مما سمعوا ثم توقفت – وماذا تكون الموسيقى بدون سكتات – لا يجب على الوعاظ أن يستمروا فى الحديث دون إنقطاع. لقد ظللت لفترة قصيرة أتعجب من حب الله الذى علم الرجال والنساء فى

جميع الأجيال كيف يمكنهم الصعود الى تلك الآفاق والقمم. بعد قليل بدأت مرة أخرى فى الحديث قائلاً كما كان هو الحال مع تسوبوتاو الذى سافر قديماً مع يانج تشاو آي كذلك يسافر البر والخطية معاً، وكلاهما مقدر له الموت. ففى عواصف الحياة لا يستطيع البر أن يحتمل الخطية ولا تستطيع الخطية أن تحتمل البر، لذا فإن الرب يسوع وهو تجسيد البر اختار أن يموت. وقد قدم أكثر من مجرد طعامه وملابسه – لقد قدم جسده ودمه للخاطى حتى يحيا. ان الشعور بالامتنان والعرفان بالجميل من أجل هذه التضحية يغير القلوب. إن الحرف الأبجدي الصيني المستخدم لكلمة بر هو حرف (I)فى اللغة الإنجليزية تعلوه صورة حمل، نحن نحيا بسبب إتضاع الرب يسوع، الذى دعُى حمل الله بسبب إتضاعه، فقد قدم نفسه لنا. لم أنهى عظتى بهذه القصة إذ كنت أعلم أن كثير من المستمعين لديهم أسئلة. هل يمكن أن يكون تسوبوتاو والذى عاش قبل المسيح وكذلك عدد قليل من الناس الذين جاءوا بعد المسيح، هل يمكن أن يكونوا هم فقط لديهم مثل هذا الجمال فى الشخصية؟ هل يمكن أن نصعد مثل هذه المرتفعات؟ هل من الممكن أن نتقن فن المحبة وفن الحياة مثل هؤلاء؟ هل من الممكن أن نصير مثل هؤلاء الرجال والنساء الذين يدعوهم الكتاب المقدس أعظم من منتصرين؟ أعظم من منتصرين على الأنانية؟ لقد عرفت مثل هؤلاء الأشخاص معرفة شخصية. لقد رأيت أناس يحتضرون فى السجون الشيوعية يقدمون الدواء الذى كان من الممكن أن ينقذ حياتهم الى سجين آخر مريض. لقد كانوا يفعلون ذلك لآخرين كانوا ينتمون الى أحزاب معارضة لهم، لقد رأيت رجالاً يتضورون جوعاً يقدمون أخر كسرة خبز الى آخر. لقد رأيت الفرح فى وجوههم وهم يقدمون على مثل هذه التضحية الكبيرة، لقد رأيت منهم أناساً يسبحون الله بينما تضيء وجوههم كالشمس. هل يمكن أن نتقن الفرح الذى يثابر وسط المعاناة؟ ترى ما هو المفتاح الذى يمكن أن يفتح مثل هذا القصر؟ ان الكثير من المتدينين يقولون ان هذه هى نعمة الله وحدها، والتى تجعل أناساً أقوى من آخرين. إن الأمر فى رأيهم لا

يعتمد علينا على الإطلاق، غير أن الكتاب المقدس هو فى الأصل كتاب يهودي، والفكر اليهودى دائماً ما يغفل ذكر سلسلة من الأحداث ويكتفى بذكر الأسباب الرئيسية وراء الحدث، ففى (تكوين ٤١ : ١٣) نقرأ أن شاباً صغيراً يدعى يوسف قد أعدم الخباز الخاص بملك مصر شنقاً، غير أنه فى (تكوين ٤٠:٢٢) مكتوب أن الشخص الذى شنق الخباز كان الملك وليس يوسف والذى كان فى هذا الوقت فى السجن. هذا تناقض غريب بالنسبة للمنطق المألوف ولكن ليس بالنسبة للفكر اليهودى. كان يوسف هو أول من أنبأ الخباز الذى كان يشاركه فى سجنه إنه سيعدم شنقاً، لذا يعده اليهود أنه هو الذى قام بشنقه. كذلك ينسب الكتاب المقدس لله وحده فضل ما هو صالح للجنس البشري. غير أن الله يخلق كل شئ وفى داخله تكمن طاقة الصلاح. فى داخل كل طفل هناك امكانية أن يصبح شخصاً ناضجاً، غير أنه عليه أن يؤدى الدور الخاص به من الغذاء والتمارين وتنمية قدراته حتي ينضج ويصير رجلاً. لذا فنحن نحصل على الصلاح والحب وبذل الذات ونبل الأخلاق وجميعها طاقة كامنة في داخلنا. غير أن هذه الصفات يجب أن نتعلمها فى مدرسة الصدمات والمعاناة، فنحن نتعلم أن نصير ذوى مكانة خلقية رفيعة بنفس الإصرار والعزيمة التى نتعلم بها حرفة ما وذلك من خلال التغلب على الفشل بأن نقوم بالعمل مرة بعد مرة ودائماً نتذكر أن المصدر الرئيسى لكل ما هو صالح فى حياتنا هو الرب. أشعر أننى مدعو لأن أكتب هذا الكتاب لأننى عرفت عن قرب مثل هؤلاء الأشخاص خلال خدمتى فى الكنيسة السرية فى رومانيا تحت الحكم الفاشى والشيوعى، وكذلك وأنا فى السجن. لقد تعلمت الكثير من خلالهم كما أن لدى الكثير من المعرفة من خلال الثلاثين عاماً من العمل مع منظمة «صوت الشهداء». أتقابل بصفة مستمرة مع أبطال من كنائس تحت الاضطهاد من جميع أنحاء العالم. وسيتعرض هذا الكتاب لموضوعات كثيرة أخرى ولكن فى المقام الأول سيقوم الكتاب بتعريفك بجنة

عدن .قالت القديسة تريزا إن روح البار ما هى إلا جنة، إنها العالم الذى يسكنه العريس السماوى ويفرح فيه. ما أجمل المكان الذى يكون مسكن لملك له كل هذا المجد والحكمة والنقاء والغني، ويمنح كل هذا الصلاح فى حياة الناس. هذا الجزء من الكتاب يعتبر بمثابة سلم الى الأمجاد حيث يسكن أناساً قد أتقنوا فنون الحياة.

الباب الثانى

قوة الحب الغالبة

* ٤ ـ بامكان الحب أن يذيب ثلوج سيبيريا

إن الحب العميق للرب يسوع هو أسهل طريق للوصول الى إتقان فن الحياة ومن هؤلاء الذين أتقنوا هذا الفن الأسقف فيكتور بليخ (Victor Belikh) هو مسيحى من أوكرانيا وقد قابلته فى جكنيف (Kishinev) بعدما قضى أكثر من أربع وعشرون عاماً فى السجون الشيوعية، وقد قضى أول عشرون عاماً فى حبس انفرادي دون أن يعرف شئ عن عائلته ودون أن يحصل على أية رسائل أو مكاتبات منهم. كان ساجنوه يضعون له مرتبة من القش فى كل مساء لينام عليها لمدة سبعة ساعات وفى الصباح كانوا يخرجونها وبقية ساعات اليوم لم يكن يسمح له أن يرقد ولو حتى على الأسفلت البارد كما أنه لم يكن يسمح له بالجلوس أو الوقوف ساكناً طوال سبعة عشر ساعة يومياً – كان مجبراً على السير بلا انقطاع فى زنزانة، تماماً كما الجياد فى السيرك. كان الحراس يراقبونه من خلال فتحات فى باب الزنزانة وإذا ما توقف أو ضعف كان يجبرونه بدلو من المياه أو يقومون بضربه حتى يستمر فى السير. وبعد عشرون عاماً من هذا النظام أرسلوه الى شمال سيبيريا ـ حيث لا يذوب الجليد ـ ليقضى أربعة أعوام أخرى فى الأشغال الشاقة. لقد سألته كيف أمكنك أن تتحمل مثل هذه المعاناة بعد سنين السجن الإنفرادى والتضور جوعاً، أجابنى وهو يرنم ترنيمة كان قد قام بتأليفها. إن لهيب نار الحب التى ألهبنى بها يسوع قد أذاب جليد سيبيريا، هللويا لقد أضاء وجهه. يقول الكتاب المقدس ان وجه استفانوس أول الشهداء فى المسيحية كان يشع بنور وهو يحكم عليه بالموت، لقد أحسست أننى لا أستحق أن أقف

أمام هذا الرجل، يا له من شرف أن أدعى أخاً فى الإيمان لمثل هذا الرجل، أن أكون فرداً فى عائلة مثل هؤلاء البشر المتفردين ولكن الأروع هو أن كلاً منا عنده مثل هذه الإمكانية أن نعيش غالبين فى هذه الحياة ليس فقط بسبب نعمة الله ولكن أيضاً بسبب المثابرة فى العمل على نمو شخصياتنا. وكأنما حين نولد نعطى قالب من الرخام ومطرقة وإزميل ويقال لنا أن نقوم بنحت صورة إمبراطور من هذا القالب. ان الرب يسوع لا يود أن يكون وحده االشخص القدوس، ولكنه يود أن يكون بكر بين أخوة وأخوات كثيرين. لقد دعينا جميعاً لكى نكون قديسين، ان القليل من الناس يواجهون مواقف مثل تلك التى اختبرها هذا الأسقف، ولكن الكثير من الناس يواجهون ويتعرضون للنفى ومعسكرات العمل الشاق ويقيمون فى أماكن قد دمرتها الحروب والثورات بل ان الكثير من الفقراء الذين يعيشون فى بلدان غنية ليس لهم مأوى يقيهم من الصقيع، كما أن هناك نوع أخر من الصقيع وهو تلك البرودة التى تشبه الثلج فى منازل ميسورة، فترت فيها المحبة وبردت، وليس هناك من ابتسامة أو إماءة لطيفة لأولئك الذين كانوا محبوبين فى وقت مضى، هؤلاء قد يكونون أزواجاً أو أباءً أو أبناءً أو أصدقاء غير أنهم جميعاً قد صاروا غرباء بعضهم عن بعض. لم يكن هناك كهرباء فى الوقت الذى عاش فيه الرب يسوع وكان يجب أن يبقوا على الشعلات الخافتة حتى لا تنطفيء، كما لم يكن هناك ثقاب لتشعل النار فقد كان على الإنسان أن يكون مدبراً وقد قال الرب يسوع عن نفسه فتيلة مدخنة لا يطفيء. حين كنت فى السجن كنا نحاول جاهدين أن نُبقى على شعلة رماد النار التى انطفأت منذ وقت مشتعلة وقد كنا ننجح فى إشعالها مرة أخرى. لو كان الجميع من حولك قد أصابتهم برودة الثلج لا تيأس إذ يمكن للجليد أن يذوب إذا ما اشتعلت نيران حب الرب يسوع فى قلبك.

*٥- المحبة وقت الألم

إن المعاناة تطحن بعض النفوس وقد تؤدى بالبعض الى اليأس وربما الى الانتحار، ولكن البعض يشعرون بالامتنان في عمق المعاناة. لقد رأيت بعض المساجين المسيحيين يرقصون فرحاً، إذ قد أدركوا فى آلامهم قوة الرب القدير، وفى صبر صاروا يظهرون محبة تجاه الرجال الأشرار الذين كانوا يعذبونهم، لقد عرفوا أن حب الرب لا يقاوم وأنه حتماً سيغلب. إن أفضل المسيحيين قد يزعجهم هذا التساؤل: لماذا يرسل الله أو على أحسن الفروض يسمح بالمعاناة؟ حين تزعجك مثل هذه الأفكار قل لنفسك مازلت فى مرحلة التعليم التمهيدى وحين أتخرج فى جامعة الحياة المسيحية سأفهم طرقه بصورة أفضل، وستتوقف كل شكوكي. نحن لا ندرك ما هى القوه؟ والتى بالنسبة لنا كبشر تعنى القدرة على السحق وإخضاع الأخرين بل قمعهم وعقابهم، غير أنه توجد قوة أخرى وهى قوة الحب والصبر والتحمل برغم عدم اقتراف أى ذنب، وكذلك القدرة على الإحسان الى من يسيئون إلينا. حين نفكر فى الطاقة فنحن نفكر في تلك الخاصية التى تجعل كل الأشياء تتحرك، غير أنه يوجد مخزون ضخم من الطاقة الساكنة، تلك الطاقة الكامنة فى الهدوء والسكينة.

ذات مرة قال ضابط شيوعى لشخص مسيحى وهو يضربه: اننى قدير، كما تظن أن الهك قدير أنا أيضاً قدير، فأنا أستطيع أن أقتلك. فما كان من المسيحى إلا أن أجاب: إن القوة، كل القوة، هي فى جانبي، فبإمكانى أن أحبك بينما أنت تعذبنى حتى الموت. فيالقدرة الله وهى تظهر فى الهدوء الشديد والعميق فى نفوس قديسيه! هم لا يسألون ذلك السؤال المقلق: لماذا الألم؟ لقد تعلموا أن يحبوا صليبهم وكذلك أن يكونوا مرفوضين دون أى تعزية. حينما يكون فى داخلنا هذا التوجه يتوقف الإرتباك، فما من طفل يرتبك ويضطرب حين يحصل على الهدية التى يتمناها. إن قمة القداسة هى ألا نطلب شئ لأنفسنا، ألا

نرفض الصليب الذى يكرمنا الله به، وأن نقبل الحياة منه كما يعطينا دونما دمدمة أو جدال. نحن غير معدين الآن لفهم الإجابات على أسئلتنا، غير أنه يوم ما سوف نعرف كما قد عرفنا من الله (٢كو ١٣: ١٢).

إن القديسين ليسوا أناسا قد حصلوا على الكثير من النور من الله، بل إنهم لا شئ غير أن الله يشرق بنوره من خلالهم ويظهر قوته فيهم على الإحتمال والرجاء والمحبة – حتى إلي أسوأ الناس – فقد يكون قاتل اليوم هو رسول الغد، وقد تصير المرأة الخاطئة مجدلية فيما بعد. ألا يمكن لله أن يعوض فى الأبدية عن كل الأذى الذى نحتمله اليوم هنا لفترة قصيرة؟ نحن نبارك الله الأب والله الابن والله الروح القدس ونتقدم فى طريق الإيمان. غير أننا لا نعذب أنفسنا بالأسئلة الكثيرة حول الألم، بل نحن نرحب بالآلام إذ فيها نستطيع أن نمجد المسيح بفرح. كم هى مؤثرة تلك الصلاة التى صلتها امرأة فى معسكر فركوتا بسيبيريا:

يارب فلتقبل معاناتي، وتعبي، ومهانتى، ودموعي، وحنيني، وجوعي، وبردي. فلتقبل كل مرارة تكونت فى داخلي. إلهى العزيز أشفق على هؤلاء الذين يضطهدوننى ويعذبوننى نهاراً وليلاً. امنحهم أيضاً النعمة الإلهية ليعرفوا حلاوة حبك، والسعادة الكامنة فيه.

*٦- عمديني وإلا سأطلق عليك الرصاص

هؤلاء الذين ينالهم الأذى فى العالم الحر غالباً ما يحاولون الهرب من معذبيهم، ليس كذلك الأمر بالنسبة لآن مارى وهى فتاه سلوفاكية مسيحية. بينما كانت تعذب كان شوق قلبها أن تنقذ معذبها من الهلاك فقد شاركته مرة بعد مرة عن جمال الرب يسوع وملكوته وكانت أجابته المزيد من اللكمات واللطمات، والجلد، غير أنها اغتنمت كل فترة يتوقف فيها عن الضرب لتقربه من الله. وقد أثرت الكلمة المقدسة فى هذا المجرم. ذات مرة بينما أتوا بها أمامه سألها بسخرية قائلا: حدثينى عن الهك. كثيراً ما يتعب المعذبون من الضرب المتواصل ويأخذون فترة راحة ليحتسوا فنجاناً من القهوة، وفى هذه الأحيان يكونون على استعداد للإستماع وهم يدخنون، وذلك كنوع من الترفيه. أمعنت آن مارى النظر به وقالت: إن ضربك لى لن يؤتى بأى نتيجة، فلن تستطيع أن تنزع من قلبى حبى لله وحبى لك. فسخر منها الضابط قائلاً: غالباً ما تنتظر الفتيات حتى يعلن الشباب عن حبهم أولاً ثم ما هو هذا الإعلان الأحمق عن الحب من جانبك؟ نحن لسنا هنا بصدد أمور الحب، يجب أن تعرفيني بجميع خبايا الكنيسة السرية والا سوف أضربك ضرباً مبرحاً حتى يخرج منك كل حب لله أو لى أو لأى شخص آخر. أجابت قائلة له: فيما أنت تضربنى نظرت الى يديك، كم هى جميلة! لقد تخيلتك وأنت تعانق زوجتك وتدللها، لابد وأنها تستمتع بذلك كثيراً، فحين يعانق أحد آخر كلاهما يستمتع بالعناق – المدلل والمدلل – ولكن ما هى فائدة الضرب؟ انه أمر فظيع بالنسبة لنا ضحايا هذا الضرب، غير أنه لابد وأن يكون أيضاً فظيع بالنسبة لك وأنت تسمع صرخات الألم يوماً بعد يوم. لابد وأن يصيبك هذا بالجنون. سأخبرك بأمر فى المعتاد لا تخبر به فتاة رجلاً، غير أننا لسنا هنا فى وضع عادي. إن لديك شفتين جذابتين جداً، لابد وأن زوجتك تسعد وأنت تقبلها. يا له من أمر مبهج لكما حين تقبلون بعضكما البعض! دعنى أسألك سؤالاً بسيطاً أليس التقبيل أفضل من النطق بألفاظ نابية وأفضل من القسم والغضب؟

كل من المسئ والمساء اليه يتلوثان من جراء هذه الكلمات البذيئة. فلماذا إذاً لا نقبل بعضنا بعضاً عوضاً عن اللعن. إن الله خلق شفاهنا من اجل ذلك. فسألها الضابط قائلا: من أين لك بكل هذه الأفكار الغبية؟ أجابته: إن لى حبيب أبرع جمالاً من الكل، ليس لأنه هو يحبنى ولكنه هو نفسه محبة. إنه أروع محب على الإطلاق، إنه هو نفسه الحب الذى يحبنى به. هو ذلك الذى لا يطلب متعته الخاصة بل يطلب أن يملء المحبوب بفرح. منذ أن عرفت هذا المحب لا يسعني سوى أن أحب. أنت تحب الكراهية الآن، غير أننى أدعوك أن تحب المحبة. حين قالت هذه الكلمات وجه إليها الضابط لطمة قوية جعلتها تسقط على الأرض الصلبة، فاصطدمت رأسها وفقدت الوعي، وحين أفاقت رأته جالساً فى هدوء وكأنه فى حالة تأمل ثم قال لها: لقد كنت أفكر فى حبيبك، إن أقواله تبدو منطقية، فالعناق بالفعل أفضل من الضرب، والتقبيل أفضل من السباب واللعن. من المدهش أن هذه الحقيقة البسيطة لم تخطر على بالي من قبل. من هو حبيبك هذا ؟ فأجابته آن مارى وأخبرته بالاسم الذى فوق كل اسم. فسألها ببساطة: كيف يمكننى أن أجعله صديقى أنا أيضاً؟ أجابته: يجب أن تتوب وتعتمد. حينئذ طلب منها أن تعمده فوراً. فأجابته قائلة: ولكننى لا أستطيع ذلك. هي لم تكن تعلم أنه حتى الطفل الصغير يمكنه ان يقوم بالتعميد تحت ظروف خاصة. فما كان من الضابط إلا أن وجه مسدسه نحوها وقال لها عمدينى الآن والا أطلقت عليك الرصاص. لقد بدت كلماته غريبة، ولكنها تعكس تماماً كلمات الرب يسوع أن ملكوت الله يغتصب والغاصبون يأخذونه بالقوة. لقد أراد هذا الرجل أن يأخذ الملكوت عنوة، وكان على أتم الاستعداد أن يطلق الرصاص للحصول عليه. لقد جرها جرا الى بركة ماء وألقى بها فيها وقفز هو أيضاً، وهناك قامت بتعميده. وبعد وقت جازف هذا المعذب – الذى صار مسيحياً – بحريته الشخصية ومنح آن ماري تصريح بالخروج من السجن كان يخص امرأة أخرى قد ماتت فى نفس اليوم الذى كان من المفترض المفروض أن تخرج فيه.

الباب الثالث

النهوض

*٧- أبسط الطرق للحصول علي محبة الله

«هناك مئات الطرق للحصول على محبة الله، غير أن هناك طريقة واحدة أكيدة، هكذا قال المبشر، «فما هى هذه الطريقة؟» سأله أحد زملائه، فأجاب الواعظ: هذا ما توقعته انك لن تعرف أن أقل الطرق شيوعاً للحصول على محبة الرب هى أبسط الطرق جميعاً، انها أن نحفظ وصاياه، فالرب يسوع قال «**الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه**» (يوحنا ١٤:٢١). كما قال أيضاً فى (متى ١٩ :١٧) «**فأحفظ الوصايا**». فى كل صباح رنم ترنيمة واقرأ فصل من الكتاب المقدس وانتظر وقتاً منصتاً لما يريد الله أن يقوله لك فى هذا اليوم، ثم أشرع فى تحقيق وصاياه. إن جميع وصاياه يمكن تحقيقها فى وصية واحدة وهى أن نكون مثل الرب يسوع برغم أن كل هذا قد يتضمن المعاناة والألم وأيضاً الموت. لقد هزم الجنرال البريطانى ولينجتون (Wellington) نابليون فى معركة ووترلو، فتقدم اللورد هيل الى الجنرال ليريه جثة الضابط المعاون الخاص به، وسأله قائلاً: ما هى أوامرك يا سيدى فى حالة أنك قتلت؟ كان جواب ولينجتون مقتضباً: اصنع ما كنت سأصنعه أنا. لقد مات الرب يسوع من أجل مجد الآب، وأوصى تلاميذه أن يموتوا عن الخطية كما فى (رومية ٦ : ٢) وإن لزم الأمر أن يفقدوا حياتهم الطبيعية طاعةً لهذه الوصية، ان الكتاب يعلمنا أن هذا هو الناموس «**إذا مات رجلاً**» (عدد ١٩ : ١٤). إن الديانة الحقيقية هو أن تكون مستعداً أن تموت من أجل الرب. ما لم تكن

مستعد للتضحية بحياتك من أجله فهذه ليست ديانة حقيقية. فرغبتنا فى أن نحيا حياة مسيحية مستقيمة قد تكلفنا خسارة فادحة. لقد كان الرب يسوع مستعد أن يموت على الصليب فى الثالثة والثلاثين من عمره، وهذه هى ارادة الله لنا أن نكون مثله فى تكريسنا للرب وحبنا للأخرين. كل من يحفظ هذه الوصية هو بالتأكيد حبيب الرب. إن الكنيسة تحثنا أن نحيا حياة مسيحية بطولية، فأحد ألقاب الرب يسوع فى (أشعياء ٩ : ٦) بالعبرية تعنى الرب البطل.

*٨- يمكننا النهوض من أسوأ الأعماق

البعض منا يحيا بعيداً جداً عن هذه المرتفعات، فبعضنا يتمرغ فى خطايا عظيمة، غير أن هناك البعض ممن لهم لحظات ينهضون فيها لأعلي القمم. قد يكون عندهم بذرة صغيرة جداً من الصلاح غير أنها يمكنها أن تنمو مع الوقت. يحتوى التلمود- وهو الكتاب المقدس عند اليهود- على القصة التالية: ذات مرة فى فترة الجفاف سمع الرابى أباهو (Abahu) صوت يقول إذا ما صلى (بنتى كاكا Pentikaka) وهو اسم يعنى باليونانية خمسة شرور، فسوف تمطر السماء، فما كان من المعلم اليهودي الا أن سأل بنتى كاكا عن عمله، فأجاب هذا قائلا: إننى أقود العاهرات الى الرجال، كما أنى أنظف الساحة، وأقوم بالمشاوير المختلفة لخدمة العاهرات، وأرقص وأمثل أمامهم. فسأله الرابى: هل صنعت أى عمل صالح من قبل؟ فأجاب: ذات مرة كنت أنظف المسرح ورأيت امرأة تبكى فسألتها عما بها فقالت لى «إن زوجى فى السجن وسأظل أبيع نفسى حتى أنقذه». فما كان مني إلا أن بعت كل ما لدى حتى الغطاء الذى كنت ألتحف به وأعطيت هذه النقود إلي المرأة وقلت لها «خذى هذه النقود وأنقذي زوجك ولا تخطئى أيضاً». حين سمع المعلم اليهودي هذه القصة تعجب قائلاً: إن صلاته تستحق أن تقبل. إن مثل هذه الإمكانية للصلاح موجودة حتى فى أسوأ الرجال. ففى رومانيا حكم على بيريلا (Berila) بالأشغال الشاقة المؤبدة من أجل أنه قتل عائلة مكونة من زوج وزوجة وأربع أبناء كان أصغرهم طفل رضيع وهذا من أجل أن سرقة بعض النقود لكى يشرب بها الخمر. لقد قتل حتى قطته الصغيرة. لقد كان خبازاً فى الأصل وحين عمل بالسجن كان يقوم بنفس عمله فيخبز الفطائر والحلوى للعاملين بالسجن. وقد خاطر بيريلا بنفسه وعرض نفسه لخطر الضرب وذلك لأنه كان يقدم للمساجين الجوعى بعض المنتجات التى كان يقوم بخبزها، والتى كانت مخصصة للعاملين بالسجن. كيف يؤتى بمثل هذه الجوهرة فى مكان قذر؟ هل يمكن أن أكون أنا أيضاً جوهرة؟ هل

دعيت لأنهض وأصعد الى المرتفعات؟ إن هذا الكتاب لا يهدف الى أن يخبر إنساناً صالحاً كيف يمكن أن يصبح أكثر صلاحاً أو أفضل حالاً. إن من لديهم أجنحة يمكنهم أن يطيروا من قمة الى قمة، وكل قمة أعلى من سابقتها. إن هؤلاء الذين ليست لديهم أجنحة، يمكنهم أيضاً أن يصعدوا من أسفل من عمق الحفرة مستخدمين سلماً ببطئ شديد يتقدمون درجة فدرجة. إن الكتاب المقدس يستخدم هذين التشبيهين.

إن الكثير من المجرمين السابقين قد أصبحوا فيما بعد قديسين.

٩*- شفاء نفس أخصائى نفسي

كان كاسباروفيتش (Kasparovitch) أحد أشهر الأخصائيين النفسيين في الاتحاد السوفيتى، وقد حصل على نبذة عن الكتاب المقدس وفيها وجد قولين من أقوال الرب يسوع. يقول كاسباروفيتش أن الله قد أعلن نفسه إليه عن طريق هذه الكلمات، كانت أولها: «**ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت**» (متى ٢٦ : ٣٩) وفى هذه الكلمات وجد سر الصحة النفسية والعلاقات الصحيحة مع الآخرين.

تعمل ارادتين في حياة الإنسان: إرادة إدراكه لذاته وإرادة إدراكه لخالقه. الارادة الأولى قد ظهرت بالأمس وستختفي غداً فهي لا تعرف أكثر مما يعرف طفل صغير يعوزه تحديد المشاعر، والاهتمامات، ورغبات الذات. ويجب أن تصل هذه الارادة إلى تلك النقطة التي فيها تدرك ضآلتها وعدم جدواها، فهي ليست أهل للاعتماد عليها، لذا فيجب عليها أن تردد لتكن لا مشيئتي بل مشيئتك». مشيئة الخالق الذي يعلم كل شئ الذي يحبني ولديه من الملائكة جيش يعملون على تحقيق خطته في حياتي. إن هذا الاختيار يشبه ما يمر به المريض الذي يسلم نفسه لطبيب التخدير والجراح ليعملا بجسده ما يعرفون أنه الأصلح بالنسبة له. ليست مشيئة المريض وإنما إرادة الجراح، فلهذا لتكن لا إرادتي بل إرادتك. إن كلمات الرب يسوع «لتكن لا مشيئتي بل مشيئتك» لا تنطبق على الله فحسب وإنما على العلاقات بين الناس أيضاً يجب أن يكون دليلنا في الحياة هو لتكن لا إرادتي بل إرادة زوجي – ابني – أبواي – مديري – الموظف الذي يعمل لدي – الشخص الذي على خلاف معى، شريطة ألا يؤدى مثل هذا الخضوع الى إذاء الآخرين. إذا قبلت كلمات الرب يسوع هذه ستكون نفسك أنت أيضاً صحيحة. لقد أذهلت كلمات الرب يسوع وهو على الأرض هذا الطبيب النفسي حين قال: لم آت لكي أنقض بل لكي أكمل، لم آت لأدين بل لأخلص، أتيت لكي

أطلب وأخلص ما قد هلك! لقد كان الرب يسوع يعلم سبب مجيئه إلى العالم، لذا يجب علينا أن نلتزم بقانون الحب هذا. إذا ما عشنا بحسب هذا القانون سنكون سعداء وسنسعد آخرين أيضاً فمن خلال محبة الرب فينا نصعد إلى فردوس الله ونحن ما زلنا على الأرض.

*١٠- الصبر مع الذين يضعفون

ليس كل الذين اضطهدوا من أجل إيمانهم أقوياء واستطاعوا أن يحملوا صليبهم في ثبات واستطاعوا أن يغلبوا الإغراء وهكذا الحال بالنسبة لنا نحن أيضاً في العالم الحر. فكيف تتعامل مع الذين لم يصمدوا؟ قبل الميلاد بسبعمائة عام، تنبأ إشعياء النبي عن ظهور خادم للرب تثق فيه الأمم: «**قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفأ حتى يخرج الحق للأمم.**» (متي ٢٠ :١٢) إن هذه الآية كثيراً ما تقتبس لتظهر طبيعة الرب الرحيمة، لذا يجب أن تؤثر فينا هذه الكلمات بصورة أعمق من أن نكتفي بأن نتسول الشفقة من لدنه. في عالمنا اليوم يسهل إشعال النيران باستخدام عيدان الثقاب أو الولعات سريعة الاشتعال. لذا فمن الصعب علينا أن نتصور كم كان مهماً جداً بالنسبة للمجتمعات البدائية أن تُبقى على الفتيلة المدخنة ولا تطفئها. غير أنه إذا ما حاولت من قبل إشعال النار في معسكر بعد أن غمرت الأمطار الأخشاب ولم يتبقى عود ثقاب واحد، ستعرف كم هو لازم لكي تشتعل النار ألا تتوقف ولو للحظات عن الترويح عن الفتائل المدخنة أو الأعشاب المدخنة . يجب أن تظل تروح حتى تتأجج النيران ويتغذى الدخان لفترة طويلة مرة بعد مرة ويستمر هذا الوضع حتى تندفع الدماء إلى رأسك وتشعر بالدوار- حتى في المنزل الجاف، فإن إشعال نار المدفأة أو الفرن البدائي يتطلب الكثير من الجهد خصوصا إذا كان الإنسان يرتعد برداً. هذا هو سبب إبقاء النيران مشتعلة، كانت النيران في تلك الأيام تترك طوال الليل لتشتعل ببطء في الرماد حتى يسهل إشعالها من جديد في الصباح التالى. لقد تكلم التلاميذ الأوائل من خلال خبراتهم اليومية ولابد ان يكون الرب يسوع قد أبقى على الكثير من الفتائل المدخنة وأكثرهم من الضعفاء روحياً، ولكنه كذلك أبقى على تلك لفتائل المريضة جسدياً، حتى بعد القيامة انتظر الرب يسوع على بحيرة طبرية وقد أشعل بها ناراً ليقوم بطهي الأسماك، منتظراً التلاميذ. لابد وأنها كانت مفاجأة سارة لهم بعد ليل الشك الطويل الذي قضوه في محاولة الصيد. يجب آن يعمل جميع

أتباع الرب يسوع بجد وهم ينفخون نسماتهم حتي لا تنطفئ شعلات صغيرة في رماد إنسان آخر.

إن الشيوعيين الذين استخدموا الأسياخ المحماة لحرق مناطق حساسة في أجساد مسجونيهم استطاعوا أن يكسروا حتى الأساقفة. حين يتسلم أسقف كاثوليكي غطاء الرأس اثناء الرسامة يخبره البطريرك بأنها علامة عهد بأنه سيدافع عن الأيمان حتى الدم، غير أن هذا الأسقف لم يستطع أن يتحمل كل هذا الألم واعترف تحت وطأته انه جاسوس ومروج للسوق السوداء. إن تأثير غسيل المخ يستمر لأعوام كثيرة، وقد أعلن أحد الأساقفة في روما – بعدما قضى ثمانية عشرة عاماً في السجون الروسية – إعلاناً خطيرا، لقد قال: إن الشخص الكاثوليكي لا يتصدى للسلطة، وهذا ينطبق أيضا على النظام الشيوعى. لم تكن تلك كلمات الأسقف ولكنها كلمات الشخص الشيوعي الذي غسل عقله وبرمجه كى يقول هذه الكلمات.

و في روسيا نظم شخص اسمه اسكندر أوجورودنيكوف (Alexander Ogorodnikov) مؤتمراً مسيحياً فحكم عليه حكما مخففا بسبب ذلك: حكم عليه بالسجن لمدة عام. ولكنه بعد ذلك حُوكم من جديد بسبب انه كان يبشر بالمسيح في السجن، واحتشد في ساحة المحكمة جمع غفير من الناس غير انهم مُنعوا من الدخول. فما كان من هذا الشخص إلا أن فتح شباك قاعة المحكمة وسرد قصة المسيح بصوت عال. ومن أجل فعلته هذه حُكم عليه بالسجن لمدة ست سنوات. وبعدما قضاها أضيف إليه من جديد ثلاثة سنوات أخري، وحينئذ كتب خطاباً لأمه مملوءً بالاكتئاب – فالأبطال أيضاً لهم لحظاتهم من الاكتئاب واليأس حين يبدوا وكأنهم قد فقدوا كل شئ. الرب يسوع نفسه صرخ وهو على الصليب قائلاً إلهي إلهي لماذا تركتنى. لقد قال هذا الشخص انه قد تم سجنه في زنزانة تصل درجة الحرارة فيها إلى ٣٠ تحت الصفر. لقد تمنى أن يموت من كثرة آلامه، وحاول بالفعل أن يقطع شرايين يديه ولكن قد تم إسعافه. يجب علينا أن لا ندينه فالروح قوى ولكن الجسد ضعيف. وبعدما عكف عن تناول الطعام لفترة طويلة، استسلم لليأس – إذ

١٥* - شهداء الكنيسة الأرثوذكسية

ورد في كتاب (أعطيهم سلام مع الله) والذي قامت بتجميع ما جاء به الكنيسة الأرثوذكسية الحقيقية بالاتحاد السوفييتي ما يلى:

كان القس (John Kotchurov) هو أول من قتله الشيوعيون. أما القس (John Riabuhin) فقد قاموا بقطع يديه ورجليه مع آخرين، وقاموا بدفنه وهو مازال بعد حي، وقد تم دفن القس (John Drasnov) وهو حي، وقد ضربوا القس (Alexander Podolskii) حتى الموت، وأطلق الرصاص على من حاولوا دفنه. وكذلك الأسقف (Tikhon) قد قام بتلاوة قداس الجنازة الخاص به بينما أجبر ابنه البالغ من العمر عشر سنوات بحفر قبره تحت تهديد السلاح، أما القس (Grigorri Dmitrevskii)فقد قام الشيوعيون بقطع أنفه وآذانه ثم قاموا بقطع رأسه. وهذا بالضبط ما فعله الشيوعيون في روديسيا. لقد أطلقوا الرصاص في فم القس (Grigorii Nikolski) بعدما قام بتلاوة القداس وقد قال له قاتلوه: والآن سوف نقدم لك سر التناول. وحين ذهب البوليس السرى لتفتيش منزل الأسقف (Antonii)وجدوا آنية التناول فألقوا بها على الأرض وداسوها بأقدامهم. ولكنه ألقى بنفسه عليها محاولاً حمايتها، ففقد وعيه في وسط المعمعة ولما أفاق وجد نفسه في السجن. وحين سألوه رأيه في الكنيسة الروسية محاولين معرفة إذا ما كان يريد الإطاحة بالحكومة السوفيتية، أجاب بأن الكنيسة ستتمجد بمعاناة شهدائها كما حدث في القرون الأولى وأنه يصلى كل يوم ألا تقوم الحكومة السوفيتية بسفك المزيد من الدماء، وأن يغفر الله خطاياهم، فهددوه أولاً بالقتل، ثم وعدوه بالحرية إذا ما صار مرشداً للشرطة. لم يخف الأسقف ولم يستطيعوا شراءه فهذه هي سمة كل أولئك الذين ينظرون فيروا المدينة السماوية حيث يسكن المؤمنين إلى الأبد. وضعوه في زنزانة صغيرة

مع خمسة آخرين، حيث البرد والصقيع ولم يكن يقدم لهم سوي كوبين من الماء كل يوم. لم يقوموا بتبديل ملابسهم أو الاغتسال وكانوا يعيشون وسط القاذورات ووصل بهم الحال إلى أنهم فقدوا أسنانهم. لقد بلغ الضعيف منه مبلغاً حتى أنه لم يكن يستطيع أن ينظف لحيته من القمل والبق، وحين شعر أن الموت قد بات وشيكاً أخذ يصلى صلاة الموتى ومات وهو يردد الصلوات.

لقد كتب ديستيوفسكى (Fyodor Dostoyevsky) والذي عاش ما بين ١٨٢١ – ١٨٨١ وهو أحد أعظم الكتاب الروس يقول: لا أظن أن هناك شخصاً أو شيء أبدع أو أعمق أو أكثر كمالاً من الرب يسوع في محبته المتأججة. أقول لنفسي أنه ليس فقط أنه لا يوجد مثله بل أنه لن يوجد مثله. قد أقول أكثر من ذلك إذا ما استطاع أحد أن يثبت لي أن المسيح ليس حقيقة، أو أن الحق ليس هو الرب يسوع، فإنني أفضل أن أمكث مع الرب يسوع ولا أمكث في الحق. ففي العالم أجمع ليس من شخص يحمل الجمال المطلق غير شخص الرب يسوع.

ولهذا فقد منعت جميع أعمال ديستيوفسكى (Dostoyevsky) في روسيا، وهو أمر يماثل أن نقوم بمنع أعمال شكسبير فى البلاد التي تتحدث الإنجليزية. وحين قام أحد الناشرين (Eugen Vaghin) بنشر أعمال ديستيوفسكى (Dostoyevsky)، حكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة عشر عاماً.

اتبتت إحدى الوثائق أن أحد أنواع العقاب المطبقة في السجن كانت تعريض المساجين وهم عرايا ومقيدين لقرصات الناموس. حتى لا يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم ضد هذه القرصات. لقد احتمل الناشر أربعة عشرة عاماً في مثل هذا السجن وحين أطلق سراحه كان لا يزال مفتوناً بالرب كما كان حين تخلى عن كل شئ من أجله.

*١٤.معترفين معمدانيين

نشرت مجلة مجلس أقرباء المسجونين في الاتحاد السوفييتي مقتطفات مما حدث في إحدى المحاكمات. لقد أتوا بالأخ چورچ (George Jeltonoshko) والأخت ندچا (Nadeja Troshtshenko) لمحاكماتهما بتهمة نشر الإنجيل والمطبوعات المسيحية فقال الأخ المسيحي لمجلس المحكمة إنني أرفض أن يدافع عني محامي لأنني أعلم أنني على حق فالبر لا يحتاج إلى محاكمة. إن هذا يجعلني أتسائل لماذا نحاول جاهداً أن ندافع عن أنفسنا حين يوجه إلينا اتهام. وسأله القاضي هل تعترف بأنك مذنب. فأجاب الأخ كلا، فأن نشر المطبوعات المسيحية هو واجب على كل مسيحي. فطلب منه القاضي أن يحذوا حذو أعضاء الكنيسة الرسمية الخائنة والذين يحترمون القانون السوفييتي ولا ينشرون الإنجيل، غير أنه أجاب أنه لا يستطيع ذلك، لأن المسيح قد قال اذهبوا وإكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها. أخذ القاضي الشيوعي يدافع عن الكنائس الرسمية والتي كانت تخضع للنظام الشيوعي، بينما الكنائس السرية لم تكن تفعل ذلك. وسأله من جديد، لماذا لم تنضم للكنائس الرسمية فهم أيضاً مؤمنون؟ فأجاب الأخ قائلا: والشياطين أيضاً يؤمنون ويقشعرون. فسأله القاضي في فضول: أين تجتمعون للصلاة؟ فأجاب: إن الساجدين الحقيقيين يعبدون الله في كل مكان.

وفي هذه المحاكمة عينها حُوكمت الأخت (Zinaida Kozakova) وقد كانت تقوم بتوزيع نبذات عنوانها (جواز سفر روحي). وكانت تقوم بتوزيع هذه النبذات بين أفراد الجيش الأحمر، وقد احتوت هذه النبذات على ما يلي:

- ◆ – الاسم: مسيحي
- ◆ اسم الأب: الله
- ◆ لقب العائلة: مبارك

- تاريخ الميلاد: هوذا الآن وقت مقبول هوذا اليوم يوم خلاص
- بلد المنشأ: الأرض المقدسة
- المدينة: أورشليم
- الجنسية: خليقة جديدة
- المهنة: عامل مع الله
- الخدمة العسكرية : جندي صالح للمسيح
- جهة إصدار جواز السفر: الإيمان
- الوثائق التي تم إصدار الجواز بناءاً عليها: المحبة تصدق كل شئ
- المستوى الاجتماعي الذي ينتمي إليه: في كل شئ قد استغنينا في المسيح
- الأملاك: إنني أمتلك كل الحاضر والمستقبل
- العائلة: أمماً كثيرة
- المؤهل العلمي: نعلم كل الأشياء (١يو ٢:٢٠)
- المهنة : الصلاة وخدمة كلمة الله

ترى ما هو ثمن تعليم الكتاب المقدس بأمانة؟ لقد حكم على الأخ جورج بالسجن ثلاثة سنوات وعلى الأخت ندجا بالسجن سنة ونصف. ولكن فترة الحكم بالسجن ليست هي المشكلة بل النظام بالسجن هو المشكلة الحقيقية. ففي السجون السوفيتية غير مسموح لأي سجين أن يشارك إيمانه مع سجين أخر. إن العقوبة رهيبة. لقد قام خمسة عشر سجيناً في أحد معسكرات العمل بتخييط شفاهم احتجاجا على الإرهاب في هذه السجون.

أنه كان بلا خطية. فليس من هو بلا خطية سوى واحد، المسيح «**الذي أسُلم من أجل خطايانا وأقُيم لأجل تبريرنا**» (رو ٤ : ٢٥) وهكذا عندما أتبرر، أصبح وكأنني لم أخطئ قط، وهكذا أستطيع أن أقدم نفسي كماثل يحتذي به، بينما أجاهد أنا نفسي لأصبح أكثر فأكثر مثل الرب يسوع المسيح.

من حوالي عشرين عاماً مضت، كتبت مجلة إيطالية عن كاهن كاثوليكي يدعى ألكساندر زافاتا (Alexander Zavatta) كان قد قضى عشر سنوات في معسكر اعتقال سوفيتي. كان الكاهن يؤكد أنه في هذا الوقت كان يوجد ملايين من الأبرياء في السجون السوفيتية وقد وصف العذابات التي تعرض لها حتى يجبرونه على اتهام مسيحيين آخرين، وخوفاً من أن ينهار أمام الألم الرهيب، فقد قام بعض لسانه بصورة شديدة في محاولة منه لقطعه وهو في حالة يأس، لئلا يصبح خائناً. ولحسن الحظ لم ينجح في ذلك. اعتبر مجمع نيقية المنعقد عام ٣٥٢ أن بتر أى عضو بشرى غير قانوني. ورغم أن الكاهن كان يعرف هذا، فقد اختار أن يقوم بعمل غير قانوني حتى يظل وفياً لأخوته من المسيحيين. كذلك، طلب من سجين آخر في كوبا أن يوقع اتهامات ضد أخوة مسيحيين تؤدى إلى اعتقالهم، غير أنه قال : إن القيود تمنعني من توقيع هذه الاتهامات، فأعترض الضابط وقال : ولكنك غير مقيد. فقال السجين: بلي، إنني مقيد بقيود الشهداء الذين قدموا حياتهم على مر العصور من أجل المسيح، إنني حلقة من هذه السلسلة ولن أكسرها. كذلك توماس أكيناس (Thomas Aquinas) بعدما أعلن أن الاستشهاد هو أعظم دليل على المحبة الكاملة، أضاف أن الكلمات التي ينطق بها الشهداء أمام السلطات وليست كلمات بشرية، وليست مجرد كلمات تخرج عن أناس عاديين، ولكنها كلمات ينطقها الروح القدس من خلال أناس تعترف بالإيمان. نحن أيضاً حلقات في هذه السلسلة، ويمكننا أن نتعلم من الشهداء.

ذلك أنه لم يُبقِ على نينوى إلى الأبد. حتى لعازر الذي أقامه الرب يسوع مات أيضاً بعد ذلك. الله فقط الذي يحيا للأبد. وتبقى كلمات «أفلا أشفق أنا» ؟ أفلا أشفق في الأبدية على النفس التي وثقت بي ؟

إن المسيحيين لا يبحثون عن عزاء لهم في الظلال التي تعبر، إنهم لا يكتئبون بسبب فشلهم وإخفاقهم فربما تأتى أوقات النصرة والنجاح. إنهم لا يترنحون فرحا للنجاحات، فهى لا تبقى أيضاً. إن لهم مصدر للفرح لا يهتز وهو الإله الأبدي الذي سيقيم معهم في الأبدية. وفقاً لقانون الجاذبية، فإن جميع الأشياء تنجذب لمحور الأرض، غير أن الأزهار تنمو إلى أعلي، وكذلك الطائرات تصعد إلى علو مرتفع، وهذا لا يعنى أن قانون الجاذبية غير صحيح، ولكن هذا يعنى أن الجاذبية ليست هي القانون الوحيد. هناك قوانين الطبيعة التي تحكم الأزهار وكذلك قوانين الديناميكية الهوائية التي تحكم الطائرة. هناك قوة في الطبيعة تتغلب على قوة الجاذبية. يقول علم النفس: إن فترة الاضطهاد الطويلة بالإضافة إلى خيانة بعض قادة الكنيسة الذين يضعفون الإيمان – كل هذا يبلى القديسين. يقدم الرسول بولس في رسالته إلى تيموثاوس نفسه كمثل. « **وأما أنت فقد تبعت تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبتي وصبري**» (٢تيمو ٣: ١٠) إن الوعاظ في الزمن الحاضر يتجنبون مثل هذه الأقوال إنهم يتحدثون عن المسيح كمثل، ولكنهم لا يشيرون إلى أنفسهم. هل هذا معقول. ذات مرة سأل رجل مجنون الطباخ في مصحة عقلية : هل في إمكانك أن تجهز طعاماً شهياً من شأنه أن يجعل كل من يتناوله صحيحاً بدنياً ؟ أجابه الطباخ قائلاً: بالطبع أستطيع. فما كان من الرجل المجنون إلا أن قال : إذن فمن الأفضل أن تصبح مريضاً عقلياً في هذا المصحة، لأنك وأنت الطباخ تبدو هزيل وشاحب الوجه. كيف يمكن لأحد أن يعلمني العقيدة الصحيحة، والطريقة المثلى للحياة، والإيمان السليم، والعطاء، بينما هذا الشخص لا يمتلكها ؟ إن المثل الحي هو أعظم شاهد وأعظم عظة. قدم الرسول بولس نفسه مثالاً يحتذي به، وهذا لا يعنى

* ٣٦- حياتك قد تكون مثالاً

«فأعد الرب الإله يقطينة فارتفعت فوق يونان لتكون ظلاً على رأسه لكي يخلصه من غمه. ففرح يونان من أجل اليقطينة فرحاً عظيماً» (يونان ٤ : ٦)

الظل في الكتاب المقدس يرمز إلى ما هو مؤقت وزائل. يقول بلدد الشوحى: «**أيامنا على الأرض ظل**» (أيوب ٨ : ٩) «**والإنسان يبرح كالظل ولا يقف**» (أيوب ١٤ : ٢)، كذلك يقول سليمان عن الإنسان «**مدة أيام حياه باطلة التي يقضيها كالظل**» (جامعة ٦ : ١٢) وقد ورث هذه الأفكار عن أبيه داود حين قال «**وأيامنا كالظل على الأرض وليس رجاء**» (١أخ ٢٩: ١٥). حتى الأنبياء مثل يونان يفرحون فرحاً عظيماً من أجل أشياء مؤقتة وزائلة. لقد صنع يونان في أول الأمر مظلة ليجلس تحت ظلها، ناسياً بهذا أن كل ما يصنعه الإنسان إنما هو زائل، وجاءت ريح عاتية وأطاحت بالمظلة في اليوم التالى. ليس من شئ نقيمه لأنفسنا لن يهلك، ليس من شئ يبقى إلى الأبد، ولا حتى الحضارات، وبالتالي لن نبقى نحن الأفراد على وجه هذه الأرض. إن يونان فرح فرحاً عظيماً من أجل الظل الذي أوجدته اليقطينة، غير أنه في اليوم التالي جاءت دودة وضربت اليقطينة فيبست، ولكل يقطينة يوماً ستموت فيه، وكذلك الدودة التي أكلت اليقطينة، وكذلك النبي الذي جلس تحت ظلها. أن نينوى التي قام يونان بتبشيرها قد هلكت أيضاً، برغم أن الله قد منحها حوالي قرن ونصف من الزمان بعدما تابت. إن المؤمنين يموتون، وكذلك غير المؤمنين. ليس من منطق يجعلنا نفرح فرحاً عظيماً من أجل ظل، سوف تتمنى أن تموت غداً إذ قد فقدت هذا الفرح. غير أن اليأس لن يبقى أيضاً، إذ هو زائل مثل جميع المشاعر. كذلك الأرض التي نمت عليها اليقطينة، تلك الأرض التي يفرح بها الإنسان تارة ويغضب منها تارة أخري، هي أيضا ستهلك. الله فقط هو الذي يبقى وهو الذي قال: «**أفلا أشفق أنا ؟**» (يونان ٤: ١١) وبرغم

مجبرين أن يظلوا في الجسد بينما هم يتعذبون. كتب الرسول بولس عن إنسان أُخذ إلى السماء الثالثة «أفي الجسد لست أعلم أم خارج الجسد لست أعلم» (٢كو ١٢ : ٢). إذا تعلمت أن تكون خارج الجسد، فحتى الأخطاء التي تقترفها لا تكون أنت بعد الذي تقوم بها، بل الخطية الساكنة في جسدك (رو ٧ : ١٧). إن الضيقات اليومية وحتى العذابات لن تستطيع أن تنتزع منك سلامك.

*٣٥- أبناء الوعد

كتب الرسول بولس إلى أهل رومية يقول : «**أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلاً. لأن كلمة الموعد هي هذه. أنا أتى نحو هذا الوقت ويكون لسارة ابن**» (رو ٩ : ٨ ، ٩) يقسم الكتاب المقدس الناس إلى قسمين : أولاد الجسد الذين قد ولدوا بصورة طبيعية، ويعيشون في العالم كما يحيا العالم، وأولاد الموعد هؤلاء الذين ولدوا الولادة الثانية عن طريق معجزة إلهية، ويحيون في الأرض الحياة المقدسة اللائقة برعايا الأرض المقدسة في السماء. إن اسحق هو أول إنسان في الكتاب المقدس يدعى ابن الموعد، كانت حياته مثالاً لنا .

فأولاد الموعد لهم ضمير صالح يمنعهم من أن يقتلوا أي إنسان، أو يفعلوا شيئاً يسئ إلى سمعتهم أو صلاحهم. لا تزيد من آلامك بأن تحاول أن تفهم سببها. عندما كان اسحق مازال صغيراً، ولم يستطيع أن يفهم ما يحدث، قيده أبوه إبراهيم ورفع سكينه ليقتله (تك ٢٢) وحين نجا من الموت لم ينطق بأي كلمة عتاب لأبيه، ولم يشك فيه لحظة. لقد ظل يحبه ويحترمه حتى أتى الوقت الذي أصبح باستطاعته أن يفهم تماماً ما قد حدث. فيما بعد قام خادم أبيه باختيار من ستكون زوجة له، غير أن اسحق لم يصمم على حقه في اختيار شريكة حياته. لقد اختار الخادم رفقة لتكون زوجته، وما كان من اسحق إلا أن أحبها (تك ٢٤ : ٦٧) يختارها له الخادم العجوز. وحين حفر اسحق بئر مياه، جاءه رجال وقالوا له أن البئر يخصهم. لم يقاضيهم اسحق ولم يطلب الاحتكام. لقد ترك لهم البئر وحفر آخر وحين أتى رعاة واستولوا على البئر الآخر، لم ينطق كلمة واحدة، ولم يجادل معهم، بل حفر ثالث، واستمر الحال حتى أشبع جميع جيرانه وفى النهاية كان له بئره هو. وعندما قام ابنه يعقوب بغشه، لم ينطق بأية كلمة عتاب. «**فدعا اسحق يعقوب وباركه**» (تك ٢٨ : ١) فلتقبل بهدوء ما يسمح به الرب مهما كان غير مفهوم، ولا تخف. لا تخف حتى من التعذيب. إن المسيحيين غير

المسيح إلى أعماق أشد ألماً، اذهب طوعاً إلى جثسيمانى.

يحدثنا الكتاب المقدس مرة واحدة عن المسيح وتلاميذه وهم يُسبحّون. كان هذا بعد العشاء الأخير حين ذهب إلى جثسيماني ليواجه الخيانة والترك والقيود، ثم يسلم إلى أيدي قاتليه. كأنه يقول حينئذ: افرحوا، إن الفرح العميق هو امتياز لأولئك الذين يدفعهم الحب ليحملوا اثقل الصلبان عن اختيار. لقد تغنى الرب يسوع بمزامير التسبيح وهو يعلم أنه لن يحقق فقط نبوة موته على الصليب من أجلنا، بل أيضاً سيحمل آلام لم يتنبأ بها أحد. لقد نزل إلى الجحيم، وأرسل لنا هذا الفرح في عمق أعماقنا. فلتضف إلى آلامك بكاء من يبكون آلامهم وهذا من شأنه أن يمنحك الفرح. يمكننا أن نفرح لوجود مثل هذه الفتاة الروسية مارى والتي قالت للشيوعيين الذين حققوا معها: إنني أؤمن بالله أؤمن بالحق والسمو والجمال، وأتمنى أن أظل أؤمن حتى أموت. إنني لا أخاف الآلام التي تصيبونني بها. إن ديستيوفسكى قد قال: حيث يوجد ألم وحزن توجد أرض مقدسة، لقد القى في السجن مع مسيحيين آخرين، ومجرمين، وأيضاً شيوعيين كانوا قد اختلفوا مع حزبهم لسبب أو لآخر فحكم عليهم بالسجن. قالت إحداهن ذات مرة لمارى: إن لي ابناً واحداً وقد كنت أريد أن أربيه ليصبح من أبرع الشيوعيين، غير أنه كان ذو قلب رقيق للغاية، فأتيت بدستتين من صغار الكلاب والقطط ووضعتهم في قفص وأمرته أن يفرقهم. لقد انفجر في البكاء، غير أنى أجبرته على ذلك. كان يجب أن يصبح مناضلاً من أجل الشيوعية بلا هوادة .نحن لا نعرف الشفقة أو التحنن أو أياً من الصفات الضعيفة الخاصة بطبقة البرجوازيين. كان ابن هذه المرأة هو الذي يقوم بتعذيب أمه ومارى حينئذ، دون أن يتحرك له ساكن. غير أن الصورة ليست قاتمة إلى هذا الحد ولكن هنالك سبب يدعو للفرح. لقد استطاعت مارى أن تقدم العزاء والنور والرجاء الأبدي إلى هذه الأم البشعة التي كان لها مثل هذا الابن.

* ٣٤- نؤمن بأكثر من مجرد مسيح تاريخي

لا يفكر جميع المسيحيون بالطريقة عينها، فالبعض يؤمن أن المسيح ولد فحسب في بيت لحم من اجل خلاصنا، وهم يحتفلون بهذه المناسبة فيما يُسمى عيد الميلاد. غير أن آخرين يرفضون موانع الإنجاب كعدم الإيمان والكبرياء، وقد سمحوا للرب يسوع أن يولد في أرواحهم حين لمسهم الروح القدس، وقد قاموا بمنع محبة العالم والتعاليم المضلة من إجهاض الجنين المقدس، فهو يحيا في قلوبهم. حين استخدم مايكل أنجلو تمثال حجري لعامل كنموذج لتمثال المسيح، قام معلمه جيرلاندو بنقده، فدافع مايكل أنجلو عن نفسه قائلاً : ولكن المسيح كان عاملاً، لقد كان نجاراً. فرد عليه أستاذه قائلاً غير أن فلورنسا لن تقبل بمسيح من الطبقة العاملة، إنهم معتادين عليه من طبقة النبلاء. وهكذا البعض قد اعتادوا فقط على مخلص تاريخي، ولن يقبلوا مسيح يسكن الأعماق، حتى وإن كانت الحقيقة هي أن المسيح لابد وأن يسكن قلب الإنسان. لقد كان الرب يسوع يبدو للعيان نجار ومعلم يهودى. عرفه الآلاف دون أن يدركوا أبعد من ذلك. لم يدرك أحد أنه المسيح إلا من خلال البصيرة الروحية.

وهكذا الأمر اليوم، إنني أدعوك أن تتقدم خطوة أبعد من مجرد الاحتفال بميلاد الرب يسوع المولود في بيت لحم منذ ألفى عام. يجب أن نكون مسيحيين في الباطن (مز ٥١ :٦) . إن عيد الميلاد الذي يتمركز حول الظاهر والأحداث التاريخية فقط فهو خطر يحيق بالروح، فهو يجئ بالموت المتنكر في صورة مرح، في حين أن مولد الرب يسوع في الأعماق يأتى بالحياة الأبدية. وما أن يسكن المسيح أعماقنا حتى نصير نوراً للعالم وملحاً للأرض (مت ٥ :١٣ ، ١٤) نصير شركاء الطبيعة الإلهية (٢بط ١ :٤) نصير أبناء الله. وحينئذ نفرح في كل شئ وبرغم كل شئ. حين يهيج البحر ويصبح عاصفاً فإن الأسماك تنزل إلى الأعماق حيث الهدوء والسكينة. حين تجتاحك أنواع شتى من الإحباطات والآلام، أضف إليهم آلام الآخرين، وأدخل مع

عن الإماتة، برغم أن الكتاب المقدس يوصى بها، مثلما يعلم أن الخلاص بالإيمان. «وأميتوا أعضائكم»، هكذا يدعونا الرسول بولس.

فلنمارس التواضع الذي قال عنه القديس (فانست دى بول) أنه أقوى الأسلحة في مقاومة الشيطان، إذ أنه لا يعرف كيف يستخدمه، ولا يفهم كيف يدافع عن نفسه ضد هذا السلاح. فلتنكر نفسك في الأشياء الصغيرة حتى تتعلم الإنكار العظيم وهو إنكار الذات. لا تتذمر على صلبانك، إن حقيقة أننا ندعو آلامنا صلباناً تجعلنا نعترف بقدسيتها. فلتقبل المعاناة بحب شديد. فلتقدم دليلاً على تواضعك عن طريق كلماتك، وأعمالك. فلتتوقف عن إصدار الأوامر، ولتبدأ في طاعه جميع الأمور ماعدا الخطية. فلتكن بسيطاً مثل الأطفال الذين يفكرون ويتكلمون ويعملون بكل إخلاص.

لا تضيع الوقت. قال أحدهم أن الإنسان يفقد أمجاداً بنفس النسبة التي لا يقوم بها بأعمال صالحة كان يمكنه أن يحققها في هذه الساعة. فلتستغل وقتك أكثر فأكثر في الصلاة، وثق بالله عالماً أنه قادر على كل شئ، وهو حكيم وصالح. فلتحَب ولتُحب أيضاً، فلتسلك بهذا التوجه فوق كل أمر آخر. يعلم الله كم نحن ضعفاء، وهو يقدّر الذرايا الحسنة بأننا اضعف مما نستطيع أن نعمل، وكأنها أعمال صالحة.

* ٣٣- ابدأ بأشياء صغيرة

قد يخطر لك أن المرتفعات التي يدعوك إليها هذا الكتاب هي ليست لك، فيصبح هذا هو ردك على دعوة الرب يسوع. لكن الرب يسوع قد قال: «**كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل**» (مت ٥ : ٤٨). إنني لم أخترع شيئاً في هذا الكتاب، فحديثي الذي وصفته هاهنا قد وصفه الرب يسوع نفسه. ولكن، ربما مازال هناك سوء فهم. فلنفترض أن لك طفلاً في الدراسة الابتدائية، وهو طالب رائع، فهو يكتب بصورة رائعة ويكتب كل ما يطلب منه، كذلك يحصل على الدرجات النهائية في جميع المواد، وأنه ممتاز بالنسبة لسنه، قد ينمو ليصبح طفلاً رائعاً، ومراهق رائع فيما بعد وكذلك طالب جامعة رائع. هناك مراحل للروعة والكمال.

إن الصعود نحو كمال السماء يبدأ من أسفل. يبدأ في انقسام في وعي الإنسان، فهو يدرك أنه يتكون من شخصين. الله يدعو إبراهيم، إبراهيم (تك ٢٢ : ١١) وصموئيل (١صم ٣: ١٠). إن الفاصل بين اسم وآخر يدعى علامة الفصل، وهي تبين الانفصال ويمكن أن نترجمها إلى الشخصان الساكنان في إبراهيم. أنت في نفسك الشخص الذي أنت عليه، والشخص الذي يجب أن تكونه. أنت الواقع والغاية، أنت فوضى عارمة وبداية نظام كامل ومتناغم. أنت مزيج من رغبات مبهمة وقرارات ثابتة. إن الصراع يبدأ في داخلك لتصبح شخصية متناغمة، تحقيقاً للغاية. وعندما يدعو الله موسي موسي، لا حاجة هنا للفصل، فكلا الوجهين يخدم الله. هذا هو تحقيق الوصية «**تحب الرب إلهك من كل قلبك**» (لو١٠ : ٢٧).

ربما تكون رائد من رواد الكنيسة طوال حياتك، ولم تسمع كلمة واحدة

أو التسعين من عمره، فهو لم يتقاعد وقد بلغ المائة والثلاثة. لقد كان يعيش في كوخ لا يحتوى على أية أثاث سوى مرتبة من القش، وقد كان ناجحاً جداً في دوره كراعٍ وكان له نفس عدد التلاميذ الذي كان للرب يسوع فقد كان له أثنا عشر تلميذاً.

* ٣٢ - نخدم كل أيام الحياة

يجب أن نتغلب على مصاعب البدايات، كذلك يجب أن نقاوم الإغراء بالتوقف عن العمل قبل أن نلفظ آخر أنفاسنا. إن الله يقدر أن يمكنك من أن تخدمه كل أيام حياتك حتى آخر العمر. أنه من الأنانية أن نترك قضية نؤمن بها حين نصل إلى السن التي فيها قد حصلنا على خبرة ثمينة. كتب الروائي اليوناني سوف وكاس قصة أوديب وهو يناهز التسعين من عمره، أيضاً الرسام تيتيان ظل يرسم حتى التاسعة والتسعين، كذلك الرسام الروسى ربين ظل يرسم حتى السادسة والثمانين من عمره وقد كتب فردى آخر أعماله الأوبرالية وهو في الثمانين. يخبرنا الكتاب المقدس «**وحدث لما شاخ اسحق وكلت عيناه عن النظر**» (تك ٢٧ : ١) كذلك «**وكان عالى ابن ثمان وتسعين سنة وقامت عيناه ولم يقدر أن يبصر**» (١صم ٤ : ١٥)، غير أن موسى كان ابن مائة وعشرون عاماً ولم تكل عيناه. لقد استطاع أن يقود شعبه حتى النهاية، وقبيل موته ألقى خطبة هامة للغاية ظلت ترشد الأمناء من شعب الله آلاف السنين. هذا حدث بسبب أن موسى كان له امتياز أن يرى الله وجهاً لوجه. غير أننا نحن أيضاً يمكننا التمتع بهذا الامتياز والذي يجعلنا نافعين في ملكوته أيا كانت أعمارنا أو مظهرنا الخارجى.

إن البركات التي نسمعها في الكنيسة مثل : «**ويضئ الرب بوجهه عليك، ويرفع الرب وجهه إليك**» (عدد ٦ : ٢٥، ٢٦) تصبح بلا معنى إذا لم نستطيع أن نرى وجه الرب، ففي المسيح يسوع قد أصبح الله بالنسبة لنا حقيقي مرئي. فبإمكاني أن أستدعى وجهه أمام عيني مثلما أستطيع أن أستدعى وجه أي شخص عزيز لدي. إن زوجتي قريبة منى للغاية، وبالتالي يمكنني أن أتأكد من ملامحها إذا ما أردت أن أراها في مخيلتى، وكذلك يمكنني أن أرى وجه الرب بالقرب مني.

اكتشف أحد المبشرين في إرساليتنا كنيسة سرية في الصين كان راعيها يناهز المائة والثلاثة من عمره. أنه لم يتقاعد عندما بلغ السبعين أو الثمانين

كلمات الغفران الإلهى؛ كلمات فتحت أبواب السماء للص التائب كما سمع كلمات مترفقة بأمه العذراء، وكذلك كلمات مملوءة بالثقة لأبيه السماوى.

لقد فهم الخشب حينئذ أن دوره تجسم في موت الرب يسوع الذي جاء من أجل خلاص البشر. نحن أيضا نفرح لأجل صلباننا ولأجل المحن التي نجوز فيها. لا أحد يطلب الألم في الأوضاع الطبيعية. فقط بعض النفوس هي المدعوة لهذا الإخلاء التام كالفقر الاختيارى، أو العفة، أو الطاعة، أو حتى الموت. أما بقيتنا فتفرح بالضيقات، بل يمكننا أن نكون أحسن حالاً بدونها، غير أنه إذا كان ولابد منها، فيمكننا أيضاً أن نفرح خلالها، فالضيقات يمكن أن تصبح مصدر للسعادة والسلام.

٣١* - مثل الثلاث شجرات

في الكنيسة السرية كثيراً ما يحكى مثل الثلاث شجرات، إن هذا المثل يعزى الذين سجنوا من أجل الإيمان كما أننا نعتقد أنه مفيد للأطفال والكبار في الغرب أيضاً. تقول القصة أنه كان هناك ثلاث شجرات في غابة من الغابات، وكن صديقات بعضهن البعض، لقد اتفقت الشجرات الثلاث أن يصلين حتى لا يمتن بأن يتحللن بسبب الشيخوخة، وطلبن في صلواتهن أن يُستخدم خشبهن في خدمة الإنسان. تمنت الشجرة الأولى أن تكون مزوداً تأكل فيه الماشية بعد يوم شاق من العمل، وقد كافأ الله تواضع هذه الشجرة فصارت مزوداً خاصاً جداً. ذلك المزود الذي نام فيه ابن الله بنفسه. لقد رأت هذه الشجرة الملائكة وهى تحرس الطفل. لقد سمعت ترنيمات العذراء، وكذلك سجد المجوس والرعاة أمامها. فياله من قدر رائع ذلك الذي حظيت به هذه الشجرة. أما الشجرة الثانية فقد نظرت إلى أسفل إلي السفن وهى تبحر في البحيرة، وصلت أن يُستخدم خشبها في بناء سفينة. وقد آستجيبت صلواتها وسافر العديد من الركاب مستخدمين تلك السفينة حتى جاءها فى يوم ما راكب خاص جداً؛ ابن الله. لقد سمعت كلمات الحب والحكمة الخارجة من فم الرب، كلمات لم تسمعها من قبل. وفى خضم العاصفة، بدا وكأن السفينة سوف تتكسر، ولكنه قال : اسكت اهدأ، وفي الحال هدأت العاصفة. كان لزاماً أن تموت بصفتها شجرة حتى تشهد هذا الموقف الجلل. أما الشجرة الثالثة، فلم تكن تعرف ماذا تريد أن تكون، لذا فقد قرر الآخرين لها مصيرها. لقد صنعوا منها صليباً ليكون أداة تعذيب. لم يكن من هو أكثر حزناً من هذه الشجرة. فذات يوم سمر ابن الله عليها، غير أن ذاك الصليب لم يسمع آنات ولعنات كما كان الحال مع سائر الصلبان. لقد سمع

قط : إن لي أماً، فلا يمكن أن ينفصل المرء عما لا يملكه، ولذا لم يشعر أن موته كان انفصالا عنها.

لقد علم تلاميذه الأوائل أن يفكروا بنفس هذه الطريقة «ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له» (أع ٤ : ٣٢) كل الأشياء ملك لله ونحن وكلاء سرائره، وله مطلق الحرية أن يستعيد في أي وقت الممتلكات المادية، والصحة، والأبناء الأحباء، والاسم الكريم، والأصدقاء، والشهرة. إن هذه الأشياء جميعاً قد وُكلت إلينا إلى حين، فإذا ما أخذت منا لا نخسر شيئاً. فهي لم تكن قط ملكاً لنا.

إن هذا يمثل أحد مباهج الحياة المسيحية، إذ أن جميع المسيحيين ليس لهم شئ، ولا يبتغون أن يكون لهم أي شئ. فأولئك الذين لهم أشياء يقلقون بشأن إمكانية فقدهم لتلك الأشياء. غير أن هذا غير ممكن بالنسبة لنا. فحياتنا عبارة عن تسليم كامل.

في كتاب انطلاق الروح للكاتب واتشمان نى الذي مات في السجن بالصين، يصل الكاتب إلى مستوى أعلى لهذه الفكرة فيقول: إذا كان علينا أن نتذكر أن نصلي، فهذا يشير إلى أن انساننا الخارجي لم ينكسر بعد، لأنه لو كان قد انكسر انساننا الخارجي لصرنا في شركة مستمرة دونما انقطاع مع الله. إن المسيحيين ليس لهم رب، إذ أن هذا يظهره وكأنه كائن آخر غيرهم، إن المسيحيين هم واحد مع الرب، هم جزء لا يتجزأ من جسده السرى. وهكذا إذا نحن لا نمتلك شيئاً لأنفسنا، ولكننا متحدين مع إلهنا الحنان، فنحن ننظر بعينيه إلى العالم المضطرب.

* ٣٠- لغة لا تحمل فعل الملكية

في إنجيل لوفا كان إنسان غنى له... (لو ١٦ : ١) وأيضاً إنسان كان له...(لو ١٥ : ١١)

الكتاب المقدس هو كتاب موحى به من الله، وكلمة «وحي» أو بالإنجليزية (revelation) هي في الأصل كلمة يونانية تحمل معنيين مترادفين. إنها تكشف عن أشياء لم تكن معلومة من قبل، غير أنها تحجبهم مرة أخرى أي تضعهم خلف الحجاب.

منذ البدء نُقلت كلمات الرب يسوع الي اليونانية وهى لغة مختلفة عن تلك التي كان يتحدث بها الرب يسوع. لقد نقلت إلينا كلمات من خلف حجاب الترجمة، وهكذا لا يمكن أن تحمل إلينا الحس الكامل الذي لأصل الكلمات. كذلك العبرية بالنسبة للعهد القديم، فهي تحجب أفكار الله، وتغلفها في لغة بشرية فقيرة.

إن هدف الكتاب المقدس هو أن يوقظ فينا شوق للحالة التي لم يكن فيها انفصال بين الخالق والخليقة. حين لم يكن هناك سوى الله ونحن جميعاً كنا فيه، حين لم يكن هناك وسيلة اتصال بين البشر في كلمات لا تقوى على التعبير عن أسمى الأفكار، وكنا جميعاً واحد فيه، كما سيكون الحال عند انقضاء جميع الأجيال.

كان الرب يسوع يتحدث الآرامية، وهى لكنة تندرج تحت اللغة العبرية. وفعل الملكية بالإنجليزية (to have) هو غير موجود في اللكنة الآرامية أو في اللغة العبرية. لذا فإن الرب يسوع لم ينطق قط هذه الكلمات؛ لم يقل الرب يسوع قط أن له هذا أو ذاك. فلم يحدث أن تحدث قط عن ملابسه قائلاً أنها له. لم يقل قط أنه يمتلك جسد، وكأنما الجسد الذي تعذب لم يكن يخصه. لم يكن يمتلك شئ. لقد أسلم جسده إلى أباه ذبيحة حية قبل أن يقتل. لم يقل

الباب السابع

أراضي مرتفعة

*٢٩. فلنستعد لندخل من الحجاب

هناك طرق خاصة لعبادة الله عن طريق العمل.

ذات يوم قام رجل بزراعة بعض الأعشاب في الحديقة مع زوجته، وحين نظر إلى أعلى وجد ملاكاً. قال له الملاك : حان الوقت لكي تذهب إلى مسكنك الأبدى، فرد الرجل قائلاً : هناك عمل شاق وكثير بالنسبة لزوجتي لتنجزه دعني أنهى العمل أولاً، ووافق الملاك.

وفى المساء ساعد الرجل زوجته في غسل الصحون، ثم جاء الملاك مرة أخرى ليدعوه للذهاب إلى مسكنه الأبدى. غير أن هذان الزوجان كان عندهما ضيوف، وكانت الصحون كثيرة، فقال الرجل إنني لا أود أن أترك زوجتي وحدها لترتب المنزل، أرجوك اتركني لفترة أطول ومرة أخرى وافق الملاك. فيما بعد حين ذهب الرجل لينام، دعا الملاك قائلاً : الآن يمكنك أن تأخذنى إلى مسكني الأبدى. غير أن الملاك ظهر له قائلاً : لقد كنت هناك طوال اليوم.

إن العمل من أجل ملكوت السموات هو الأبدية بعينها. إن العمل من أجل مجد الله هو عبادة لله. إن الله يدعو المسيحيين أن يعملوا بكد لجمع الحصاد.

«**وأنتم صرتم متمثلين بنا وبالرب**» (تسالونيكى الأولى ١ : ٦) إن الرسول بولس كان يعتبر نفسه أول الخطاة وبالتأكيد لم يكن يكذب حين أشار لنفسه بهذه الصفة لابد وأنه كانت له دوافع قوية حتى يصف نفسه هكذا. وبرغم هذا فقد كانت لديه الثقة أن كل من أتبعه هو وشركاءه في الخدمة هو أيضاً من أتبع المسيح. لقد كانت له ثقة متناهية في دعوته.

تارة حتى وصل إلى كلمة أوج السمو، وحينئذ ينزل ذراعيه بجانبه. لقد فهم الجميع قصده، وهذه أيضاً طريقة للتعبير عن الحق.

إن هذا الرجل انتهى به الأمر بالسجن، ولكنه كان قد خدم الحق بطريقته الخاصة. لقد كانت به قبس من البطولة.

الزائفة في موسكو، كانت الترانيم تسبح المخلص، وكذلك العظات، برغم أن كلماتها لم تكن تقدم بروح حقه، إلا أن اسم يسوع كان يذكر فيها.

ياله من عمل عظيم لله أن آلاف المسيحيين لم تعثرهم شخصية راعيهم الشريرة، بل قد احتشدوا وازدحموا بالكنيسة ليستمعوا إلى اسم المسيح ويعبدوه. بإمكان المرء أن يعبد الله في كنيسة يقودها يهوذا الاسخريوطي. لقد حدث نفس الشئ في الكنيسة الأرثوذكسية السوفييتية. إن الكاتب الكسندر (Alexander Solzhenitsyn) والذي حصل على جائزة نوبل قد أظهر في كتابه أن رابطة الأساقفة كانت تحت إمرة الحكومة الشيوعية. لقد كتب يقول: «لم يسمع خلال ألفى عام هي عمر المسيحية عن كنيسة يحكمها الإلحاد بتعسف، لا يمكن الحصول على الإنجيل المطبوع في بلادنا، نحن نحصل على الأناجيل من بلاد أخري».

وهو هنا يشير إلى بعض الهيئات مثل هيئتنا التي كانت تهرب الكتب المقدسة داخل الاتحاد السوفييتى، غير أن المؤمنين الأرثوذكس كانوا يزدحمون بالكنائس حيث يتلى القداس من قبل أساقفة وكهنة هم بالفعل أدوات للشيوعية. إن الخونة يرنمون تسبيحات للمسيح. إنهم يقدمون المائدة المقدسة التي لا تتأثر قداستها وقيمتها كون الكاهن الذي يقدمها هو بالفعل خائن.

إنني لا أقول أن كل من فعلوا هذه الأشياء هم أدوات للشيوعية غير أن بعض المسيحيين الحقيقيين قد حاولوا خدمة سيدهم بهذه الطريقة المخجلة. فليست الكلمات المنطوقة وحدها هي التي تؤثر، ولكن هناك أيضاً لغة الجسد: الإيماءات، والتعبيرات. في اللغة اليابانية هناك أربعين كلمة تعني «لا» لكن بعضها يعنى «نعم». إنني أعرف رجلاً كان مجبراً على تمجيد النظام الشيوعي في خطابه وكانت تلك هي كلماته: نحن نسمو ونعلو تحت الحكم الرحيم للحزب الشيوعى، وتعلو بلادنا عاماً بعد عام،كما تسمو طريقة حياتنا حتى تصل إلى أوج السمو. غير أنه بينما كان ينطق بهذه الكلمات كانت ذراعه مرتفعة، وكلما نطق بكلمة سمواً وعلواً كان يخفض من يديه تارة بعد

٢٨* - جواهر صغيرة

إن الأبطال الحقيقيين هم أولئك الأشخاص الذين قد تساموا فوق الحياة، وهم نادرو الوجود، إن الأبطال هم أشخاص قد حولوا الاستثناء إلى قاعدة بالنسبة لهم، وغالباً ما لا يكونوا طويلي الأعمار، بل أن البعض منهم لم يكن ليستمر بطلاً لو كان قد عاش طويلاً. غير أنه حتى بين أولئك الذين حاولوا ولم ينجحوا هناك جواهر صغيرة. فقد ربح بعض الوعاظ الذين قاموا بالقليل الذي يعرفونه نفوساً للمسيح أكثر مما ربح مبشرين مشهورين.

ذات مرة وقف كلب صغير بالقرب من أخر من سلالة الوولف، فما كان من الكلب الكبير إلا أن سأل الصغير باحتقار قائلاً: هل حقاً تظن نفسك كلب؟ لم يكن للكلب الصغير الشجاعة الكافية ليقف في وجه الكلب الكبير، غير أنه أجابه قائلاً : قد لا أكون كبيراً مثلك يا سيدى، لكنك لا تستطيع أن تقول إنني قطة؛ إننى أصغر الكلاب حجماً غير أني مازلت كلباً، والشخص الذي يبدى ولو قدراً ضئيلاً من البطولة في الحياة المسيحية يعتبر بطلاً. غير أن البعض ممن يدعون أنهم مسيحيين لم يظهروا ولو قدراً يسيراً من البطولة. الكثير من قادة الكنائس المعمدانية الرسمية بالاتحاد السوفييتي السابق لم يكونوا سوى أدوات للشيوعيين. سأقتبس نص خطاب أصدرته قيادة الكنائس عام ١٩٦٠، وقد كتبه قس معمدانى : لا يجب تنصير من هم دون الثامنة عشر من عمرهم. وكذلك تنصير من تتراوح أعمارهم بين الثامنة عشر والثلاثين يجب أن يكون في أضيق الحدود. يمنع تجمهر (اجتماع) القساوسة، كما تمنع دروس تعليم إعداد قادة التسبيح والتجمعات الخاصة. ممنوع جمع التبرعات للفقراء. يجب على القساوسة أن يتخذوا موقف ضد النشاطات التبشيرية، فهي مضرة وغير صحية. لم تقدم هذه الأوامر والنواهي من قبل سلطات ملحدة بصورة مباشرة، غير أن الوعاظ المعمدانيين، والذين صاروا أعواناً وخداماً لهم قد قدموها للناس. إن المسيحي العادي كان يعلم أن راعى كنيسته خائن، غير أن هذا الراعي كان يقرأ في الكتاب المقدس فى الكنائس

فجأة يقول : أنى أؤمن بإله واحد. فما كان من قائد التسبيح السابق إلا أن أقترح أنه لابد أن يصلب وقال : إنه عيد القيامة، فليقم من الأموات. ووضعوا القلنسوة المصنوعة من الفرو على رأسه لتمثل إكليل الشوك، وألبسوه شوالاً فوق كتفيه ليمثل الرداء الملكى، وحين انتهوا من ذلك سجد أمامه قائد التسبيح وقال : السلام لك يا ملك اليهود، ثم أخذوا يضربونه.

فما كان من الأب ميخائيل إلا أن صلى إلى ذاك الذي لم يكن يؤمن به قائلاً : إذا كنت موجوداً أنقذنى، وردد بصوت عال قائلاً : إني أؤمن بإله واحد. وقد ترك هذا انطباعا لدى مجموعة السكارى حتى أنهم تركوه لحاله ورحلوا. ورجع إلى بيته، وسجد في الجانب المخصص للصلاة وقال وسط دموعه إني أؤمن. إن هذا الكاهن كان أميناً برغم شكوكه العارمة، وقد تأكد إيمانه حين جاءت السحب السوداء لتفصل بينه وبين السماء، لقد شارك في الآم المسيح برغم أنه لم يكن حتى متأكداً من وجوده ولذا فقد ربح الأب ميخائيل نفسه.

إن بعض المسيحيين يتحملون معاناتهم في صبر وتسليم ومحبة، بينما يطلب بعض الشهداء من معذبيهم الذين يهينوهم ويسيئون معاملاتهم، أن يغفروا لهم لأنهم لم يكون مسيحيين أفضل مما هم عليه. وقد كتب أحد المؤمنين يقول : إن أول خمس سنوات قضيتها بالسجن كنت أظن إنني أتألم وأنا برئ غير أنه حين بلغت العام العشرين بالسجن أدركت ذنبي فكل من هو ليس ابنٍ، ومن لا يشبه يسوع المسيح، فهو مذنب.

* ٢٧- النهوض بعد السقوط المرير

لقد قتل حوالي ٥٠,٠٠٠ كاهن أرثوذكسي من قبل السوفييت لكن الأب ميخائيل كان من القلة الذين لم يتم القبض عليهم غير أنه كان قد فقد إيمانه. وقد حدث هذا فجأة. كان قد انتهى لتوه من تلاوة القداس وكان أخر ما ترنم به مبارك الرب وحينئذ سمع همساً يقول: لا يوجد اله. لقد نظر في شك إلى صور القديسين المعلقة على الحائط وتسأل عما تعنيه صداقتهم لله، هل مثل هذا الصديق القدير يترك مؤمنيه ليلقي بهم إلى الوحوش؟ أو ليحرقوا ويعذبوا بصورة غير آدمية؟ لقد حاول أن يكتب أفكاره، وظل يردد مرة بعد مرة كلمات المزمور: «**قال الجاهل في قلبه ليس إله**»، غير أن هذا لم يساعده. بعد هذه اللحظة كان يقوم بواجبه بصفته كاهن، لكنه لم يكن يؤمن، لقد كان الألم والحزن حوله أكثر مما يحتمل. لقد كبح زمام نفسه حتى لا يصرخ للفلاحين الذين قد ملئوا أركان الكنيسة ويقول : اذهبوا إلى بيوتكم أيها المساكين، لا يوجد إله، إن كان الله موجوداً لا يمكن أن يسمح بمثل هذه الفوضى الدموية. وذات يوم قبيل عيد القيامة أمسك به بعض الشيوعيين السكاري، وكان من بينهم قائد تسبيح في الكنيسة كان الكاهن قد طرده بسبب تصرف غير أخلاقي قد قام بفعله، وقد صار هو أيضا ملحد. قال له قائد هذه الجماعة : لقد قررنا أن نقتلك، فما هو قولك ؟ كانت الحياة قد فقدت قيمتها بالنسبة للأب ميخائيل، فما كان منه إلا أن أجاب قائلاً : «كما تريدون افعلوا بي»، غير أنهم منحوه فرصة للنجاة إذا ما أنكر المسيح وداس بقدميه على الصليب. لقد فكر الأب في قلبه : أنا لا أؤمن فماذا يعنى الصليب بالنسبه لى فلأنجو بحياتى، لكنه حين فتح فمه لينطق وجد نفسه

عيوناً، لذا فأنها قد لا ترى فقط ما نفعله والظروف التي تشكل تصرفاتنا، بل قد ترى أيضاً ماذا كان سيكون حالنا تحت ظروف أخري. لا يستطيع عازف كمان أن يعزف دون أن يكون له كمان ليعزف عليه. هل يمكن لحكمة الله أن تخترق عقلاً قد دمره التعذيب؟

لقد خان أحد الأساقفة أصدقاءه ثم ندم على فعلته، وأعلن أسقف أخر تحت تأثير العقاقير ما هو مخالف لما يؤمن به: «يعتبر الفاتيكان مركزاً دولياً للجاسوسية ويقوده دعاة الحروب».

لقد دعا الرب يسوع يهوذا بعدما خانه - دون أي ضغط - يا صاحب أي بمعني يا صديق، أفلا يفعل نفس الشيء مع هذه الراهبة وذلك الأسقف؟ ولك ولى حين ننهزم أمام ظروف أقوى من ضمائرنا؟ لو إن هذه الراهبة أو ذاك الأسقف قد عاشا في بلد حر، لربما كانا من أفضل المسيحيين الذين يضرب بهم المثل.

أحد الكتاب المسيحيين الذي حصل على جائزة نوبل واسمه (Solzhenitsyn) وكان طرد من الاتحاد السوفييتى، كتب يقول أنه في أول خمس وثلاثين عاما من الحكم الشيوعي قد زج بما يقرب من خمسين مليون مواطن بمعسكرات الاعتقال، والكثير قد زج بهم فيما بعد. غير أن هؤلاء ليس هم وحدهم ضحايا الشيوعية، فهناك الملايين الذين قد صاروا مثل يهوذا من أجل أن ينجوا بحريتهم وذلك بأن زجوا بآخرين إلى السجون. كذلك الكثيرون قد أذعنوا لمأساة أن يصبحوا معذبين وحراس غير آدميين. كذلك الملايين قد تحطم أيمانهم بسبب أنهم لم يحتملوا أن يشاهدوا كل هذه الآلام والمعاناة في عالم قد خلقه إله محب.

والاعتذار المنكسر؟ كم من نفس لم تخطئ مثلما أخطأت الراهبة والأسقف يستطيعون أن يتوبوا كما قال الرب يسوع «في المسح والرماد». يجب علينا اليوم أن نتأنى قبل أن ندين المؤمنين الذين تحت وطأة الضغط الشديد قاموا بأفعال حمقاء، إذ يجب علينا ألا ننسى كم تألموا.

في تشيكوسلوفاكيا كان الشيوعيون يضعون دلواً فارغاً فوق رأس سجين مقيد ويأخذون في الطرق عليه مرات ومرات، وهم يضحكون باستهجان ويقولون: بهذه الطريقة يمكننا أن نجعل حتى يسوع يعلن أنه ليس المخلص. لقد أخطأوا بشأن الرب يسوع، غير أن البشر غالباً ما يكونوا ضعفاء، وفى بعض الأحيان يستسلمون لما هو أشد من العذاب الجسدى.

لقد سجن طفل صغير من أجل جرم قد اقترفه والده. كان والده مناضل أوكراني ضد الشيوعية. وحين طلبوا إليه أن يتنكر لأبوه رفض، كما رفضت زوجتي وابني حين زج بي في السجن برومانيا. لقد سجن الابن وتم نفيه لمدة أربع وثلاثين عام (عام ١٩٤٨ - ١٩٦٨)، (عام ١٩٧٢ ـ ١٩٨٦) وذلك من أجل حفظه لوصية واحدة لها وعد بالبركة هي «**أكرم أباك وأمك**»، وبعدما صار ضريراً من جراء المعاناة والألم، صارت له معاناة أشد إيلاماً إذ أن الشيوعيون قد نشروا خطاباً مزيفاً يدعون أنه قد تنكر فيه لأباه. إن الأفراد الذين قد سرقت منهم طفولتهم، أولئك الأبطال، ـ أبطال الإيمان ـ غالباً ما يسقطون ضحايا للاكتئاب. إنهم يكونون عرضة للعنف والتوجهات غير العاقلة تجاه الجميع بما في ذلك الأصدقاء. أن حياتهم بالكامل قد أصبحت مشوهة، حتى وإن كانوا مسيحيين، فلم تكن لديهم أية فرصة في السجن ليتعلموا أكثر عن العقيدة المسيحية.

مكتوب في سفر الرؤيا (٤ : ٨) إن هناك مخلوقات سماوية مملوءة

*٢٦- الندم بعد التهاون

في رومانيا تم القبض على إحدى الراهبات، وقد كانت مختبئة لفترة من الزمان. وتحت وطأة العذاب، انهارت وأرشدت عن أسماء جميع من قاموا بإيوائها، وحتى أولئك الذين قدموا لها شيئاً لتأكله. وقد حكم عليهم جميعاً بالسجن مدى الحياة، كما تم القبض على جميع أفراد أسرهم حتى الأجداد، والأباء، والأطفال وقد مات الكثيرون منهم. لقد أمضت هذه الراهبة بقية أيامها وهى تنتحب من أجل ما صنعت.

نشرت إحدى الصحف الإيطالية قصة أحد الأساقفة الذي عاد إلى زنزانته بعد استجوابه تحت التعذيب، لا يكاد يعرف أصدقاءه. ثم أخذ يردد مرة بعد مرة : لم يعد لي أي اختيار سوى أن أشنق نفسى. لقد كان رجلاً في الخمسين من عمره، وكان على درجة كبيرة من النشاط والطاقة والشجاعة.

فى مؤتمر المعمدانيين الدولي الذي أقيم في طوكيو، كذب المفوض السوفييتي بخصوص الحرية الدينية في بلاده، وكان علم الشيوعية الملطخ بالدماء يرفرف مع باقي الأعلام للأمم الممثلة في المؤتمر. لكنني وقفت واعترضت بصوت عال قائلاً : إن هذا ليس علم روسيا ولكنه العلم الدولي الذي يرمز إلى كراهية الله. إن لونه أحمر إذ هو ملطخ بدماء الشهداء. لقد استخدم بعض المعمدانيين القوة معي ليطردونني من المؤتمر، في حين أن حوالي عشرة آلاف مفوض من دول مختلفة من العالم قد حيوا العلم الأحمر، ولم يقف شخص واحد للدفاع عني. غير أن هذه ليست نهاية القصة، فحين ذهبت إلى الكنيسة المعمدانية في موسكو عام ١٩٩١، قام الأمين العام بيتشكوف (Bytchkov) بتقبيلي وأعلن أمام الجميع : الفاشية والشيوعية قد قامتا بضربك، وهكذا كم من واعظ لم يخطئ مثلما أخطأ المعمدانيين الروس الذين تعاونوا مع الشيوعية، يستطيع أن يُظهر مثل هذه البطولة

الذي أعطى لهم» . إن هذه الكلمات حررت ضميري من الكثير من الندم والأسف والألم، ويمكن أن تحرر آخرين أيضاً.

من الواضح أنه ليس جميع وصايا الكتاب المقدس مكتوبة لجميع المؤمنين فما من أحد مجبر على أن يوفيها جميعها، ولا يجب علينا أن نُحبط حين لا نستطيع تحقيقها. فبعض الوصايا مخصص للكهنة اليهود، بينما البعض الأخر مخصص للأزواج والزوجات، والبعض الأخر للأطفال. الوصايا الموجهة للسادة تختلف عن تلك الموجهة للعبيد. بل أن الكثير من الآيات لا يخص سوي الجيل الذي هُزمت فيه كنعان، وبعض الآيات يخص المزارعين فقط. إن الله لا يتوقع نفس السلوك من أناس لهم طبائع مختلفة وخلفيات تعليمية متباينة.

يجب على كل إنسان أن يخدم الله حسب دعوته وحسب الوزنات المعطاة له، دون أن يقوم بتعذيب ضميره بسبب عدم استطاعته أن يحقق أمور هو غير معد لتحقيقها. هناك الكثير ممن احتملوا عذابات كثيرة وأهوال جمة من الحكم الشيوعى، وواجهوا كل هذا ببطولة، غير أنه لم تكن لهم أي طاقة لمقاومة إغراء الجنس والمال والكبرياء. نحن جميعاً أعضاء جسد واحد، ومن هذا المنطق، يجب أن نعمل معاً ونحقق الناموس كله، غير أنه ما من إنسان يستطيع أن يتمم الناموس كله. فقط الرب يسوع استطاع أن يقول «**جئت لأكمل الناموس**» (متى ٥ :١٧).

هناك بعض الوصايا التي لا يمكن أن يحققها سوى أناس مفرزين لذلك، وهم يحققونها في مواقف بعينها، فأيا كنا، أو كانت قدرتنا، **فلنجاهد لنصير على الأقل أقزام عظماء.**

* ٢٥.كن عملاقاً وسط الأقزام

إن المسيح يدعوا الجميع أن يكونوا عظماء، غير أنه إن لم يستطيع المرء أن يكون أصغر العمالقة، فليحاول جاهداً أن يصير الأعظم بين الأقزام. فمثلاً أحد القساوسة الروم الأرثوذكسى، ولندعه (سين) كان معاد للجنس السامي وكتب كتاباً أثبت فيه أن اليهود لا يمكن أن يكونوا مسيحيين. بعد أن سيطر الشيوعيون على الحكم غير من سياسته وأصبح موالي لهم، وقد نجح في الحصول على ثقتهم حتى أنهم ولوه منصباً كبيراً في وزارة الديانات. بعد ذلك تحول إلى المسيحية غير أنه ظل موالي للشيوعيين، وهكذا استطاع أن يفضي إلينا بأسرارهم بما في ذلك أسماء المرشدين بالكنيسة. لقد أخبرنا عن الشخص الذي أرشد الشيوعيون عنى أنا شخصياً. لقد قدم للكنيسة السرية خدمات جليلة في حين أنه كان يبدو موالي للحكومة الشيوعية، وفى أوبسالا حيث عقد مؤتمر مجلس الكنائس الدولى، تكلم ضد الكنيسة علنية، غير انه تقابل سراً مع قادة الإرساليات الاسكندنافية وأكد لهم أنه يعلم أن جميع الادعاءات الخاصة بالاضطهاد ضد المسيحيين حقيقة، وأن جميع الاتهامات التي أتوا بها ضدي ما هي إلا افتراءات.

نحن نكرم ذكراه ونعرف أن الله سوف يكافئه من أجل كل الخير الذي قدمه للكنيسة السرية، برغم أنه من المؤكد أن الأمر كان سيكون أفضل لو لم يكن قد قدم أية تنازلات على الإطلاق.

لا يمكننا أن نشير بأصابع الإتهام إلى أناس لم يظهروا نفس درجة البطولة كآخرين. فقد يكون الأمر سهلاً في بعض الأحيان أن نظهر شجاعة، غير أنه في بعض الأحيان يكون الأمر صعباً للغاية.

إلى أولئك الذين خدموا الله في ضعفهم أود أن أقتبس كلمات الرب يسوع حين قال في (متى ١١: ١٩) «**ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل**

(**الدرهم المفقود**) إنني أدرك إنني قد خنت مصالح الكنيسة حين كنت في السجن، إن في نفسي ألم لا يوصف، ولا أرى أي طريق للهروب منه، إنني على استعداد أن أفعل أي شئ حتى أصلح من خطأى. كيف وصل بي الأمر إلى هذا الحد إن هذا السؤال يؤرقني ولا يمنحني راحة ليلاً ونهاراً.

وفى خطاب أرسله قال فيه : لقد بالغت في تقدير إمكاناتي في حين أنه لم يسقط أحد مثلما سقطت، لماذا ؟ ماذا أدى بي إلى ذلك ؟ على من ألقى باللوم؟ بكل تأكيد وقبل أي إنسان آخر، أنا المذنب.

إن رجاء دوكو مثلنا جميعنا هو في عمل المسيح الكامل. فالرب يسوع قد قال وهو على الصليب «**قد أكمل**» (يو ١٩ : ٣٠) لقد صنع كفارة كاملة من أجل خطايانا، مسدداً بذلك كل متطلبات الناموس. لقد دفع جميع ديوننا، لم يعد هناك إلزام أن نفعل شيئاً مهماً كانت سقطتنا عظيمة. كل ما علينا أن نفعله هو أن نقبل حبه في ثقة شديدة، ونستمر في حياتنا ونحن نسبح اسمه. قد يترك الجميع إنسان، لكن الله لا يتركه. هؤلاء أيضاً أبطال. إن سقطتهم المؤقتة لا تلتصق بهم. إن الرسول بطرس والذي دعاه الرب يسوع صخرة، قد سقط مراراً في الخطية، كما أن باقي التلاميذ قد فروا حين تم القبض على الرب يسوع، فلنسير في طريق البطولة مهما بدت ظروفنا مختلفة. فلنفعل ذلك حتى وإن انزلقت أرجلنا وسقطنا، إذا سقطنا سبع مرات في اليوم يمكن أن يغفر الله لنا أيضاً، و نكون في نظره وكأننا لم نسقط أبداً في الخطية.

الباب السادس

الندم بعد السقوط

* ٢٤- عقول مغتصبة

لم يكن يسوع يدخل بيت أحد التلاميذ بدون دعوة صاحب البيت، غير أن الشيوعيين كانوا يستخدمون حتى التهديد باغتصاب ضحاياهم من قبل شواذ جنسياً حتى يُخضعوا عقول المؤمنين، بهذه النية وضعوا بعض الأخوة في عنابر سجن مخصصة للشواذ جنسياً.

لقد أجبروا القس الأرثوذكسي دودكو (Dudko) على إنكار إيمانه في برنامج تليفزيوني. كان هذا القس من أكثر المبشرين صيتاً في الاتحاد السوفيتي، إلى الدرجة التي معها كانت بعض الشخصيات المسيحية البارزة تعتبره أباً روحياً لها، ولكن تحت التهديد أعرب عن أسفه لأنه قاوم الإلحاد والذي يعد مقاومة ضد النظام السوفييتي. وقد أقر أنه أضر بالكنيسة والدولة عن طريق عظاته.

نحن ندرك أن دودكو غير مذنب أمام الله. فالشخص الذي يحقن بمواد مخدرة تنسيه نفسه ويضرب بضراوة ويعرض لضغوط غير آدمية لا يمكن أن يظل محتفظاً بكيانه وأرادته، ولا يعد مسئولاً عن تصرفاته. إن الرب يسوع لا يخترق حدود إرادتنا، ولكنه يطلب موافقتنا، كما يجب أن نفعل نحن أيضاً بالآخرين، على النقيض من ذلك، فإن القادة الشيوعيين يفرضون إرادتهم بالقسوة والوحشية.

بعدما تغير الوضع في الاتحاد السوفييتي كتب دوكو ما يلي في كتابه

رعاة ومعلمين لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملئ المسيح (أفسس٤ : ١١-١٤) . يجب على الأسقف أو الراعي أن يقودك إلى شركة أعمق مع الله، إذا لم يفعل ذلك إذهب وابحث عن آخر يحقق لك ذلك. إذا لم تنجح في أن تجد راعى جيد في مجتمعك فلتحتذي برعاة الكنائس السرية الأمناء، وسوف تشعل هذه النيران في كنيستك.

ذات مرة اشتعلت نيران في مبنى كنيسة وأخذت تحترق، وكان بين الواقفين شخص معروف بإلحاده، فقال له الراعي: بينما كانت الكنيسة في حالة جيدة لم تكن تحضر والآن وهى تشتعل بالنيران قد أتيت، فما كان من الملحد إلا أن أجاب : لو إن كنيستك كانت مشتعلة في كل وقت لكنت قد حضرت بانتظام.

يجب ألا نصدق الأكاذيب التي تنادى بأن هذه البشاعات والأهوال لم تحدث إلا في عهد ستالين. فأن الذين أتوا بعلة كانوا على نفس الدرجة من البشاعة والذنب، غير أن فظاعة جرائمهم لا تدرك إلا بعدما يسقطون. إن العذابات التي ذكرت قد تكون هي التي كسرت الأخت ماري. كان قد حكم عليها بالسجن لمدة خمس سنوات بسبب إيمانها، غير أنها اعترفت فيما بعد في جريدة شيوعية بأنها استحقت العقوبة لأنها قد اقترفت جريمة حيث أنها قد درست الأطفال عن المسيحية، وطلبت إلى العالم الخارجي ألا يهتم بأمرها، بل أن يدافع عن إنجيلا دافيز الأمريكية الشيوعية المتهمة بقتل أربعة أشخاص. وقد ختمت مقالها بأن قالت : إنني أطلب إلى المعلمين والأباء أن يحذروا أولادهم من رجال الكنيسة والطوائف المسيحية. ترى ما هو كم البول الذي أجُبرت مثل هؤلاء الفتيات على تناوله قبل أن يكتبوا مثل هذه الأشياء، هل ضربت أمهاتهم أمام أعينهم؟ لقد كانوا ضعفاء. لا يجب على المسيحي أن يخاف من أى شئ سوى الله والخوف نفسه. ولكن يعتبر قائد الكنيسة الذي يمدح لينين – من أبدع هذا النظام – يعتبر عار على الكنيسة، وكذلك قادة الكنائس الذين يشيدون بمن يمدح لينين، هم أيضاً عار على الكنيسة. كتب الأسقف مارشال من الكنيسة اللوثرية في أمريكا بتأثر بعد مقابلته مع الأسقف اللوثرى كالدى من المجر. هذا الأسقف المجرى كان شديد الحماس للنظام الاقتصادي والسياسي الشيوعى، لقد كان شديد الحماس للنظام السياسي الذي ألقى بالكثير من القساوسة مثل (Hegyeman, Turi and Katona) والكثير من المسيحيين أيضاً في السجون، كان شديد الحماس لنظام قد فرضته الدبابات الروسية على المجر– نظام يمنع القساوسة من الاقتراب من الشباب. إن الأساقفة يجب أن يكونوا محبين للحق والخير وليس للنظم السياسية التي تعذب الأطفال وتسممهم بالإلحاد.

إن هناك أساقفة أمناء يضعون حياتهم من أجل الكنيسة، كما أن هناك رجالاً آخرين ذوى مكانة عالية في الكنيسة، غير أنهم ليسوا محبين للخير، فلتنتبه إلى من تسلم زمام أمورك. لقد أعطى الله البعض أن يكونوا

* ٢٣- الأمور التى تمتدحها الكنيسة المزيفة

إن قلوبنا تدمى من أجل قادة جميع الطوائف الرسمية التابعة للاتحاد السوفيتي السابق. إنهم كانوا يمتدحون الحرية الدينية مع أولئك الذين كانوا معهم في الرب، وهذه الحرية لم يكن لها أي وجود.

سوف أقدم مقتطفات من (فليحكم التاريخ) بقلم الكاتب الشيوعي روى ميفديف (Roy Medvedev) لأظهر الأمور التى كان هؤلاء يمدحونها. ولا يمكن أن نتشكك في هذا المصدر

يذكر روى في كتابه بعض أنواع التعذيب التي تعرض لها المساجين في السجون السوفيتية تحت حكم لينين ومن بين هؤلاء المساجين عدد لا يحصى من المسيحيين. كان الأطفال يقتلون في محضر أمهاتهم لإجبار الأم على الاعتراف بتهم خيالية وحين رفض أحد السجناء أن يدين بعض الأبرياء، أتوا بشخص لا يعرفه على الإطلاق وقالوا له «سوف نطلق عليه الرصاص إذا لم تقم بالتوقيع على ما نريده منك». لم يصدق السجين هذا الكلام ورفض التوقيع، وبالفعل قاموا بإطلاق الرصاص على الشخص الغريب، وبعد أيام أطلقوا الرصاص على فتى صغير أمامه، فما كان من السجين، حقناً لدماء الآخرين إلا أن يدين أصدقاءه الذين قتلوا فيما بعد. ولم يستطع السجين أن يتغلب على واقع أنه مسئول عن قتل الكثيرين.

لقد كان الشيوعيون يفقعون أعين المساجين، ويخرقون طبلة آذانهم، كانوا يضعون سجائرهم المشتعلة على الأجساد العارية للمساجين، ويبقرون بطونهم، وفى لينينجراد كان المساجين يوضعون في صناديق قد وضعت بها مسامير من جميع الجهات، بينما أجبر آخرين على شرب البول.

إن كاتب هذا الكتاب شيوعي وتابع للنين وينتمي إلى حزب الرعب هذا، وهو لم ينتقد شئ سوى ما أطلق عليه «مبالغة في التعذيب»، وهكذا فضح الشخص الشيوعي القسوة والوحشية الشيوعية.

ستحتقرك». بهذه الطريقة، أُجبر البعض أن يصبحوا مرشدين للشرطة السرية فيما أُجبر البعض الأخر على إعلان إنكارهم للمسيح.

كانت مارى مثالاً يحتذي به في الإيمان. تم القبض عليها مع صديقة لها لأنهما كانتا تخدمان في مدارس أحد تابعة للكنيسة السرية، ومن أجل هذا حكم عليها بالسجن لمدة أربع سنوات، وحكم على صديقتها بخمس سنوات. وقد اعترضت مارى على الحكم المخفف وطلبت أن تنال شرف المعاناة مثل صديقتها. أرسلوا إليها أحد المحنكين في الإغراء في الوقت الذي كانت على وشك الخروج من السجن وسقطت في الخطية وتحت التهديد أعلنت إنكارها لإيمانها. وحدثت وقائع مشابهة لأخوة آخرين بعدما أمضوا أعواماً في السجن.

في العهد القديم استطاع يوسف أن يقاوم إغراء امرأة جميلة، والكثيرين قد فعلوا ذلك أيضاً، غير أنهم لم يكونوا قد حقنوا بعقاقير مخدرة. لقد رفض يوسف إغراء امرأة جميلة بينما سقط آخرون، غير أنهم لم يحقنوا بعقاقير هادمة للعقول كما يحدث بالنسبة لأخوتنا وأخواتنا، كما أن أعصابهم لم تكن قد تحطمت بفعل عمليات غسيل المخ والتعذيب. إن قادة الكنائس السرية الذين قابلناهم قد أخبرونا والدموع تجرى في عيونهم : نحن نستطيع أن نقاوم حملات الإعدام الإلحادية، لكننا لا نعرف كيف نقاوم العقاقير التي نحقن بها عنوة. غير أنه دائماً يوجد وسيلة ما، فما لا نستطيع أن نقاومه، يجب أن نحتمله في إيمان بصفته صليب آخر ولكنه ذو تصميم مختلف. إن المحبة تحتمل كل شئ - بدون استثناء - كما أن المحبة تحتمل الخطايا التي لا مفر منها.

* ٢٢- العقاقير التى تخدر العقول

مازالت المعابد البوذية والكنائس في فيتنام مازالت قائمة في المدن الكبيرة من أجل الحفاظ على المظهر العام، غير أن أغلبية القساوسة ورجال الدين كان قد ألقى بهم في معسكرات الاعتقال. فى عام ١٩٨٥ تم القبض على أحد القساوسة واسمه (Tick Quang Do)، ومن أجل إجباره على التعاون معهم، قام الشيوعيون بالقبض على أمه والتي كانت تبلغ من العمر ٨٥ عاماً وكانت تعانى من آثار الشيخوخة، كانت يداها متصلبة، ولم تكن تتحكم في حركة أمعائها ولم تكن تبصر جيداً لتنظف نفسها، وطرحوا أمام ابنها القسيس الاختيار إما أن ينكر إيمانه أو يترك أمه تفنى من الألم والقاذورات. وكانت نفس هذه الوسائل تستخدم مع الكثير من رجال الدين البوذيين.

قد يقول العالم لهذا القسيس «أخضع لإرادة هؤلاء القتلة وأنقذ أمك»، غير أن المسيحيين يخضعون لقانون أخر، فما من سبب يجعلهم ينكرون إلههم خالق الكون وأبو كل البشر، والذي يمكنه أن يجعل معاناة أم تخدم حياتها الأبدية. لقد رفض مردخاى في القديم أن يخضع لهامان الطاغية - كما جاء في سفر استير - وهذا الرفض كان من شأنه أن يهدد الأمة اليهودية بأكملها ومع هذا فإن مردخاى لم يسجد، وخلص الرب الأمة، أما هامان وأبناءه العشرة والذين شابهوه أباهم فقد أعدموا جميعاً.

لقد درب الشيوعيون ضباطاً من الشرطة السرية رجالاً ونساءً ليصبحوا محنكين في الإغراء على السقوط، وقد أرسلوهم إلى المساجين المسيحيين لغوايتهم بعدما قاموا بتخدير المساجين بعقاقير مثيرة للدافع الجنسي. وفى اللحظة التي كان يقع فيها الضحية في شباكهم، كان يصورونه ثم يقومون بابتزازه، فيقولون له أو لها: «إذا ما نشرنا هذه الصور فإن عائلتك وكنيستك

الجلجثة، بينما أجبروا المسيحيين الآخرين على الانحناء له وتقبيلهم العضو الذكري، وهم يقولون نحن ننحني أمام عظمتك. وحين رفض واحد منهم أن يفعل هذا قاموا بتعذيبه لمدة ساعات.

أما المدرس المسيحي أنتونيو بورو (Antonio borro) فقد نجح في الهروب من كوبا بصورة معجزيه منذ بضعة سنوات وقد سرد لنا عن كيف يعامل المساجين إذ أنه كان هو نفسه سجيناً. كان في زنزانة في حجم قفص لا يتسع له إلا الجلوس فيها، وكان يجر من رجليه للاستجواب بينما يضربونه بحبل على وجهه وبعصا على ظهره.

أفُرج عن بارو في مبادلة مع الأسرى من أتباع كاسترو في هندوراس وإلا كان قد لقي مصير المساجين في كوبا وقد حكى ما يلي : لقد غمس أخوتنا في محاليل حمضية وحفرت علامة الأزميل على جلدهم بالنار ووضعت رؤوسهم في صناديق مملوءة بالنحل. لقد أطلعوه على بعض الصورً لطلبة الطب وهم يقومون بتشريح أناس وهم مازالوا أحياء وقد هددوه بأن يفعلوا به نفس الشيء، لذا فقد اعترف بأنه قام بأفعال غير أخلاقية وأنه عميل للمخابرات الأمريكية وأنه معادي للنظام الشيوعي وبالطبع كانت التهمة الأخيرة صحيحة.

وفى الصين كان المسيحيون يجبرون على الوقوف انتباهاً لمدة ساعتين أمام صورة ماوتس تونج وكان يوضع على أكتافهم ثلاثة أحجار وكان يضاف حجراً كل عشرين دقيقة ليصل عدد الأحجار التي كانوا يحملونها على الأكتاف إلي ثمانية عشر حجراً، وإذا ما اهتزت ركبهم للحظة كان التعذيب يبدأ من جديد. وكانوا يقومون بحلق رؤوس بعض المسيحيين ثم يضعون على رؤوسهم الحليقة رماد ساخن، في الوقت الذي كان يجبر الضحية أن يقف انتباهاً أمام تمثال ما.

ورغم كل ذلك فإن الكنيسة لم تعش فقط وإنما ازدهرت ونمت، فحين تولى ماوتس تونج الحكم في عام١٩٤٩ كان هناك ٣,٥مليون مسيحي في الصين وبعد عشرات الأعوام من الرعب الشديد وصل عدد المسيحيين الإنجيليين وحدهم إلي ٧٠مليون وكذلك زاد عدد المسيحيين الكاثوليك.

*٢١- عذابات لا يمكن وصفها

تحدث فى رومانيا أمور لا يمكن وصفها. كتب أحد المساجين يقول :

كان لزاماً علينا أن نمسح الأرض بينما مسجونين أو ثلاثة بينما يركب فوق ظهورنا. كنا نجبر أن نأكل مثل الخنازير. كنا نركع، وتقيد أيادينا خلف ظهورنا، ثم نلعق الحساء الساخن من الصحن. فى الظهر كان يلقى لنا الخبز، وكنا نأكله بنفس الطريقة ولا نستخدم إلا فمنا وكانت أخر كسرة من الخبز نتناولها بأستخدام شفاهنا أو ألسنتنا، وكان يجب أن نغسل الأطباق مستخدمين ألسنتنا.

كان علينا أن نجلس طوال النهار على جانب الأسرة، أقدامنا مستقيمة أمامنا وكذلك أيادينا فوق أرجلنا، ورؤوسنا مستقيمة للأمام ونحن ننظر أمامنا دون حراك، وبعد ستة عشر ساعة كان يسمح لنا بالنوم فقط على ظهورنا دون حراك وأيادينا خارج الغطاء، وإذا ما حاولنا أن نغير من وضعنا كان الشخص المكلف بمراقبتنا يضربنا بشدة.

ذات مرة أُلقى بستة عشر شخصاً كل فوق الأخر وتحت الضغط الشديد لم يستطع الشخص الذي كان في أسفل الكومة أن يحتمل ولم يسيطر على نفسه وفعل في الزنزانة ما كان غير مسموح له أن يفعله في المراحيض، ونتيجة لذلك أرغموه على أن ينظف سرواله الداخلي بلسانه وحين رفض قاموا بترضيض أصابعه بين رحى قطعتين من الخشب وفى النهاية استجاب.

كان غير مسموح بضرب سجين على رأسه أو في منطقة القلب أو الرقبة أو أية منطقة يمكن أن تؤدى إلى الموت. لم يكن الشيوعيون يبغون الموت الجسدي لمساجينهم بل كانت لديهم خطة جهنمية وهي قتل النفس. ولم تكن النتيجة الموت الجسدي بل الموت المعنوى.

فى عيد القيامة قاموا بإجبار أحد المساجين – كان طالب لاهوت – على تمثيل دور الرب يسوع وألبسوه بعض أغطية الأسرة وقاموا بصنع عضو ذكرى من الصابون وأجبروا طالب اللاهوت على ارتداءه بدلا من الصليب وأجبروه على السير حول الغرفة وهو يضرب بالعصا وكأنه يسير في طريق

معدنية. في البداية قاوم ألم ثقل جسده المعلق من رسغيه، ولكنه بعد وقت أخذ يصرخ فيهم قائلاً : اقتلونى، أطلقوا رصاصة واحدة وأنهوا كل شئ. ثم صار تنفسه ثقيلاً، وتوقف عن الكلام، وتحول وجهه إلى اللون البنفسجى، وبعد وقت أحنى وجهه، و عندئذ فقط أنزلوه. كانت ساعات عمل المساجين تصل إلى خمسة عشر ساعة يومياً، وكان المساجين المرضى يجُبرون على العمل حتى ينفقون من الإرهاق. وكانت حصص الطعام تتكون من مغرفة حساء، ورطلين من الخبز، كما كان يقدم لهم اللحم مرة واحدة أسبوعياً. وإذا لم ينجح مسجون فمن الأنتهاء من قدر معين من العمل اليومي مطلوباً منه أن يوفيه، لا يقدم له الطعام في المساء. وفى بعض الأحيان كان الرجال يعاقبون بأن يعلقوا من أرجلهم ويتركوا هكذا ورؤوسهم مدلاة إلى أسفل، ولم يكن يقدم لهم ولا قطرة ماء في حر الصيف الملتهب، تماماً مثلما لا ينال الملاعين في جهنم قطرة ماء. بالفعل يعتبر السجن الشيوعي هو ملحقاً لجهنم. لقد حكم على اثنين من القساوسة بالحبس لمدة شهرين في مرحاض مملوء بالبراز، وبعدها حكم عليهم بالموت، بينما حكم على تسعة من المسيحيين بالسجن مدى الحياة. قال أحد القساوسة لزميله وهما فى طريقهم للإعدام: «فلنذهب الى بيت الرب».

إلى الدرجة التي معها قام بقطع أذنيه وأرسلها في طرد إلى المجلس المركزي للحزب الشيوعي. وفى رومانيا قام أحد المساجين بحفر العبارة التالية على صدره: «عبد للحزب الشيوعي» ومن أجل ذلك حكم عليه بالإعدام.

كتبت إحدى الصحف الشيوعية تقول: «الكنيسة بأكملها مسجونة والصحافة الخاصة بها تشبه رسائل من السجن».

وفى السجن كان الحراس يطلقون النيران من أبراج المراقبة ويصوبون تجاه زنازين السجن، وكانت تطلق الكلاب دون كمامات في عنابر المستشفى الخاص بالسجن. وكانوا يضربون المساجين على رؤوسهم بالسياط، ويطلق عليهم خراطيم المياه بينما يصرخ فيهم المحقق قائلاً:

«هل تبتغون حقوق الإنسان ؟ نحن لا نعترف هنا بالإنسانية». الكثير من النزلاء بالسجون يعانون من جروح داخلية، والبعض منهم مثل (Hermanovsky) قد أصيب بالجنون من جراء التعذيب، والأسقف الشيخ (Vohtassak) الذى كان يبلغ الخامسة والسبعين من عمره جردوه من ملابسه وأجبروه على الوقوف لمدة ساعات على بلاط الزنزانة ولما لم يستطيع أن يكمل تمارين الجثوم صرخوا فيه وهم يشتموه بألفاظ نابية. «فلتجثم حتى تلفظ روحك أيها الـ...»

لقد صمم الشيوعيون أنواعاً من العذاب لا يمكن مقاومتها حتى أن اللواء جون فلين، وقد كان مسجوناً في فيتنام قال : أنهم يستطيعون أن يوصلوني إلى الدرجة التي معها يمكن أن أفعل أي شئ يأمروني به حتى ولو كان إطلاق الرصاص على أمى. لقد كان قراراً صائبا حين قامت الولايات المتحدة بإعفاء جميع مساجين الحرب السابقين من كل إقراراتهم التي تمت في هذه الظروف البشعة. كتب أحد المساجين الألبان (Gardin G.) والذى قضى عشر سنوات بالسجن، أنه في طريقهم إلى العمل، كان المساجين يمرون بحقول التوت وذات يوم تلكأ شاب صغير ليلتقط بعضاً منها، وحين أخبر الضابط المسئول أخذ الشاب المسكين وعلقه من يديه بينما قيد رسغاه بسلوك

الباب الخامس

أساليب من التعذيب

*٢٠- الإيمان وحده يستطيع أن يغلب

كانت إحدى الضابطات الصربيات واسمها فيدال (Vidal Neditch) متخصصة في ضرب الرجال في مناطق حساسة من أجسادهم مستخدمة عصا. وقد سُجنت فيما بعد وصارت تُعذب من قبل رفقائها.

من أساليب التعذيب أنه كان يقدم للمساجين طعاماً مالحاً ثم يتركوا بدون ماء لفترات طويلة. وكان المساجين يجبرون على أن يركضوا حول حوائط الزنزانة وكأنهم في حلبة سيرك، ليلاً ونهاراً دون توقف، وإذا ما توقفوا ولو للحظات كانت تهجم عليهم كلاباً مدربة. هكذا كانوا يحصلون منهم على الاعترافات، وتلك الاعترافات بطبيعة الحال كانت تستخدم لإصدار أحكام أخري. ذات مرة في فترة راحة ما بين الضرب. قال أحد المعذبين لضحيته أن التعذيب هو أقدم أنواع الفنون الرفيعة، وهو أقدم من الحب، وبالتأكيد هو أغنى وأكثر تنوعاً، إن التعذيب هو ما يميز الإنسان عن الحيوان، فالحيوانات لا يمكنها أن تعذب بعضها، كما أنه يوجد في جسد الإنسان مناطق للألم أكثر من مناطق المتعة، كما أن الألم أكثر شدة، ويستمر لفترات أطول من المتعة. إن هذا الوحش كان يؤمن أنه إذا كان هناك إله فقد خلق الإنسان ليتعذب، فقال: إن كل ما يعجل بسيطرة الشيوعية نعتبره أمر حسن، لا يوجد عندي شك في ذلك. لقد انتهي الأمر بهذا المعذب في مصحة للأمراض النفسية.

كان المساجين في المعتقلات يجبرون على الاستماع لساعات طويلة لمحاضرات عن جمال النظام الشيوعي حتى أن أحد السجناء وصل به اليأس

تسود مثل هذه المشاعر بين القديسين. غير أن هؤلاء أيضاً لهم إكليل الشهادة.

القديسة كاترين السينية من القرن الرابع عشر، قد تسببت في توبة أحد المجرمين كان قد حكم عليه بالإعدام، وكانت قد ذهبت لزيارته بالسجن. فطلب منها أثناء الزيارة أن تبقى معه وهم يطيحون برأسه. فما كان منها إلا أن ذهبت إلى مكان الإعدام وأخذت تصلى من أجل سلام ونور يملأنه حتى آخر لحظات عمره. ليس من صلاة أكثر فاعلية من تلك التي تصليها وأنت تضع نفسك في مكان الشخص الذي تصلى من أجله. لقد مات المجرم السابق وكلمات يسوع وكاترين على شفتيه، ثم ذهب إلى عرس الخروف بعدما اغتسل بدماء الحمل. يجب أن نتوحد في الصلاة مع الشهداء، بخاصة أولئك الضعفاء الذين لا يقدرون أن يظلوا محبين وأنقياء إلى النهاية. فلنصلى من أجلهم لأنهم بشر، ولا يستطيعون الصعود دائماً إلى المرتفعات. فما من راقصة بالية تستطيع أن تظل واقفة على أطراف أصابعها كل الوقت طوال أربع وعشرون ساعة. حتى أكثر الناس نبلاً من هؤلاء المتألمين من أجل المسيح يحتاجون إلى التعزية والتشجيع، إنهم يحتاجون أن يكون لهم صديق على أهبة الاستعداد أن يستر خطاياهم – ودعني أخبرك أن الأصغر بيننا يمكنه أن يكون نافع في هذا المضمار.

إن أولئك الذين يخوضون تجربة السجون الشيوعية هم فقراء إلى حد العدم، فحين يتم القبض عليهم يفقدون بيوتهم وأثاثهم والكثير منهم لا يستطيع أن يعمل بسبب اعتلال جسده وذهنه. كما أن أبنائهم يمنعون من دخول المدارس، لذا فهم في حاجة ماسة إلى المساعدات المالية. يقول القديس أمبروس «من كان منكم يستطيع أن يساعد إنساناً فقيراً ولا يفعل ذلك فهو لص، وإذا مات الفقير فهو كذلك قاتل». فلنأخذ حذرنا إذ أن الشخص الذي قد نقوم بسرقته أو قتله بهذه الطريقة قد يكون إنساناً مسيحياً يتألم من أجل إيمانه.

*١٩- شهداء علي مستويات مختلفة

لقد مات إيفان (Ivan Horev) في السجن من أجل المسيح وسجن ابنه نيقولا (Nikolai) من بعده لمدة عشرين عاماً. من قوانين السجن أنه إذا دخل ضابط إلى زنزانة، على الجميع أن يقفوا انتباهاً، وذات مرة لم يقف الابن بسرعة كافية حين دخل الضابط إلى الزنزانة، ولأجل ذلك حكم عليه بالسجن في حبس انفرادي لمدة مائة يوم حيث كان يقدم له الطعام مرة واحدة كل يومين. بعد ذلك عوقب بأن وضع في صندوق يتسع له فقط وهو في وضع الوقوف، وكان حافي القدمين بينما كان بالصندوق أسنان محدبة السنون. وكان عليه أن يقف مستخدماً مشط رجليه أو كعبيه فقط حتى يحمى قدميه من هذه السنون، و كلا الوضعين مؤلم للغاية. وبعد وقت فقد وعيه، وحين استعاد وعيه تذكر أنه كان في مكان جميل حيث تعلم القول التالى: لا تحول وجهك أبداً عن معذبيك في غضب. إن الرب يسوع – المعلم الأعظم – لم يحول وجهه قط عن أولئك الذين بصقوا عليه. لذا فانظر إلى أعدائك بنفس الحب الذي تنظر به العروس إلى عريسها. إن إيفان ينتمي إلى أولئك الأشخاص الذين ارتفعوا إلى مجالات روحية عالية. بعد ذلك سجن بنجمين (Benjamin) ابن نيقولا في نفس الزنزانة، وفيها وجد حفر على الحائط يتحدث عن محبة الأعداء.

لكل مسيحي صليب عليه أن يحمله. غير أن البعض يحمله وهو يحب أولئك الذين يفرضون عليه الصليب حباً شديداً، إنه يستطيع أن يبتسم لمعذبيه. غير أن هذا المستوي لا ينطبق على جميع الشهداء، لأنهم ليسوا على نفس المستوى الروحى، فالبعض، خاصة هؤلاء الذين يقتلون من أجل المسيح وهم مازالوا أطفالاً في الإيمان، نجدهم يصرخون قائلين: «**حتى متى أيها السيد القدوس والحق لا تقضي وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض**» (رؤ ٦ : ١٠).

إن الله في حكمته يُبقى هؤلاء الشهداء تحت المذبح، فأنه أمر خطير أن

إن الكنائس التي عانت من الإضطهاد لديها مثل هؤلاء القديسين. لقد كان القس اللوثري تروجوت هان (Traugott Hahn) الذي قتل على يد الشيوعيين في لاتفيا هو أحد هؤلاء القديسين، وقد كتب ذات مرة قائلا:

«إن سمو المسيحية يبدأ مع بداية الاستشهاد والتضحية. فمن الحماقة أن نتوقع السعادة هنا على الأرض – فما الحياة إلا إنكاراً للذات. إن التخلي عن كل الاشياء، حتي نضع الكل على المذبح من أجل الله والكنيسة ولا يتبق لنا سوي أن نتبعه يعتبر أكثر من مجرد السعادة – إنه غمر من البركات».

١٨* - متسول شهير فى تاريخ الكنيسة

القس اللاهوتي الشهير تولر (Tauler . J)، والذي كان المصلح الديني مارتن لوثر يعتبره معلمه، قد شعر في داخله ذات يوم أنه لا يمتلك الجوهر الحقيقي في داخله – أى العلاقة الحميمة مع شخص المسيح. عندئذ، أخذ يصلي لسنوات ليتقابل مع شخص تكون له مثل هذه العلاقة، غير أنه لم يجد بين زملاءه من هو قد حصل عليها. ذات يوم، سمع صوتا يقول: اذهب الي الكنيسة وهناك ستجد الشخص الذي تبحث عنه، فذهب وهناك في شرفة الكنيسة وجد متسول يرتدي أسمالاً بالية، فحياه تولر قائلاً: نهارك سعيد، فأجاب المتسول: لا أتذكر أنني مررت بيوم غير سعيد. فقال تولر: إذاً أتمني أن تكون حياتك سعيدة. فأجاب المتسول: لم أكن قط تعيس، فكل أيامي طيبة؛ لقد سبحت الله وأنا جائع، وسبحته حين كانت السماء تمطر أو تنزل جليداً، وسبحته حين كنت بلا مأوى، وحتي حين واجهت احتقار الآخرين أو تعرضت لأي شر، لم أتوقف عن شكره وتسبيحه. إنى سعيد لأني قد طوعت إرادتي لتشاء ما يشاءه الله لي دون أي تحفظ. إنني أقبل من الله كل ما يمنحني إياه بفرح، سواء كان حلواً أو مراً، وهذا يجعلني سعيداً.

فسأله تولر قائلا: وماذا تفعل إذا ما لعنت بالعذاب الأبدى؟ فأجاب المتسول: إنني أمتلك يدان، وتواضع، وحب، وبهذه جميعاً سأحتضن الله بشدة حتي إذا ما كان على أن أذهب إلي الجحيم فسيتحتم عليه أن يدخل معى. إنني أعتبر الجحيم معه أفضل من الفردوس بدونه.

فسأله تولر: ومتي وجدت الله؟

فأجاب: حين رفضت التعلق بأي كائن آخر.

ثم سأله تولر: ومن أنت؟. فأجاب: أنا ملك

– وأين توجد مملكتك؟

– هي في قلبى، لقد منحني إياها المسيح حين سفك دمه لأجلى.

لهذا الجنون، ليضرب شخصاً لم يصبه بأذي؟ وبسبب اهتمامها المملوء بالحب، أصبح هذا المعذب رجلاً آخر. لقد سارت في طريق صعب، ولكنه جدير بها هذا لكونها ابنة لله. وهكذا يجب علينا أن ننظر إلى شركاء الحياة والأطفال والآباء الذين ينتمون إلى أديان أو أحزاب أو أجناس أو طبقات تختلف عن تلك التي ننتمى إليها، بل وإلى أولئك الذين يتصارعون معنا أيضاً. فإذا ما وجدنا في أنفسنا القدرة على الحب والغفران لهم والتفاهم معهم فلنعلم أننا ربما نكون قد رأينا ملاكاً شفافاً.

بينكما، وغير من نظرتك لهذا الشخص.

كانت هناك فتاة صغيرة اسمها (Liuba Ganevskaya) قد تم القبض عليها من قبل الشيوعيين الروس من أجل إيمانها، وسجنت في زنزانة انفرادية وتم تجويعها وضربها. وذات ليلة قالت لنفسها كفى لن أقبل كل هذا الضرب. إذا ما ابتدءوا في ضربي مرة أخرى فسوف أقول للضابط في وجهه أنه مجرم، غير أنه في تلك الليلة بينما كان الضابط يتعتها بأفظع الألفاظ، وكان على وشك أن يضربها من جديد، حدث شئ جعلها تراه بصورة جديدة. لقد أدركت للمرة الأولى أنه كان متعب من الضرب كما كانت هي متعبة من الضرب الذي تناله. لقد كانت منهكة من قلة النوم، وكذلك كان هو. لقد كان هو متعب وخائر القوى محاولاً أن يحصل منها على إدانة الآخرين كما كانت هي متعبة من الآلام التي كانت تعانيها منذ رفضها للخضوع له. لكنها سمعت صوت يقول لها أنه مثلك تماماً، كلاكما أسير هذه الحياة بما تحمله من مآسي. إن دكتاتور الشيوعية الأول قد قام بقتل الآلاف من أبناء الله، غير أنه قام أيضاً بقتل عشرة آلاف من رجال الشرطة السرية الخاص به. لقد أمر بقتل ثلاثة من رؤساء الشرطة السرية(Yagoda, Yezhov and Beria) بصورة متتابعة فأطلق عليهم رغباتهم الرصاص تماماً مثلما اضطهدوا المسيحيين. أنت ومعذبيك كلاكما يمر بنفس الوادي المملوء بالدموع. لقد نظرت الفتاة للشخص الذي كان ممسكاً بالسوط وكان على وشك أن يضربها، فابتسمت له، فما كان منه إلا أن ذهل فسألها لماذا تبتسمين. فقالت له إنني لا أراك كما قد تظهر لمرآة صورتك الآن. إنني أراك مثلما كنت ذات يوم طفل بريئ وجميل. نحن في نفس السن تقريباً وربما الذين كنا رفقاء وأصدقاء نلعب معاً حين كنا أطفال. لقد شبه الرب يسوع أولئك الذين صلبوه وجلدوه بالأطفال. قالت الفتاه للضابط: إنني أراك الآن كما أتمنى أن تكون فيما بعد. لقد كان هناك شخص مضطهد للمسيحيين ذات يوم أنه شاول الطرسوسي وقد اصبح فيما بعد رسولاً وقديساً. لقد رأت هذه الفتاه ملاكاً شفافاً وبعدها هدأت من معاناة معذبها. سألته عما يدفعه

١٧* - ملائكة شفافة

في عام ١٩٧٣ استشهد شاب اسمه (Vanya Moiseev) من رومانيا تحت الحكم الروسى. إن حياة هذا الشاب هي مثال لنا. كان هذا الشاب جندي في الجيش السوفييتي وكان له إيمان كشأننا جميعاً غير أن إيمانه كان من النوع المعدي. إذا ما أصيب أحدهم بالبرد فغالباً ما يحدث أن يصاب به آخر وهكذا كان إيمان هذا الشاب. تحدث هذا الشاب مع زملائه من الضباط وتغنى عن مجد المسيح في الثكنات الخاصة بهم، برغم أنهم قد حاولوا مُنعه من ذلك بشدة، ولكنه أجاب مهددوه قائلاً: إذا ما هُدد عصفور الكناريا بالموت لأنه يغنى فأنه لا يتوقف عن الغناء، فمن يستطيع أن يتنكر لطبيعته وهكذا نحن المسيحيين. إن غناء هذا الشاب قد أتي بالكثير من زملائه الجنود للمسيح. وكان العقاب الذي ألحقوه به هو أن يقف طوال الليل خارج الثكنات في الشتاء القارص وهو لا يرتدى إلا الزي الرسمي الصيفى. لقد ضرب بالسياط ثم طعن بسيف وهكذا حمل في جسده بصمة الرب يسوع وآلامه وجراحه. لقد تحمل آلامه بشجاعة وهو يقول أن ملاكاً قد أراه أورشليم المدينة السماوية. لم يكن شخصا مثقفاً، غير أنه قد قام بوصف الملائكة بصورة لم يكن من الممكن لأحد اللاهوتيين أن يصفهم بها مثلما فعل هو. لقد قال أن الملائكة شفافة فإذا ما وقف ملاك حائلاً بينك وبين رجلاً آخر فلن يحول وجود الملاك دون رؤيتك للرجل، بل على العكس فأنك ترى الرجل أكثر جمالاً حين تراه من خلال الملاك، وهكذا أرى معذبى، أراهم من خلال الملاك فيصبحوا محبوبين لدى.

أعلن الكثير من الناس مؤكدين أن الملائكة غير مرئيين، غير أن الرب يسوع أكد لنثنائيل أنه سيرى ملائكة الله وذلك في (يوحنا ١ :٥١). فإذا كان نثنائيل يراهم فلماذا لا نراهم نحن أيضاً؟ لكن ما يجب علينا أن ندركه هو أنهم شفافين. في كل مرة ترى الجانب المضيء لشخص كنت قد رفضته من قبل وحكمت أن لا رجاء منه، هذا يعنى أن ملاكاً قد جاء ووقف حائلاً

نعرف كلماتهم ولكننا نعرف أنهم قضوا الكثير من الوقت مع الرب وحدهم ونتيجة لذلك كانوا يضيئون مثل النجوم في شعلة الإنجيل وفى ذاكرة جميع زملائهم من المساجين. يقول إنجيل مرقس (٤ : ٣٤) أنه بغير أمثال لم يكن الرب يسوع يكلمهم، غير أنه لم تكن تخلوا أمثال الرب يسوع من آثار الحزن. نحن نعلم أن الرب يسوع قد بكى، لكن ليس لدينا أي دليل على أنه كان يبتسم أو يضحك. من المؤكد أنه كان لا يشعر بالراحة وحوله رجال الدين والساسة الذين كانت شفاههم تحمل ابتسامة مهينة. فى أحد الأمثال قال لهم أن الزارع يجب أن يحزن على الثلاثة أربع من البذور المزمع أن يفقدها، وأن حبة الخردل هي التي تنمو وتصبح شجرة كبيرة وهذا جاء في (مرقس ٤). إن النمو الهائل الذي يحدث للنباتات قد حدث فقط بعد انفجار القنبلة الذرية في اليابان. إن المآسي هي التي تجعل حبة الخردل في ملكوت السماوات تنمو نموا هائلا، وكذلك الكنيسة تنمو بسرعة كبيرة جداً حين ترويها دماء الشهداء. إن جميع المسيحيين يجب أن يعلموا أنهم لابد أن يواجهوا المآسي والصدمات الشخصية. وبالرغم من أن الله يستطيع أن يحمينا وأن يعطينا أياماً سعيدة، ولكن ليس للمؤمن أن يُعفى من الأزمات والتجارب والشدائد – فلتتوقع هذه الشدائد بسكينة وتسليم.

الرجل (اسكندر) كان وكأنه شخص مختلف، وجميع الذين نظروا قد أدركوا أنه كان مع الرب برغم أنه كان غير متعلم وجاهل مثل بطرس ويوحنا. كان نزلاء المعسكر يستسلمون للضرب وإطلاق الرصاص، ولكن حين أطلق الرصاص على هذا القديس – والذي كان مجهولاً حتى أن اسمه لم يكن معروفاً بصورة مؤكدة – فإن جميع نزلاء المعسكر والذين كان عددهم ألفين وخمسمائة نزيل – منهم لصوص وقطاع طرق وخمسمائة سجين سياسي – ثاروا واحتجوا. لقد رفضوا العمل وقاموا بالهجوم على الحراس وكان مطلبهم هو عقاب الشخص المسئول عن إطلاق الرصاص على اسكندر، وفى النهاية استطاع الشيوعيون أن يقبلوا الاحتجاج بعدما قاموا بقتل حوالي سبعمائة مسجون سياسي ومجرم. لقد ماتوا وهم يظهرون ولائهم لرجل لا نعرف عنه سوي أنه استطاع أن يحتفظ بهدوئه وخصوصيته واستطاع أن يعيش في شركة وهدوء مع الله وكانت له حياة الصلاة في المخدع وهو في زنزانة في السجن. قد يكون اكثر جدوى أن نصبح مثل رجل قد يكون اسمه اسكندر بدلاً من أن نعقد مؤتمرات حول أساليب التبشير الحديثة. لقد انتقيت هذه القصة من بين العديد من القصص، فمثلاً هناك قصة رجل آخر اسمه (Zdorovets) قد ضرب بضراوة في أحد السجون السوفيتية، وآخر اسمه (Dubizki) قد أدخل له السم في السجن وتم تسميمه، وكذلك آخر اسمه بطرس (Peter Siemens) أحد المساجين الشيوعيون والذي كانوا يدعونه مسمم النفوس في الجرائد والمجلات الشيوعية، وذلك من أجل أنه أتى بالعديد من الناس إلى المسيح وبسبب هذا حكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة سنوات.

إن هؤلاء المسيحيين عظماء ليس من أجل ما كتبوه وقالوه، لأننا لا

*١٦- أبطال في وسط أفظع الأهوال

لم يستطع أحد أن يصف جميع الفظائع والأهوال التي اقترفتها الشيوعية، وقد كتب أحد نزلاء معسكرات العمل يصف أحد هذه الفظائع فقال أن أحد الضباط الشيوعيين قد قام بتقييد امرأة وتكميمها ثم أخذ شمعة كبيرة ووضعها في داخل جسد المرأة وقام بإشعالها وقال للمرأة لديك القليل من الوقت لتفكري قبل أن تصل الشعلة لجسدك وحين تقرري بأنك على استعداد لتوقيع الاعتراف فلتغلقي عينيك ثلاث مرات. ووقف الضابط في هدوء ينظر فيما تشتعل النار في جسدها وقام بسحب الشمعة مرة واحدة ليشعل بها سيجارته ثم أعادها مرة أخري. وكان المساجين الذين يحاولون الهرب يضربون بضراوة ويقيدون في غزلان البرية ويتم جرهم حتى الموت. وقد تم إرغام أحد المساجين على العزف على الهرمونيكا بجانب أجسادهم المائتة فيما كان المشهد واضح للجميع .وهناك روايات أخرى كثيرة تحكى عن هذه الفظائع غير أنه هناك وجه آخر لهذه الروايات والذي لولا وجوده لم أكن لأحكي هذه الفظائع .هذا الوجه الآخر هو الذي يعوض عن قبح تلك الفظائع .كتب أحد المؤرخين (Solzhenitsyn) في الجزء الثالث من كتابه (Gulag Archipelago) عن مبشر قد يكون اسمه اسكندر (Alexander Sisoiev) . لم يقم هذا المبشر بطبع وعظاته، ولم يظهر بالتليفزيون، ولم يكن له حملات إعلامية، ولكن كما أن الكتاب المقدس لم يذكر أي شئ عن عظات الرب يسوع بل فقط أنه تألم وصلب وقتل على عهد بيلاطس البنطي، هكذا لا يذكر التاريخ عن اسكندر غير أنه قد أطلق عليه الرصاص في أحد معسكرات الاعتقال بعدما أمضى سنوات من السجن في شركة مع إلهه. كان إطلاق الرصاص على الأبرياء أمر شائع في هذا الوقت ولكن ذلك

١٨٤٥ . إن مخترع التلغراف هو صموئيل موريس، وكان معروف أن والده جورج موريس هو واعظ مشهور. لقد كتب هذا النص الكتابي منذ حوالي ٣٠٠٠ عام وقد دخل إلى أعماق الكثير من الأجيال التي عاشت على الإيمان بأن هذه النصوص التي كتبت على مدى ألف وخمسمائة عام لم تكن بها خطأ واحد. لقد طبع الكتاب المقدس لأول مرة عام ١٤٥٥م وقد كان أول كتاب يطبع على الإطلاق في العالم. إن أعمال الله حقاً هي عجيبة في جميع الأشياء: في الطبيعة والفنون، في حياة الناس ومصائرهم، في مصير البشرية وخصوصاً كنيسته. كم هو مبهج أن نتأمل في أعمال يديه. في عقله الخلاق المبدع في كل ما يحيط بنا. إن الكتاب هو أول كتاب قرأه رواد الفضاء وهم يطوفون حول القمر. أري من رسائلك أنك قلقة بسببى. لا يجب أن تقلقي يا حبيبتى. فلتهتمي بصحتك ولا يضطرب قلبك. وصلى أن يمتلئ قلبك بسلام. لأن كل الأشياء تحدث وفق مشيئته.

إن المسيحيين السوفييت يرون إرادة الله ومشيئته الصالحة حتى وهم يواجهون فظائع الشيوعية ويتحملونها. في حين أن غير المؤمنين أو أولئك الذين يؤمنون إيماناً سطحياً يقولون للرب يسوع فلترحل من عندنا، لقد جعلتنا نفقد قطيع من الخنازير (مرقس ٥ : ١٤ – ١٧) إن هذا الكتاب قد كتب للقراء الذين يواجهون أنواعاً مختلفة من الشدائد. كتب ليعلن السلام الكامل لأولئك الذين يواجهون الشدائد من أجل المسيح. إن مثل هذا السلام هو عطية الله ولكن يجب أن يراعى حتى يستمر.

مجموعة مسيحية روسية تم اكتشاف حوالي عشرين جثة لرجال ونساء تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٥٠ عاماً. كان الكثير منهم قد دفنوا أحياء. فمثل هذه العقائد تنهى قوة الرجال عن طريق الصوم عن اللحم والمواد الغذائية الأخرى اللازمة للحياة، وكذلك بسبب الحياة المتقشفة التي يحيونها. وفي مثل هذه الظروف القاهرة والثقيلة في هذه المجتمعات الدينية غالباً ما تُقترف جرائم كثيرة وكذلك تؤدي هذه الظروف إلي أمراض عقلية».

لقد اتُهم المسيحيين افتراءً أنهم قد قتلوا اخوتهم، وكثيراً ما وجهت للمسيحيين في الاتحاد السوفيتي جرائم قتل طقسي بادعاء أن إيمانهم كان مبنى على أنهم يجب أن يقوموا بقتل أحد أعضاء من الكنيسة حتى يحصلوا على مغفرة لخطاياهم من الله. غير أن هذه هي المرة الأولى التي وجهت فيها مثل هذه التهم للمسيحيين. ليس أنهم اتهموا بقتل أفراد فقط ولكن بقتل جماعى. أنه معلوم في جميع أنحاء العالم أن الرب يسوع قد علم المسيحيين أن يحبوا النفوس ويخلصوهم، ولكن في المعسكرات الشيوعية وحدها انتشرت الافتراءات أن المسيحيين يقومون بعمليات قتل في أثناء خدماتهم الدينية. وفى الخمسينات أيضاً اتهمت الراهبات الكاثوليكيات بأنهم كانوا يقتلون الأطفال بالمستشفيات. لم يحدث في أي مكان آخر في العالم أن وجهت للراهبات مثل هذه الاتهامات وهذه الممارسات. إن مثل هذه الاتهامات الوحشية التي وُجهت للمسيحيين كانت بالفعل مثار للسخرية.

إن المسيحيين السوفييت ليست لديهم حياة ليضيعوها. لقد نجح مؤمن مسيحى في أن يُهرب الرسالة التالية من عمق جحيم السجون السوفيتية. هذه الرسالة تظهر قلباً مملوءاً بالسلام والمحبة التي تكاد تكون غير مدركة للأهوال المحيطة بها:

«**عظيمة هي أعمالك يارب**» (مزمور ١٣٩: ١٤) أود أن أحييكن وأهنئكن بهذه الكلمات يا أمي العزيزة ويا ابنتي العزيزة في عيد ميلادكن. هذه الآية من الكتاب المقدس هي أول برقية أرُسلت إلى العالم في عام

الباب الرابع

رحلات نحو المجد

*١٢- مثل يوم البشارة

حين كنت في السجن كان هناك سجين شاب اسمه يوحنا ليچاچانو (John Lugajano) . ذهب يوحنا إلى المحاكمة وحين عاد كان وجهه منيراً، فسأله زملائه في السجن عما حدث فأجاب قائلاً: كان مثل اليوم الذي بُشرت فيه العذراء مريم، ياله من يوم. عذراء عفيفة تجلس وحدها لتتأمل، فجأة يظهر أمامها ملاك ويخبرها أنها – وهى مخلوقة – ستحمل الخالق وهو طفلاً بين ذراعيها، وإنها وهى المخلوقة ستقوم بغسل الخالق، ستقوم بغسل الشخص الذي يقوم بغسل ملايين من البشر فيما بعد من خطاياهم. ستقوم وهى المخلوقة بتعليم الخالق كيف يمشي، ستقوم بتعليم كلمة الله الأزلي كيف ينطق ويتكلم. سيكون هو فرحة بيتها وشمسه الساطع. سيكون هناك أوقات من الضيق – فستقف باكية عند أقدام الصليب حيث يموت ابن الله وابنها من أجل خلاصنا. غير أن هذه الأوقات ستمر، فسيقوم من الأموات ويصعد إلى السماء ومن المؤكد أنه سيدعو أمه لتكون معه. وهناك سيعود الفرح من جديد بلا نهاية. لقد شكره المساجين على هذه العظة القصيرة اللطيفة غير انهم أكدوا على سؤالهم مرة أخري، لقد سألناك عن شئ أخر ماذا حدث في المحاكمة؟ فكرر عليهم ما قاله: لقد قلت لكم بالفعل لقد كان اليوم كيوم بشارة العذراء مريم، لقد حكموا على بالموت. أليس هذا رائعاً؟ أبواب من اللآليء، وطرق من الذهب، والملائكة تعزف القيثارات، وجميع القديسين كل هذا ينتظرنى. وفوق كل شئ سأتكئ على صدر الرب يسوع. بهذا كان مسيحيو البلدان الشيوعية يواجهون الألم والموت. هناك الكثير الكثير نتعلمه منهم.

* ١٣ - لن تضيع النفوس الضائعة فيما بعد.

في السجن في بلغاريا كانت هناك حفرة مملوءة بالكلاب الجائعة، وكان يلقى بالمساجين في هذه الحفرة وهم عراة إذا ما قاموا بكسر قوانين معينة من قوانين السجن. أُلقي بالأخ تروفيم ديمتروف (Trofim Dimitrov) وهو مقيد إلى الحفرة، فأخذ يصلى من أجل أعداءه الذين القوا به إلى الكلاب، وفى الحال سمع صوت عالي وحين نظر الضباط إلى الحفرة وجدوا هذا الأخ راكعا يصلي، في حين أن الكلاب كانت تنبح في ذعر وهي تحاول جاهدة أن تتسلق الأسوار حتى تنجو من القوة الغريبة التي اجتاحتهم. مازال هذا السر غامض: لماذا يجرى الله المعجزات للبعض فيما البعض عليهم أن يجرعوا الكأس إلى أخر قطرة.

في كوبا كان هناك حوالي ٣٠ الف سجيناً سياسياً، و كان من بينهم من حُكم عليهم من اجل إيمانهم. وقد جيء بوثيقة كان قد تم تهريبها من السجون الكوبية أن اخوتنا من بين آخرين قد تم إرغامهم على الاستحمام بمياه باردة كالثلج، تليها مياه ساخنة وبعد ذلك ألقى على جسمهم بمسحوق كبريتي يجعل جلدهم يحترق. كانت أجساد المساجين تسحق تحت الشاحنات والأوناش.

وفى المجر كتب أحد المساجين عن زميل لهم، هدده الشيوعيين عن طريق توجيه بنادق إلى رأسه أنهم سوف يقتلونه إذا لم يقم بالاعتداء على ابنته جنسياً، غير أنه فضل الموت على ذلك. كثيراً ما يتهمني البعض بتهويل الأمور في البلاد الشرقية. غير أنه كيف يمكن لإنسان أن يقوم بتهويل ما هو بالفعل مهول. كتبت إحدى الصحف السوفيتية عن مجموعة معينة من المسيحيين انهم قد فقدوا هويتهم الإنسانية، وادعت هذه الصحيفة ما يلى:

«أنهم يحطمون أخوتهم وأخواتهم من نفس عقيدتهم، وكذلك أولئك الذين يمثلون خطراً عليهم. عند تصفية غرف الموت السرية الخاصة بالأبرياء وهم

*١١- فلنصل إلى المرتفعات

نحن الآن في عام ١٩٧٣ وقد بلغت من العمر ثلاثة وثمانين عاماً. يوجد شخص في الكتاب المقدس يدعى برزلاى (Barzillai)وقد وصفه الكتاب أنه قد طعن في السن برغم من أنه كان يبلغ من العمر ثمانين عاماً فقط. لقد امتلأت حياتي بالآلام كما أنه على الآن أن أحمل الكثير من الأعباء، لذا كان من الطبيعي أن أسأل نفسي إذا كان من الممكن أن أنتهي من هذا الكتاب الجديد. حين قال الجنرال موريس لنابليون أن عبور جبال الألب صعب للغاية، سأله الإمبراطور هل من الممكن عبوره؟ فأجاب الجنرال إذا ما بذلت جهداً غير عادى تستطيع ذلك. فقال الإمبراطور إذا لنعبر. كان على جيش نابليون أن يعبر جبال الألب، كذلك كان على أن أعبر حاجزاً وأود أن نعبره سوياً. في مواضع كثيرة يخبرنا الإنجيل عن وصية الرب يسوع إلى تلاميذه أن يعبروا إلى الضفة الأخرى من بحر الجليل ويسبقوه إلى هناك، و في مواضع أخرى يصطحبهم إلى هناك.

إن الكتاب المقدس له معاني روحية ولكن أيضاً له معاني تاريخية. فبالرغم من أننا نعيش على وجه الأرض فنحن نحتاج في بعض الأحيان أن ننطلق إلى آفاق أخري. وهذا ما حدث مع بولس ورفقائه وهم في السجن. كانت لهم أوقات للراحة حين كان يحيط بهم ملائكة وليس سجانين ومعذبين، فما كان عليهم بعد ذلك إلا أن يعبروا البحر مرة أخرى ويعودوا إلى العالم المادي وأبوابه المغلقة وقضبانه الحديدية وعصا الجلاد والصلبان، ثم بعد حين سيعبرون مرة أخرى إلى عالم الروح. لقد عانيت من الآلام والصراعات تحت الحكم الفاشي والشيوعي كما أنى واثق أن بعضكم من يعيش في العالم الحر ويحمل صليبه أيضاً. غير أننا نرى الهدف من هذا الكتاب أن نصعد بأنفسنا ـ الكاتب والقارئ معاً ـ إلى آفاق عالية، وننتصر على كل ما هو تافه في الحياة الإنسانية. نصعد إلى مكان نستطيع من خلاله أن نحصل على رؤية أفضل لحياتنا وبيوتنا ومسيحيتنا وبلادنا. قد لا تكون هذه الرحلة بسيطة، لكننا بمعونة الرب سننجح.

بعدما انكسرت أرواحهم من جراء الألم. لقد كتب نفس الشخص خطاباً بعد ذلك يقول فيه:

«إنني أحنى رأسي وركبتي امتنانا من أجل صلواتكم وأعمالكم الرحيمة دفاعاً عن الكنائس الروسية المضطهدة. فنحن في معسكرات الاعتقال مدفونين في وحدة الحبس الانفرادي الشبيهة بالقبور في عمق السكون الذي يحول الوقت إلى عذاب. حين بدا أن العالم قد نسيني أدركت حسياً أن صلواتكم قد بثت الدفء في برودة الزنزانة. لقد صحبتني هذه الصلوات من خلال الإيمان الواحد. لقد امتدت أياديكم عبر الأسلاك الشائكة والحوائط المرتفعة لكي تصل إلينا. إن قوة حبكم قد بدلت يأسى إلى أمل لا يقهر. إن الرب يسوع الذي يرى الكل قد سمع صلواتكم وفتح أبواب السجن. نحن نرى محبتكم فالإيمان والأعمال معاً يغيرون التاريخ».

كان قد طالب بالكتاب المقدس ولكن لم يسمحوا له به. إن ما قاده لليأس هو السكون القاتل حوله. كشأننا جميعا كان هذا الشخص يتوق إلى المحبة. كثيراً ما تكون محاولات الانتحار والكلمات القاسية ما هي إلا تعبير عن رغبة إنسان ولسان حاله يقول اظهر لي محبة وتقدير. لقد كتب إلى أمه يقول:

« إن الرجال يعذبون بصورة بشعة لدرجة أنهم يتمنون الموت. إن الجنود الذين لا أمل في شفاء جروحهم يطلق عليهم الرصاص. لكن بالنسبة لي يجب أن أحتمل هذه الآلام طوال حياتي. إن الانتحار يعتبر خطية لا تغتفر ولكني قد اقترفتها. لو أن مضطهدي يقتلونني لكنت الآن حراً من آلامي. لن ينقذني سوي الرأي العام، ولن يحدث هذا بدونك. لما لا تكتبي لي لتعرفيني بأحوال ابنى؟ هل يذهب إلى الكنيسة؟ هل يتناول؟ هل يرتدى صليبه؟ يجب ألا يذهب إلى هيئة الأطفال الشيوعيين لأنه مسيحى. إذا لم تكتبي لي سأسلم نفسي بالكامل لمعذبي دون أية مقاومة. إن صمتك هذا بمثابة طعنة في ظهري. صعب على الإنسان أن يدرك أنه لا يوجد من يحتاج إليه. أنه مقدر لك أن تحيا حياة مملوءة بالطاقة دون أن تحصل على أي تعاطف، إنما يجب عليك أن تجوع وتعانى من البرد وتحرمى من الكتب حتى أن الحياة نفسها وهى هبة الله تصبح كتلة من الألم المتواصل، فليحرسك الرب».

كان الرسول بولس يعرف أن أفضل الناس يعبرون فى مثل هذه الفترات المليئة باليأس، فقد كتب يقول: قوموا الأبادي المسترخية والركب المخلعة. لقد قامت الإرسالية بنشر خطاب هذا الشخص وعنوانه في عدة بلدان. وقمنا أيضاً بنشر خطاب من سجين آخر كان قد أطلق سراحه وحين عاد لأسرته وجدهم جياعاً، ولم يجدوا أي شئ يقدمونه له فما كان من بعض الجيران إلا أن قدموا بعضاً من البطاطا للعائلة المعدمة وكانت حبة البطاطا تلك هي الوجبة الأولى التي تناولها بعد سنوات من الحرمان والتجويع في السجن. وكانت نتيجة هذه الحملة أن بعض القراء قد كتبوا لهؤلاء المتألمين ليطمأنوهم على عائلاتهم، وكانت هذه الرسائل ترفع من معنوياتهم ومنحتهم الرجاء

* ٣٧ - فلنتغذي بالأمثلة الرائعة

يقول الرسول بولس « **وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق** » (أف ٤ : ٢٤) إن الناس كثيراً ما يخلطون بين الصلاح والقداسة برغم أنهما فضيلتين مختلفتين تماماً « **ورأى الله كل ما عمله فإذ هو حسن جداً** » (تك ١ : ٣١) . وبعد ذلك نقرأ عن شئ مختلف تماماً « **وبارك الله اليوم السابع وقدسه** » . (تك ٢ :٣) إن التقديس ينتمي إلى بعد آخر من الصلاح . قد يكون إنسان صالح جداً، غير أنه بدون الله لا يكون مقدس كما أن هناك أمثلة لأشخاص مقدسين دون أن يكونوا صالحين . أين هو صلاح جدعون أو يشوع أو يوئيل ؟ لقد كانوا مقاتلين من أجل نصرة شعب الله، ومن أجل هذا كانوا مقدسين . إن كل من يقرأ سيرة أثناسيوس أو لوثر أو كالفن يجد أقل القليل من الصلاح فيهم . لقد حاربوا بضراوة من أجل الحق الذي أؤتمنوا عليه، وقد واجهوا معانديهم دونما هوادة من أجل هذا الحق . لابد وأن يكون هذا الحق غالب . لقد تسلمنا هذه الوصية : أن نكون قديسين بأن نلبس الإنسان الجديد . كيف يمكن في الواقع أن يلبس رجلاً إنساناً جديداً ؟ إن الجواب هنا هو أن يتغذى بالطعام الروحي السليم . إن الديدان التي تحيا في الظلام يمكن تهيئتها لكي تحيا في النور، ولكن حينما تنسحب إلى الظلام، تصاب بصدمة كهربائية، بينما إذا خرجت للنور فستجد طعاماً وفيراً . وهكذا تلبس هذه الديدان ديدان أخرى جديدة، فتكون النتيجة أن تفضل هذه الديدان النور عن الظلام عكس فصيلتها من الديدان . ثم تقطع هذه الديدان إلى قطع صغيرة وتضاف إلى طعام ديدان أخري، ويحدث العجب العجاب إذ تغير الديدان عاداتها وتفضل أيضاً النور . إن الخلايا والمواد التي بها DNA ، وكذلك الذاكرة تتبرمج بحيث تختلف كلية . لقد تمت هذه التجارب كذلك على حيوانات أخري .

إذا ما أردت أن تلبس الإنسان الجديد، إنسان البر والقداسة فلتتغذي على الرب يسوع الذي دعا نفسه خبز الحياة . لقد صار جسداً حتى يصبح طعامنا

اليومى. كذلك تغذى على الأمثلة من القديسين والشهداء. حين نعمل ذلك سنتغير. إن الإنسان الذي يغذى عقله على البرامج التليفزيونية التافهة، ويقرأ الكتب السيئة، أو يختار الصحبة الرديئة، يصبح سطحي في توجهاته، وشرير في سلوكه، غير أنه بالإيمان يمكننا أن نلبس الإنسان الجديد، دون أي جهد، فقط بأن نمسك بالرب يسوع الذى يجعل أرواحنا تتغذى بالأمثلة الرائعة للإيمان التي يقدمها لنا الشهداء. ولهذا أكتب عن هذا الكم الكبير منهم. لقد كنت ذات يوم في السجن مع أحد القساوسة السبتيين وكان من المفترض أن يفرج عنه في نفس اليوم الذي أفرج فيه عني، وحين سأله الضابط الشيوعي : ماذا ستفعل الآن ؟ أجاب : سوف أبدأ في عملي المسيحي من جديد، سواء منحتني الإذن أو لم تمنحني، سوف أكمل ما بدأته حين تم القبض على. وقد نفذ ما قاله بالضبط، وحُوكم مرة أخري، وحين سأله القاضى هل تؤمن أن يسوع سيأتي ويهلك أعداؤه ؟

أجاب : بالطبع سيفعل ذلك.

هل سيهلكني أنا أيضاً ؟

دون أي شك أؤكد لك أنك إن لم تتب سوف تهلك مثل الجميع.

فسأله القاضى : هل تندم على أنك وعظت ضد القانون ؟

قال: لماذا تضعون قوانين حمقاء تمنع ما هو مسر لله ؟ إذا ما طبقتم هذه القوانين فسوف يعاقبكم الله هنا وفى الأبدية.

فأجاب القاضى: نحن لا نسمح لك بالوعظ (في البلاد الشيوعية يجب أن يحصل الواعظ على رخصة من قبل الحكومة).

فما كان من القس إلا أن أجاب قائلاً : إن الله لم يسمح لي فحسب أن أعظ، بل أمرني بذلك. يمكنك أن تقرأ هذا الأمر في الكتاب المقدس وستجده في (متى ٢٨ : ١٩ ، ٢٠)

لقد حُكم عليه بالسجن ثماني سنوات، وكان قد قضى ثلاث سنوات من قبل في السجن. إن عدم الخوف والشجاعة هى غذاء رائع للنفوس. إذا ما نظرنا إلى هذه الأمثلة الشجاعة، إذا ما نظرنا إلى يسوع المسيح الذي ألهم مثل هؤلاء، نكون قد لبسنا، ـ دون أي جهد ـ الإنسان الجديد تماماً كما تلبس الديدان ديداناً جديدة. وحينئذٍ يظهر جيل جديد من المسيحيين، ينبذ الراحة ويبحث عن آفاق جديدة للعمل المملوء بالحماس.

* ٣٨- الألم... ليس العدو الذى لا يقهر

الأسقف فلاديمير جيكا (Vladimir Ghica) مات لأجل المسيح في سجن جيلافا برومانيا (حيث كنت أنا أيضاً مسجون). صلى وقت رسامته قائلاً: «يارب فلتأخذ قلبى، ولا تعده لي أبداً، فلما ولدت إذا لم يكن لأحبك بكل قلبى؟» وكانت كلماته وهو على فراش الموت: «يارب فلتتحد آلامي بآلامك لتشفى أولئك الذين قد عذبوني حتى الموت وتباركهم». في الكثير من الأحيان نمتلئ سخطاً ومرارة حين يسئ إلينا الآخرين بدلاً من أن نضع آلامنا في خدمة هؤلاء الذين ضايقونا. فلنتعلم من القديسين ومن هذا الأسقف أن نذرف كل دمعة، ونتأوه في كل مرة في روح المحبة المضحية من أجل أولئك الذين أساءوا إلينا. فلتتسع صدورنا بان نجعل كل هذه النفوس لنا – إن السجن ليس بعقبة أمام حياة مسيحية مثمرة، فالأسقف الأمريكي والش قد أمضى بالسجن عشرين عاماً في حبس انفرادي في زنزانته بالصين، وقد قال: لقد نهضت من النوم ذات صباح ووجدت نفسى في السجن، وجاءتني كلمات الرب هذه: «هذا ما كنت تحلم به وتصبوا إليه – وقت تتلو فيه كل الصلوات التي تريدها. ولم أكن بالفعل أستطيع الصلاة كثيراً وأنا أعمل، غير أنني الآن أستطيع أن أصلى لأجل عائلتى، وأصدقائى، وكل إنسان تحت الشمس. إن الصلاة فعالة وقوية جداً. إذا ما كنت مكتئباً، أو متروكاً، أو مكلوماً، أو بدون عمل فلتفعل كما فعل الأسقف والش. حينما تنتابني نوبات من الاكتئاب وأشعر أنني غير نافع لأي عمل، فإنني أصلى بصورة كئيبة حتى ينقشع الاكتئاب. إن الرب يسوع بنفسه قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات (عب ٥ : ٧) وفى نهاية هذه الصلوات استطاع أن يقول للناس: هوذا فرحى أتركه لكم.

كان ليو (Liu Xiaobo) هو قائد الاحتجاج الذي حدث بميدان تيانامن ببيجنج بالصين. انتهى الأمر بحدوث مجزرة، وقبض على ليو نفسه في النهاية. وفي السجن توقف عن التفكير في خطايا الشيوعيين حينما أتت إليه

كلمة الرب من خلال سجين آخر مسيحى، وقد أدرك ليو خطيته هو وكتب يقول : «كيف يمكن لإنسان لم يدرك قط خطيته أن يسمع صوت الله ؟ قال في نفسه أن الرب يسوع قد سمر على الصليب بسبب محبته للخطاه، غير أن المسيحيين الذين عرفتهم في الصين وفى الغرب لا يقدمون أنفسهم فداء لخطايا الآخرين. لقد أصبحت الديانة بالنسبة للكثيرين شكل آخر من أشكال الترفيه».

لقد تغيرت نظرة ليو، فقال «فبدلاً من أن أحارب الشيوعيين لأنهم يقترفون الخطايا، يجب أن أكرس نفسي من أجلهم حتى الموت، وإلا مكثنا في الهوة بدلاً من أن نصعد إلى القمم في الأعالى. إذا لم يحب المعادون للشيوعية الشيوعيين بقوة شديدة، وإن لم يكونوا على استعداد للموت من أجلهم، بدلاً من محاربتهم، فسوف يصبحون كشخص مصاب بشلل نصفى يحارب آخر مصاب بشلل رباعى. إن أفكار ليو قد تكون مفيدة لنا في صراعاتنا مع الآخرين وقد تساعدنا أن نصعد إلى القمم.

* ٣٩ - ليتسع صدرك

أرجوك أن تقرأ ما يلي بتمعن، إذ إنني أود أن أقدم إليك شيئاً سيساعدك أن تهتم بنفسك وكذلك سيشبع عمق احتياجاتك واتجاهاتك الروحية. أنت وأنا كلانا بلا قيمة في طبيعتنا، في الواقع نحن لا نحب ضحالة ما نعمل، كما أن أفكارنا تافهة، غير أن النفس يمكن أن تتسع، وسأخبرك كيف يكون ذلك. لقد وصف أفلاطون الصداقة وكأنها نفس واحدة في قلبين. إن الصداقة تجعل المرء يتمتع بجمال حياتين مرة واحدة. إن كنيسة الله قد خلقت بصفتها شركة أصدقاء. مكتوب - بعد حلول الروح القدس في اليوم الخمسين - أنه «**كان لجمهور الذين أمنوا قلب واحد ونفس واحدة**» (أع ٤ : ٣٢) ترى إلى أي مدى كان اتساع هذا القلب وهذه النفس ؟ كانت هناك مثل هذه الصداقة في العهد القديم بين داود ويوناثان «**نفس يوناثان تعلقت بنفس داود وأحبه يوناثان كنفسه**» (١صم ١٨ : ١) لم يتردد لحظة في أن يتخلى حتى عن العرش لصالح صديقه. إن هذه هي إحدى المزايا التي تقدمها كنيسة المسيح الحق، إنها تقدم فرصة عظيمة للنمو والثراء مع خبرة القديسين التي تقدمها في العالم أجمع، فيمكنك إذا أن تشارك خبرة أجمل قصص الحياة المسيحية. كان الطبيب النفسي الروسي الدكتور نيكولاى روزانوف (Nikolai Rozanov) يعيش حياة الزهد ولم يبقى معه من المال إلا ما كان يحتاجه في خدمة العطاء. وبسبب أنه قال لمرضاه ثقوا في الله، حكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات. لقد اعتبروه أنه قد مارس دعاية دينية محرمة بسبب هذه الكلمات القليلة. وأخيراً خرج من السجن وقد تقوى إيمانه وأخذ يحيى الناس مستخدماً التحية الروسية القديمة : «فليخلصك الرب» واستمر يذهب إلى الكنيسة، وبدأ يرنم مع فريق التسبيح، ومن أجل ذلك أُدخل إلى مصحة للأمراض النفسية لمدة أربعة أعوام إضافية. وكنتيجة للعقاقير التي كان يحقن بها هناك، لم يعد له أي سيطرة على يديه أو قدميه، وقبل أن يستعيد حريته، دفع بالموت الثمن المحتوم لإيمانه.

إن الكنيسة السرية السوفيتية قد أنجبت الكثير من الرجال مثل هذا الطبيب الذي ثبت في إيمانه وسط الآلام. إنه امتياز أن نستطيع أن نوسع من أنفسنا عن طريق اتحادنا قلباً ونفساً مع مثل هؤلاء الأفراد الذين قد اتحدوا قلباً ونفساً مع المسيح. إن الوحدة مع أولئك القديسين هى أيضاً وحدة مع الله.

*٤٠- شجاعة راهبات

تحكى إحدى الوثائق التي انتشرت سرياً في الاتحاد السوفيتي عن مجموعة كبيرة من الراهبات كن مسجونات في معسكر من معسكرات الاعتقال وقد رفضن أن يعملن في خدمة المسيح الدجال، وقد قيدوا ومُنع عنهم الطعام غير أنه لم ينفع معهم شئ. لقد تحول بعض المساجين وصاروا مسيحيين من جراء تأثير هؤلاء الراهبات وكأن لهم دير حقيقي في داخل المعسكر. حين مرضت إيرين، ابنة قائد المعسكر مرضاً شديداً لم يكن له الخيار، فطلب إلى الراهبات أن يصلين من أجلها، فشفيت الفتاه. وحين جاء موعد ولادة زوجة ضابط روسى، كانت الولادة متعسرة، وكان هناك خطر على الأم والمولود، فما كان من إحدى الراهبات إلا أن اقترحت عليه أن يتعهد بأن يعمد الطفل إذا ما أنقذت كل من حياة الأم والطفل، و سارت الأمور على ما يرام. فقال الضابط : «قد أفقد كل شئ إذا قمت بهذا الفعل». أجابت الراهبة: لك الحق في أن تفاضل بين ما تدعوه أنت كل شئ من ناحية، وزوجتك وطفلك من ناحية أخري. وتمت الولادة على ما يرام، وعمد الضابط الطفل، وفقد وظيفته.

أراد الضابط الجديد أن يجبر الراهبات على أن يتخلين عن ملابسهن الدينية ويرتدين زي السجن. أجبن قائلات : لن نرتدي علامة المسيح الدجال، وحينئذ أُجبرن على السير وهن عاريات في الجليد تحت درجة حرارة وصلت إلى حد التجمد وكن يسبحن الله قائلات: «يا أبانا الذي في السموات». ولم تمرض إحداهن، وحين سأل أحد الشيوعيين طبيبة المعسكر الملحدة السيدة برا فرمان (Bravermann) عن كيف يكون ذلك ممكناً على الصعيد الطبي ؟ أجابت قائلة : «ألم تسمعهن يغنين عن أباهم السماوي ؟ هذا هو التفسير العلمي للأمر».

قد تكون إرساليتنا هي أن نأخذ على عاتقنا الدفاع عن المسيحيين المضطهدين، وقد نستطيع أن نمد يد العون للشهداء بأن نقدم لهم قطعة خبز، غير أنهم قد شاركونا بأكثر من ذلك؛ بالفرح الذي لهم، وهو فرح لا ينطق به، وذلك بأنهم ظلوا أمناء للحق – الرب يسوع المسيح.

* ٤١ - حسبوا حمقى

كانت حصص العمل في معسكرات الأشغال الشاقة عالية، وكان المساجين الجوعى الذين لا يوفون هذه الحصص يعاقبون بإعطائهم طعام أقل. وفي وسط مثل هذه الآلام استطاع مسيحيو فرانز بالاتحاد السوفييتي أن يكتبوا الآتي: نحن نصلي من أجل مضطهدينا حتى يعطيهم الله توبة، ونحن نطلب إلى أبناء الله أن يصلوا معنا من أجل نهضة روحية في أمتنا. كان المساجين يسيرون في بعض الأحيان عبر عاصفة ثلجية لكي يصلوا إلى أماكن العمل، غير أنهم كانوا بمنأى من عواصف أخرى أشد وطأة – هي عواصف الكراهية والشك. وكانوا يقدمون محبة وإيمان، وينظرون إلى كل البشر وكأنهم أصدقاء ليحتووهم جميعاً في قلوبهم. كانت حياتهم مملوءة بالثراء، ومازالت ذبائحهم مشتعلة ومضيئة. نحن جميعاً مدعوين لهذا المستوى العالي من الخلاص.

في إحدى المحاكمات الليتونية أظهر القس (Seskevicius) الكثير من الشجاعة. طلب المدعى أن يعاقب بسبب أنه كان يعلم تعاليم دينية مخالفة للعلم. أجاب القس: «إذا ما أعاقت الديانة تقدم العلم هل تسمح لي أن أسأل من كان أول من وطأت أقدامهم سطح القمر؟ هل كانوا مؤمنين أم غير مؤمنين؟ لقد كانوا مؤمنين. إن أول طعام يؤكل على سطح القمر كان (المائدة المقدسة)، وكان من قدمه هو رائد فضاء أمريكي قد أصبح فيما بعد واعظاً». لقد قال القس أيضاً لمحاكميه: لا توجد صعوبة في مقابلة العنف بالعنف، هذا هو رد الفعل الطبيعي لكل الكائنات، غير أنه في عدم مقابلة العنف بالعنف تكمن طاقة روحية هائلة، وعدم المقاومة علامة على ذلك». وهو بالفعل لم يقاوم، لقد ذهب في هدوء إلى السجن. غير أن آخرين قد قاوموا، فقد تعارك المسيحيون مع القوات السوفييتية في شوارع كوناس مدافعين عن قساوستهم المسجونين.

كذلك حكم على جوجليز (Jaugelis . A) بالسجن عامين بسبب

نشره بصورة سرية كتاب أخبار الكنيسة الليتونية الكاثوليكية (The Chronicle of the Catholic Lithuanian) . لابد وأنه كان سعيداً للغاية وهو في زنزانته، وقد أعطاه الله نعمة ليقول كلماته الأخيرة قبل المحاكمة: «إن ملايين الشهداء قد تألموا وماتوا من أجل المسيح والحق الذي وعظ به. لا يجب عليكم أيها الملحدين أن تعيشوا في وهم أنه لا يوجد مثل هؤلاء الأبطال الذين لا يخشون الألم من أجل الحق والإيمان والكنيسة. إن المسيحيين يمكنهم أن يحتفظوا بمحبتهم لمعذبيهم تحت أفظع الظروف».

لقد كانت ذروة الرعب الشيوعي في السجن الروماني بيبتشي. كانوا يجعلون العديد من الرجال يجلسون فوق أمعاء سجين حتى يجعلونه يتبرز، وبعد هذا يجبرونه على أن يأكل فضلات طعامه وأن يشرب بوله. وكان هذا هو الروتين اليومي في هذا السجن الرهيب. وهناك انتحر المسيحي شيربان جورج (Sherban George) وكانت أخر كلماته : إن جرائم الشيوعيين فظيعة للغاية حتى أنني لا أستطيع أن أصلى إلى الله من أجلهم. يجب أن أذهب إليه حتى أحدثه عنهم. لا تنتقموا لموتي. (بالطبع واضح أن القس ومبراند لا يتجاوز عن الانتحار أو يشجعه، غير أن الظروف التي تعرض لها المسيحيون في البلدان حيث يضطهد المؤمنين ويعذبون ضراوة، وغالباً ما يقتلون من أجل إيمانهم، يمكن أن تكون غير مفهومة لدى المسيحيين في العالم الحر، وهكذا فلا يجب أن نحاكم أعمالهم أو نحكم عليها، فلا أحد يستطيع ذلك سوى الرب يسوع المسيح وحده) . لقد حُوكم كل من الأخوة الأوكرانيين المسيحيين تشيفتشينكو، تيمتشاك، سولوفيفا، ألكسيفا، بوروشكو، زابورسكي، وكريفوا (Shevtchenco, Timtshak, Solovieva, Alekseeva, Borushko, Zaborskii and Krivoi) أمام محكمة في أوديسا وكان الأخ كريفوا قد أمضى حوالي عشر سنوات في السجن من أجل إيمانه، وحين انعقدت المحاكمة وطلب إلى المتهمين أن يقفوا، ركعوا جميعاً على ركبهم وبدأ واحد منهم في الصلاة بصوت عال.

فلم يقدمون احترامهم لسلطة لم يقيمها الله، بل أن تلك السلطة تمثل الوحش الموجود في سفر الرؤيا والذى سكر بدماء القديسين. وحين سأل القاضى الأخت ألكسيفا لماذا رفضت أن يكون لها محامى أجابت قائلة : لقد اتخذت من الرب يسوع المسيح محامى عنى منذ وقت طويل «**هوذا في السموات شهيدى وشاهدى في الأعالى**» (أيوب ١٦ : ١٩). تشفتشينكو أيضاً رفض أن يصاحبه محامى وقال :«لا يمكن لملحد أن يدافع عن شخص مؤمن، إن الرب هو المدافع عني». لقد وقف مئات المسيحيين خارج المحكمة، وبسبب أنه لم يسمح لهم بالدخول، انتظروا خارج القاعة في البرد القارس لمدة ساعات .وقد رفض المتهمون إجابة أي سؤال حتى يسمح لأخوتهم بالدخول، وقد نجحوا، فقد دخل عدد غير قليل منهم وشاهدوا المحاكمة. وهكذا قرر الأخوة المعمدانيين وهم مكبلون بالقيود من سيحضر محاكماتهم، وليس السلطات الشيوعية. لا تذعن أبداً بل قاوم في كل وقت، هذا هو الدرس الذي تعلمناه من هؤلاء الأبطال في الإيمان. أن نقاوم، ونصارع وسنغلب. تعرفنا سجلات هذه المحاكمة فظائع قد تمت بها. لقد اتهم الشيوعيون المعمدانيين الروسيين بأنهم كانوا يقطعون شريان من يقوموا بتعميده ثم يقوم سائر المؤمنين بالشرب من دمه. إن مثل هذه الأكاذيب لم تطلق على المسيحيين منذ عهد نيرون. إن الأخت سولوفيفا قد اتهمت، ضمن اتهامات أخري، بأنها قد نظمت مجموعة من الشباب المسيحي لمساعدة سيدة مسنة في العمل بحديقتها. ودفاعاً عن نفسها، فقد قالت الأخت سولوفيفا أن المادة ١٧٦ من قانون العبادة تحرم على الكنائس تقديم أي معونة مادية لأعضائها (ولذا فإن تقديم المعونة إلى شخص عن طريق العمل في حديقته يعد أمر يستحق العقاب، إذا ما قدمه أحد أعضاء الكنيسة) غير أنني أود أن أقول أنه بحسب علمى، لم يحدث قط في أكثر البلدان رجعية، أن يسيطر القانون على الطريقة التي أنفق بها الأموال التي قد كسبتها بطريق مشروع، ويمنعني من أن أقدمها لمن يحتاج إليها.

إن الأخت سولوفيفا قد اتهمت السوفييت أمام الرأي العام العالمى، وقد قالت

لهم : إن التشريع بشأن العبادة يهدف إلى حرمان المؤمنين من أبسط حقوقهم كمواطنين. هذا التشريع يقوم بالقتل الجماعى. إن وجود هذا التشريع يضعنا في موضع يجعل وجود المؤمنين مستحيل أساساً. إنني لا أعتبر نشر النبذات والكتب المسيحية جريمة، ولذا فإنني أنشرها وسوف أقوم بنشرها كلما سنحت لي الفرصة لذلك. وقد دخلت هذه الأخت إلى السجن بسبب هذا.

(ماذا عنا نحن الذين نعيش أحراراً ويسهل علينا نشر المطبوعات المسيحية؟ متى كانت آخر مرة قمت فيها بتقديم أحد المطبوعات المسيحية لآخر؟ إذا ما كنت ترغب في ذلك فأرجو أن تتصل بنا. إذ يمكن لإرساليتنا أن توفر لك مطبوعات مسيحية مؤثرة بدون أي مقابل)

أما الأخ تيمتشاك فقد بدأ دفاعه عن نفسه بهذه الكلمات: إنني أعتبر نفسي محظوظاً بأن أجلس هنا بصفتي متهم من اجل إيماني وليس بصفتي لص أو قاتل أو متداخل في شئون غيرى. أنني أتهلل من أجل الوضع الذي أنا فيه، من أجل المسيح يسوع. لقد كنت أعظ عن محبة الله، وقد قلت أن الرب يسوع قد أحب الناس حتى الموت على الصليب، حتى أن كل من يؤمن به تكون له الحياة الأبدية. لقد وعظت بهذا من قبل، وأعظ به اليوم، وسأظل أعظ به. كذلك الأخ كريفوا قال في كلماته الأخيرة : «فيما أنا أتألم كمسيحى، إنني على استعداد أن أقيد بالأصفاد. لقد كنت مؤمناً لمدة أربعين عاماً، وقد قضيت عشر منها في السجون بسيبيريا، لذا فاعلموا أنكم لن تنتزعوا منى ما أعرفه وما قد تعلمته، ولن تكسروني بتهديداتكم». إن هؤلاء الأخوة والأخوات قد حكم عليهم بالسجن في سيبيريا حيث أرض الموت الأبيض، وهناك كانوا يقومون بالعمل الشاق وهم يرتدون أسمالاً بالية، وكانوا يقفون فى برك عميقة ممتلئة بالثلوج حتى ركبهم، وكان طعامهم قليل جداً حتى أن الضعفاء منهم كانوا يموتون، غير أن أسماءهم لم تمحى وستبقى إلى الدهر محفورة في السماء وفى قلوب المسيحيين في كل مكان.

إن رعاة الكنائس الرسمية الذين يبلّغون بسرور عن رعيتهم يعتبرون الشهداء حمقي، حتى أن بعض المجلات المسيحية الأمريكية قد أعلنت إن

توجهات هؤلاء الشهداء غير حكيمة. إن مثل هذا الاتهام ليس بجديد على الكنيسة فقد اعتبر بطرس الرب يسوع غير حكيم إذ هو سار في طريق الموت، وكذلك توسل الأخوة إلى بولس حتى لا يذهب إلى أورشليم. غير أن اسم الرسول بولس سيبقي، بينما لا يتذكر أحد ناصحيه الطيبين وكذلك ناقديه. إن الواعظ الشهير تشارلز سبيرجن (Charles Spurgeon) قد قال ذات مرة «إنني لا أستطيع أن أفعل أي شئ سوى أن أرضى عمن يرضون الله». إن هؤلاء الشهداء الروس ينتمون إلى نفس الفئة التي ينتمي إليها.

* ٤٢. الألم نيابة عن جرم شخص آخر

كتب قس يدعى فولجين (Nikiforov - Volghin) في كتابه «رمال على الطريق» عن مقابلة حدثت بينه وبين مسيحي آخر مسجون، حكى له قصته كما يلى: «لقد عدت ذات يوم إلى البيت وسمعت صرخة، ووجدت زوجتي مقتولة. لقد طعنها أحد معارفنا بسكين في قلبها، و سقط القاتل عند قدمي طالباً المغفرة، فقلت له: اذهب، ولا تفعل هذا مرة أخري. ثم ذهبت إلى الشرطة، واعترفت إنني المسئول عن هذه الجريمة، وحكم على بالسجن. وفى السجن قتل سجين أحد السجناء، وأيضاً أخذت على عاتقي مسئولية هذه الجريمة وقد حكم على بالسجن مدى الحياة. لم أستطع إلا أن أفعل ذلك. إنني أحب الله، وهكذا أرى جميع البشر وكأنهم ملائكة. إن صلاتي الوحيدة هى: «إنني لك وأنت لى، فلترحمني» ؛ لم أكن لأخبرك بقصتي هذه لو لم تكن قسيساً، لكنك سألتني عن سبب وجودي هنا، وشعرت إنني مدين لك بالحقيقة.

لقد كنت موجوداً حين مات هذا السجين، كانت السماء وكأنها قد انفتحت. وكانت آخر كلمات نطق بها السجين هى: «يارب، أود أن أظل أتألم من أجل الآخرين، لكن لتكن مشيئتك». يالها من دعوة سامية، أن نتألم من أجل ما اقترفه الآخرين، إن هذا يعنى أن نحاكى ما فعله الرب يسوع. حصلنا ذات مرة على تقرير من شاهد عيان حول فتاة مسيحية قد تم رجمها في أحد معسكرات الاعتقال الشيوعية. كانت مقيدة في كلتا يديها ورجليها ومجبرة على أن تركع في وسط دائرة من الناس كانوا قد أُمروا برجمها بالحجارة. وقد أطلق الرصاص على الذين رفضوا أن يلقوا بالحجارة عليها. لقد ماتت ووجها ساطع مثل القديس اسطفانوس. إن واحد على الأقل من الذين قد شاهدوها قد آمن بالمسيح بسبب هذه الفتاة التي قد ختمت شهادتها بدماها.

كذلك صلى شاب صغير من أجل مضطهديه وهو معلق على صليب لمدة ستة أيام قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة. وكذلك خمسة من الطلبة قد أمروا

بحفر خنادق عميقة، دُفنوا فيها وهم أحياء وكانوا يرنمون ترانيم مسيحية وهم يدفنون.

أيضاً، رئيس الدير الصيني تونج (Tong) الذي قد أطاح برأسه الشيوعيين من أجل إيمانه قال: ليس من تصرف فعال تجاه الأعمال التي يقترفها الشيوعيون إلا أن تقول « لا » وتسلم لهم رأسك، إذا ما بدأت في حوار أو جدال معهم حيث لهم القوة والسطوة فقد خسرت. وقد قدم القس تساند (Tsand)، أحد الشهداء بالصين، النصيحة التالية: إذا ما تم القبض عليك، فعليك أن تسلك في نهج واحد وهو الصمت. وكذلك الأخ كوزلوف (Kozlov)، وكان قد قضى بالسجن بالاتحاد السوفييتي عشر سنوات بسبب سرقة قد قام بها، قد قبل المسيح وهو في السجن، وحكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات أخرى بسبب إيمانه. هذا الرجل قد جازف بالقبض عليه مرة أخرى وكتب إلى ناشر معروف يدعى برزنيف (Kosygin, Brezhneve) يقول: إذا لم تمنعوا المسيحيين الذين في السجون من الحديث عن المسيح للعالم البائس اليوم، فكم من آلاف الخطاة قد تتغير حياتهم. لن تحتاجوا حينئذ لمليون محاضر ملحد أن ينشروا أخلاقيات الإلحاد. إن الشجاعة إذا اجتمعت مع الهجوم المتواصل دون هوادة يؤتى بالنجاح. لقد دعي كوزلوف بالفعل إلى جلسة استماع من قبل حكام سوفييت، وهناك تحدث اللص التائب إلى اللصوص غير النادمين كما حدث في الجلجثة. الشخص الذي كان قد سرق مائتي روبل قد شهد عن المسيح لأولئك الذين سرقوا ثلث العالم. لكن الله يمكنه أن يصنع المعجزات. هنالك الكثير من الدلائل التي تشير إلى أن برزنيف قد مات بعدما أسلم حياته للمسيح.

إن بطولة الشهداء المسيحيين تنشر عبيرها برغم الأهوال. ذات مرة نزع الحرس الرجال ملابس بعض الراهبات وحملوهن وهن عرايا إلى ساحة السجن. إن جدران السجن سميكة ولن تصل صرخات الخزى والعار إلى العالم الحر، حيث ينام معظم المسيحيين دون أي قلق. كذلك رفضت مجموعة

من المسيحيين الأرثوذكس – حوالي ثلاثين –أن يرتدوا الشارة التي تُظهر أرقامهم كمساجين. لقد كانوا أبناء الله، ومن يدعى ابن الله لا يسمح لنفسه أن يتحول إلى مجرد رقم، فكل منهم هو جوهرة في حد ذاته. وقد أعلنوا في هدوء لن نعمل من أجل الشيطان، ولن نخلع قبعاتنا أمامكم أيها الضباط الشيوعيين. نحن نبجل الله وحده، ومن أجل هذا حكم عليهم بالسجن الانفرادي لمدة نصف عام في زنزانة صغير باردة، حيث كان من الصعب أن يستدير أحدهم وهو في الزنزانة، وكان يقدم لهم الطعام كل ثلاثة أيام. لقد مرت هذه المجموعة أمام مدير السجن وحين اقتربوا منه، وقع كل منهم بعلامة الصليب ثم انتهروه قائلين: «فلتهلك أيها الشيطان».

* ٤٣ ـ مؤمنين روس فى مصحات للأمراض النفسية

بينما كان الكثير من اخوتنا في السجون، كان البعض في مصحات الأمراض النفسية، وهناك أيضاً كانوا يسبحون الله. كتب الأخ شيمانوف من المصحة يقول: إن وجودي بالمصحة العقلية، وتلهفي على عائلتي، والتوتر الذي يصيب أعصابي جميعها تحطمني، لكن إذا دفعوا بي إلى الجنون، أو إذا ظللت محتفظاً بقواي العقلية سوف أقبل كل ما يسمح به، كما يقبل الطفل كل شئ من يد أبيه؛ الحلو والمر، كل ما هو منطقي يسمح به وكل ما هو ضرب من الجنون، كل ما هو منير وكل ما هو مظلم، كل ما هو كارثة وكل ما هو صاف. إن الجبن غير وارد. لقد تفكرت كثيراً وأنا في المصح العقلي أن إرادة الله تبقى على حرية الإنسان.

ونحن أيضاً يجب علينا أن ننحى جانباً كل تذمر وتبرم ونقبل عن طيب خاطر كل ما يحل بنا. إن الرب يسوع قد قبل الجلد، والسخرية، والموت فوق الصليب، القبر المبكر، والنزول إلى الجحيم، غير أن الصعود المجيد قد تلي كل ذلك، وسوف تتمتع به أنت أيضاً إذا ما قلت في كل الظروف، حتى تلك التي تصيبك بالجنون: «فليتمجد اسم الرب».

ترى من أين أتى هؤلاء المسيحيين بهذه القوة ؟ لقد أتوا بها من مصدر متاح لنا جميعاً، هو الصلاة. لنتعلم منهم نحن أيضاً. ألفت ناتاليا (Natalia Gorbanevskaya)، وكانت قد وضعت في قسم المرضى العقليين في سجن بوتيركا (Butyrka) بموسكو، الصلاة التالية، وأخذت ترددها مرة بعد أخري:

«لا تسحقني يا الله، لا تفقدني من يدك في دور خاسر، لا ترفضني حتى تجعلني أحوم في العالم غير مؤمنة بشيء. لقد سرت على المياه وكأنها أرض صلبة. ما من عقبة تقف كعائق في طريقك. لا ترسلني إلى عالم الآلام هذا دونما سند ثابت، ودونما هدف، ودونما دعم. أنت يارب هو الله وكذا ابن الإنسان. إذا كانت إرادتك أن تضع على هذه الأكتاف نير يجعل

الأصفاد ترتطم بعضها ببعض مع كل خطوة فلا تجعل نفسي تتجمد في الصقيع، في الليل البارد. وصف المسيحي السوفييتي كرازنوف ليفيتين (Krasnov-Levitin)، وهو من أصل عبرى، وقته بالسجن قائلاً: «حين كنت في السجن، كنت أقضي كل يوم في روح القداس، ففي الثامنة من كل صباح كنت أبدأ في السير حول الزنزانة وأنا أردد صلوات باكر، وهكذا شعرت إنني أتحد مع المسيحية في العالم كله. وكأن أسوار السجن قد انزاحت، وأصبح الكون: المرأى منه وكذلك غير المرأي، كل الكون أصبح مكان سكناى. وبعدما أتلو صلاة القداس أشعر برفعة روحية، وصفاء ونقاء داخلى. مثل هذه الصلوات فعالة. لقد قال ليفيتين: ليس من قوة في العالم يمكنها أن تقاوم قوة الله التي ننالها في الصلاة.

إن مثل هذا التأكيد مفيد. إن نفس الإنسان الذي ولد الولادة الثانية لا يمكن أن تكسر، غير أن العضو الذي يعبر عن نفسه من خلالها هو العقل؛ حوالي رطل ونصف من الأعصاب، وهو معرض لجميع القوانين التي تحكم المادة. إن الشيوعيين قد دمروا عقول بعض المؤمنين من خلال العقاقير، والتجويع، والحرمان من النوم، والضرب على الرأس، ولهذا فإن بعض المسيحيين الذين قد تعرضوا لهذه الأمور لم يستطيعوا المقاومة. ومن أصعب الأمثلة التي صادفتني كانت لنيكولاى مواسيف (Nikolai Moiseev). لقد تعرض لأسوأ أنواع التدمير خلال ثماني سنوات في المصح العقلى الذي أدخلوه فيه بسبب إيمانه. وحين سمح أخيراً لعائلته بزيارته لم يتعرف على أحد منهم. وحين تحدثوا عن الرب يسوع، لم يبد أي رد فعل، لم يعد يتعرف على هذا الاسم. لقد ضحى من أجل اسم المسيح أكثر من أي شخص آخر. لقد ضحى بإيمانه بالمسيح. فلم يعد للاسم الغالي جداً، أو كلمة المسيح أي تأثير عليه. إنني واثق من أن هذا الرجل قد خلص، وأتمنى أن يكون لي مثل المكانة التي له في السماء. لقد نجح الشيوعيون في تدمير أثمن عضو في الإنسان الخارجى، ولكن كشأننا جميعاً؛ مازال عنده الإنسان الداخلي إنسان القلب الذي لم تصل إليه الكيماويات السامة. إن هذا الإنسان الخفي

كان في حضن الرب يسوع المسيح خلال سنوات التعذيب هذه. نعم، لقد نجونا من أسوأ مصير يمكن أن يناله إنسان، إذ يمكننا على الأقل أن نصلي، وهكذا نحصل على القوة نقرأ في (مز ١٣٨: ١) «**أحمدك من كل قلبي**» إن أعظم أنواع الحمد التي أعرفها هي البقاء صامتاً وقد ملأتني الرهبة من عظمة الرب فلتركع في صمت وتعبد الشخص الذي يظهر مجده في قديسيه. هنا تبطل كل الكلمات.

* ٤٤. هؤلاء الذين لا يهتزون

نحن المسيحيين نظل صامتين، فلننصت إلى صديقنا اليهودي شيفرين (Shifrin) وهو يحكي لنا ما رآه لنفرح معه. كان المسيحيون الذين صادفتهم في السجن هادئين وقد ركزوا أفكارهم في أمر واحد. لقد كانوا يؤمنون أن الخالق يقودهم في الطريق الصحيح، وقد استقبلوا الآلام كبركات. لم يقاومون الحراس في أي أمر من الأمور المادية أو العالمية، غير أنهم وقفوا ثابتين فيما يمس معتقداتهم الدينية، حينئذ لم يكن شئ ليهزهم. حين كنت أنظر تجاههم، كنت أشعر أحياناً وكأنما ومضات مقدسة تنبعث من الثكنات المملوءة بالقداسة والصلوات.

فيما يلي ملخص لمقال قد جاء في صحيفة سوفييتية (Znamia lunosti):

يدخل رجل طعن في السن، صغير الحجم إلى قفص الاتهام بالمحكمة، ثم يضع يديه على صدره ويقول: سلام لكم أيها الأخوة والأخوات؛ إنه قس. نحن الآن بصدد صياد للناس، شخص قد قام بصيد الكثير من الضحايا بشبكته عن طريق تعليمهم عن الحياة بعد الموت. إنه يبدو من الخارج مبشر هادئ، غير أنه من اللحظة الأولى من المحاكمة قد أحاط نفسه بهالة الشهيد، فهو مستعد للألم من أجل إيمانه ومن أجل المسيح.

كان قد حكم عليه بالسجن عام ١٩٤٨ بسبب ترويجه للدين، غير أنه لم يتعلم الدرس، وبدأ عمله السري مرة أخري. وماذا كانت التهمة الموجهة لآرتم هيفول (Artem Hivuk) ؟ هذا هو نص ما قاله محامى مقاطعة برست تاراسينكو (Brest Tarasenko): لقد ظل لفترة طويلة قائداً لجماعة «طائفة الثوار» غير المسجلة (وهو الاسم الذي أطلقه الشيوعيين على المسيحيين في الكنيسة السرية) لقد كان يروج للدين وقد خالف القانون فيما يختص بشريعة العبادة والأديان. لقد كان هيفول شديد الحماسة من أجل أن يربح الشباب، وغالباً ما كان ينجح في ذلك. لقد قال هيفول للقضاة: إن الجميع

سواسية أمام الله، فالعدو أيضاً صديق، وليس من حق أحد أن يلطمه.

إن الأطفال الذين ربحهم للمسيح قد رفضوا الانضمام إلى فريق الرواد (وهي منظمة شيوعية للأطفال) والجميع بداية بمدير المدرسة وحتى قائد الرواد؛ الجميع قد تعاطفوا مع هيفول. وبرغم تعليمات الشرطة السرية وضدها، قد منحوه الحرية ليعمل. وقد استمرت هذه المؤامرة بين القادة السوفييت المحليين وهيفول إلى الدرجة التي معها طلب إذن أن يستخدم مبنى المدرسة ليقيم فيه الخدمات الدينية. وحين لم يسمح له بذلك، اجتمع المسيحيون في البيوت، وفي الصيف كانوا يجتمعون في الحدائق العامة وسط الطبيعة. كان أطفالهم يتغنون بأنغام سماوية (ترى إلى أي حد كانت هذه الأنغام سماوية حتى استطاع الشيوعيون أن يدعوها هكذا ؟) لقد كان هيفول يسافر من مكان إلى مكان ليعظ وذهب حتى إلى موسكو.

لقد حكم على هيفول بالسجن لأعوام كثيرة بسبب هذه الجرائم، بينما في العالم الحر لا أحد يسجن إذا ما حاول أن يسلط الضوء عليه. غير أنه من سخرية القدر أننا نادراً ما نغتنم الفرص التي تُمنح لنا.

* ٤٥-اختيار الشخص أن يكون قديسا

مازالت هناك أعداد لا تُحصى من المسيحيين مسجونين في أنحاء من العالم مثل الصين، وفيتنام، وميانمار، والبلاد الإسلامية. فما الذي يحدث لهم روحياً؟

قد نظن أن المسافات الممتدة من الأسلاك الشائكة، وأبراج المراقبة، والكشافات الضوئية، والصفوف الطويلة من الأشكال البشرية الرمادية المنهكة تحت ضوء الفجر، والصيحات والصفارات الآمرة، التي يصادفها الشخص منذ لحظة دخوله إلى السجن، تخنق الشخص روحياً وتسبب له الاكتئاب.

كتبت فالنتينا سافيليفا (Valentina Saveleva) بعد إطلاق سراحها، قائلة: «في كثير من الأحيان، كنا نغوص في الوحل حتى رُكبنا. وكانت معاطفنا وأحذيتنا دائماً مُبللة. لم تكن هناك أماكن للاغتسال. وكانت المياه غير صالحة للشرب بسبب ملوحتها. وقد اضطر الكثيرون أن ينـاموا على أرض موحلة. لم تكن هناك أغطية كافية للاستدفاء. وعندما نستيقظ في الصباح، كان ينبغي أن نحذر من النهوض بسرعة، لأن شعرنا كان يلتصق بالأرض الموحلة. كان من المستحيل أن نحفظ أنفسنا خالين من القمل. وقد مات الكثيرون بالدرن. كان الطعام شحيحاً وغير صالح للأكل. نادراً ما كانت الحرارة تزيد عن ٤١ درجة فهرنهايت. كان السجن ممتلئاً بالمجرمين المسكونين بأرواح شريرة، والذين كانوا يلعنون نهاراً وليلاً. وكانوا يريدون أن يدمروا إيمانى».

هل من الممكن أن يكون الحُب هو القانون المُطلَق تحت هذه الظروف، أم أن هذه الظروف تبرِّر للإنسان أن يتمرَّد على كل القوانين؟ لقد أكَّد العالم النفسي الشهير سيجموند فرويد، راغباً في التقليل من شأن الأخلاقيات، قالَ: «إذا قمنا بتعريض مجموعة من مُختلف أنواع البشر للجوع بشكل متجانس، فمع زيادة الجوع تزول جميع الاختلافات الفردية ويظهر بدلاً

منها تعبير متجانس عن الاحتياج الواحد المُلِح الذي تم غرسه».

لم يعرف فرويد معنى الجوع، ولكني عرفته أنا على مدى أربعة عشرة سنة في السجون الشيوعية. والجوع، مثل أي ألم آخر، لا يؤدي إلى نتائج متجانسة. فتحت تأثير الضغط، يتحول بعض الأشخاص إلى حيوانات والبعض الآخر إلى قديسين. كان البعض يخطفون كسرة الخبز الصغيرة التي تخص مسجون آخر؛ بينما رفض البعض الآخر تناول كسرته الوحيدة وأدويته لإنقاذ حياة شخص آخر.

يعرف المسيحيون كيف يتنازلون حتى عن الحياة نفسها. في زيمبابوي رفع الداغر (المشارك في حرب عصابات) فأسه ليقتل قسيساً، وكان على مقربة منه قسيس آخر، هو كيليان نورل (Killian Knoerl)، وكان في استطاعته أن يهرب، ولكنه اختار أن يدافع عن أخيه ضد رجل العصابات، فقُتل هو نفسه.

الشخص المستبيح، الذي لا يخضع لقانون، لا يتردد في أن يسرق ويخون، ولكنه يعاني من العُصاب ويحتاج إلى شفاء الرب يسوع. أما الشخص الذي يتمتع بالصحة الروحية، فهو يظل يحب حتى لو كان ذلك يعني الألم بل وحتى الموت. الشخص المستبيح يجد عُذراً لخطاياه كالقضاء والقَدَر، أو الوراثة، أو الظروف المحيطة. ولكن حتى إذا سمح الله في حكمته أن أجتاز في تجارب واضطهادات، فإني حُر في اختيار رد فعلي تجاهها. بصفتي كائناً له حرية أخلاقية، يمكنني أن أختار الانقياد- في جميع الأشياء- بقانون المحبة، ويمكنني أن أختار أن أكون مستبيحاً. يمكنني أن أختار الحياة في المسيح، واثقاً في حياة الدهر الآتي، ويمكنني أن أختار الموت المعنوي على هذه الأرض.

كتب الرسول بولس أربعة من رسائله وهو في السجن، وهي تحتوي على العديد من الصلوات، ولكن ولا واحدة منها رُفعت من أجل إطلاق سراحه. لقد قرأت مئات الخطابات من المسيحيين المسجونين، ولا واحدة منها يطلبون

فيها الصلاة من أجل إطلاق سراحهم. أثناء الأربعة عشر سنة التي قضيتها في السجون الشيوعية، كتبت ما يقرب من ٣٥٠ ترنيمة، بعضها تم نشره تحت العناوين التالية: عظات في الحبس الانفرادى، لو استطاعت جدران السجن أن تتكلم، مع الله على انفراد. ولا واحدة منها تعبِّر عن رغبتي في التحرُّر من قيودى. قضى أيضاً الشاعران الرومانيان المسيحيان ترايان دورز (Traian Dorz) ومولدوفانو (Moldovanu) سنوات عديدة في السجن. جميع القصائد التي كتبوها كانت ممتلئة بالفرح الناتج عن التألُّم من أجل قضية مجيدة.

في الاتحاد السوفييتى، عَرَض الشيوعيون فيلماً عن الكاهن الليتواني سفارينسكاس (Svarinskas)، الذي كان مسجوناً. وكان الهدف من الفيلم هو توضيح مدى خطورته على المجتمع. ظهر سفارينسكاس وهو يكرز قائلاً: «إذا كان كاهن تحت النظام الإلحادي يفخر بأنه يخدم في أبرشية لمدة خمسة وعشرون سنة بدون أن يعترضه الملحدون، فهو كاهن ردىء. لأنه لو كان صالحاً، لكانوا قد طاردوه منذ زمن طويل. فالاضطهاد هو العلامة على أن الكاهن يؤدي مهمته على أكمل وجه. حيثما يسود الإلحاد، فالمكان الوحيد الذي يصح لكاهن أن يموت فيه هو السجن». لا بد أن الرسول بولس قد فكَّر أيضاً هكذا، ولذلك فهو لم يُصلِّى بالمرة من أجل إطلاق سراحه.

إن مُعظم صلواتنا تنحصر غالباً في طلب النجاة من الظروف الصعبة. ولكن لماذا أطلب النجاة من زواج تعيس، أو عُنف أحد الوالدين، أو ابن يكسر قلبى، أو غير ذلك من المآسى؟ لقد ذهب المرسَلون بفرح إلى القبائل الوحشية ليُظهروا لهم محبة المسيح. بعض منهم، مثل جون ويليامز والأسقف هانينجتون، قد التهمهم آكلي لحوم البشر، فمضوا إلى الموت وهم يرددون كلمات يسوع: «**أحبوا أعداءكم، أحسنوا إلى مبغضيكم**».

نحن أيضاً يجب أن نكون صابرين، رغم أن الفكر قد يضطرب، إلا أن نعمته كافية لتهدئة الحزن.

إن إخوتنا وأخواتنا في السجون يتطوعون لتلقي الجلدات بدلاً من الآخرين. في أوشفيتز، تحت حُكم هتلر، تقدمت ماري سكوبتسيفا (Mary Skobtseva) وماكسيميليان كولبي (Maximilian Kolbe) وطلبا أن تُنفَّذ فيهما الأحكام بدلاً من الآخرين. وقد ماتا موت الشهداء. في الليالي الباردة، كان السجناء يتركون ستراتهم الصوفية لآخرين لكي يستدفئوا بها. لقد شاهدت بنفسي مثل هذه المشاهد.

إن الاهتمام بالآخرين يغطي على مشاكلك الشخصية. اجعل الله هو بؤرة تركيزك مثلما فعل القديسون في السجون، عندئذ سوف تعرف أن السلام السماوي يأتي من الصبر في حمل الصليب. لكي تتحرَّر من عُصاب الاستباحة، ابدأ في ممارسة قانون المحبة، في أشياء صغيرة على الأقل. تنازل لفترة عن الطعام الذي تحبه بشدة، أو الثياب الفاخرة الغالية الثمن، وفكر في أولئك الذين يتناولون طعاماً لا يُطاق أو يرتدون أثمالاً بالية. استيقظ من النوم لتصلي من أجل الذين يُحاكمون أثناء الليل. تنازلي عن بعض مستحضرات التجميل من أجل أولئك الذين لا يستطيعون حتى أن يغتسلوا. تنازل عن ساعة واحدة من مشاهدة التليفزيون من أجل أولئك المحبوسين حبساً انفرادياً منذ عدة سنوات في زنزانات تحت الأرض ولا يرون شيئاً. حاول أن تصمت ليوم واحد تعاطفاً مع المنفردين الذين لا يستطيعون أن يكلموا أحداً لسنوات عديدة.

وفِّر الشكوى والتذمر ليوم واحد. استخلص وقتاً من اهتماماتك الأخرى للصلاة من أجل المضطهَدين.

*٤٦- واجب الحفاظ علي الصحة العقلية

لقد تعلم المتألمون تحت التعذيب أن ينظروا إلى أهوال حياة السجن على اعتبار أنها لا تزيد عن مُجرد طنين ذباب مُمل، لأن السجن كان مثل الجلجثة، حيث لم توجد فقط صُلبان، وإنما كان هناك أيضاً بستان جميل (يوحنا ١٩: ٤١).

لقد تعلم المؤمنون الأحداث من أولئك الذين أنضجتهم عقود من الألم. لقد تلقوا أفضل تدريب لاهوتي، حيث كانت المسيحية لا تُعلَّم فقط، وإنما تُمارَس بأسمى مستوياتها. ربما نحن أيضاً نحتاج أن ننظر إلى القديسين المختبرين وأن نجلس عند قدميهم، مثلما فعل إخوتنا المضطهَدون. لقد عاشوا تحت ظروف محسوبة لتجعل الإنسان يفقد عقله، مع المجرمين والمجانين الذين كان كلامهم وسلوكهم في منتهى القذارة والفحشاء. في كثير من الأحيان كان إخوتنا وأخواتنا الجائعون يُعامَلون بقسوة لا يمكن تخيلها. كان التعذيب الوحشي لمئات من القلوب المتألمة يُسبب أشد الحزن للأمناء أثناء الليل.

إذا وجدنا أنفسنا نتعرَّض لاستفزاز يفوق الاحتمال، دعونا نتذكر ونتعلم من إخوتنا القديسين المسجونين. إنهم يطيعون صوت الضمير الذي يقول لهم أنه من واجبهم أن يحافظوا على صحتهم العقلية وذلك بالانفتاح على روح الله الواهب للحياة. إن كل رسالة منهم، وكل لقاء شخصي معهم، أظهر أنهم يعيشون في إطار من السلام. إنهم لُهُب مشتعلة على مذبح المسيح. إنهم يترفقون بالجميع، ولا سيما بمعذبيهم، الذين لا يعرفون الرفق، وبالتالي يحتاجون أن يستمدوه مما يفيض به مصدر آخر. لا يوجد ألم بلا معنى طالما أنه يولِّد مثل هذا الحب للأشرار.

لقد كان لنا هذا الامتياز في إرساليتنا أن نكون على اتصال دائم بهؤلاء القديسين. فلقد حصلنا منهم على كثير من الإلهام ونقلناه إلى العالم الحر. تقول المنظمة الدولية للصحة العقلية (الولايات المتحدة الأمريكية) أن ٦٢٪

من الأمريكيين يعانون من مرض عقلي قابل للتشخيص. نصف جميع أسرَّة المستشفيات في الولايات المتحدة الأمريكية يشغلها مرضى عقليون.

وفي البلاد الأخرى ليس الوضع أفضل كثيراً. إن جيلنا يعاني من عُصاب واسع الانتشار، هو عُصاب التمرُّد والاستباحة. فالقانون ليس مغروساً في أذهاننا. كل إنسان يسير بحسب أهوائه الشخصية غير مبالٍ بالقانون الأسمي، وهو الحب الخالص الورع لله وللإنسانية. إذا لم أمتلك مثل هذا الحب لأسترشد به في جميع أفعالي، فويل لي! إني مريض وأحتاج بشدة إلى العلاج الذي لا يستطيع سوى يسوع أن يقدمه.

لقد صادف الرب وما زال يصادف الكثير من اللامبالاة، ولكنه أيضاً يصادف محبة ملتهبة. ما زالت هناك نفوس تلتهب بحبه مثلما فعل الرسول يوحنا ومريم المجدلية.

لقد اضطرت الطالبة المسيحية ليوناس سيليكيس في ليتوانيا السوفييتية أن تقف أمام لجنة امتحان مكوَّنة من سبعة مُعلِّمين. سُئلت عن رأيها في الكتب الإلحادية، فأجابت قائلة: «إنها تحتوي على أكاذيب وافتراءات».

فتحدَّث معها أحد الشيوعيين بكلام مضاد للإيمان، ثم سألها قائلاً: «هل تُنكرين إيمانك؟».

أجابت قائلة: «إني أؤمن وسأظل هكذا».

كان والدها حاضراً، فشرح له مدير المدرسة خطورة الديانة المسيحية. فأجابه قائلاً: «ليس صحيحاً أن الديانة المسيحية خطرة. فإن سحق الدين تحت أقدامكم قد نتج عنه أن الطلبة لم يعودوا يحترمون معلميهم؛ وإنما يشربون الخمر، ويدخنون السجائر، ويمارسون الرذيلة».

أظهر مدير المدرسة حكمته فقال: «حيث أن القليلين يذهبون إلى الكنائس في هذه الأيام، فمن المهم أن ننضم إلى الأغلبية».

أجاب الأب قائلاً: «إن الجثث فقط هي التي تطفو مع التيار. ولكن الشخص الحي يستطيع أن يسبح ضد التيار».

فحذره المدير قائلاً: «إنك بهذه الأفكار تعوق إبنتك عن مواصلة دراساتها».

أجاب الأب قائلاً: «لست أنا الذي أعوقها، بل أنتم. ما فائدة الدراسة إذا أرغمتك على إنكار أسمى قيمك، أي إيمانك الشخصى؟»

لقد أحضر المجوس إلى الطفل المقدس ذهباً، ولباناً، ومراً. وهذه الأسرة قد نفذت الوصية التي أطالبكم بها: «**أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عن الله، عبادتكم العقلية**» (رومية ١٢: ١).

*٤٧- أسعد يوم

عند محاكمة نيجول سادونايت (Nijole Sadunaite)، وهي كاثوليكية، في ليتوانيا السوفيتية، قالت للمحكمة:

إن الحق لا يحتاج إلى دفاع، لأنه راسخ وقوي ولا يُمكن قهره. فقط الخدع والأكاذيب، لكونها ضعيفة أمام الحق، فهي تحتاج إلى أسلحة وجنود وسجون لإطالة سطوتها الدنيئة لفترة قصيرة. إن الحكومة المنحرفة تحفر قبرها بنفسها. إني أقف إلى جانب الحق، ومستعدة أن أفقد حريتي من أجل الحق. بل إني أقبل بكل سرور أن أضحي بحياتي. الذين يحبون هم فقط الذين من حقهم أن يلوموا وأن ينتقدوا أحباءهم. لذلك فإني أتحدث إليكم. أنتم تحتفلون بانتصاركم. انتصار على ماذا؟ على الأخلاقيات؟ على أناس مقهورين ومذلولين يأكلهم الخوف؟

شكراً لله، أنه لا زال هناك أشخاص لم يخضعوا أمام القهر. نحن - المسيحيون - لسنا كثيرين في المجتمع، ولكن الحق في صفنا. ينبغي علينا، بلا أدنى خوف من السجن، أن نعترض على كل الأفعال التي تؤدي إلى الظلم والإذلال. يجب علينا أن نميِّز بين كتابات البشر وبين وصايا الله.

لا ينبغي أن نعطي لقيصر إلا ما يفيض بعد أن نعطي لله ما يحق له. إن أهم شيء في الحياة هو أن يتحرر القلب والذهن من الخوف، لأن الخضوع للشر هو الخطية الكبري.

هذا اليوم هو أسعد يوم في حياتي. إني أُحاكَم اليوم من أجل قضية الحق والحب تجاه البشر. فهل هناك قضية أهم من ذلك؟ إن لي مصير مجيد، وقَدَر أُحسد عليه. فإن الحكم بإدانتي سيكون هو صميم انتصاري. الشيء الوحيد الذي سيؤسفني هو أني لم أقدِّم للناس سوى القليل. وإذ أقف اليوم بجوار الحق الأبدي ليسوع المسيح، فإني أتذكر رابع تطويباته: «**طوبى للجياع والعطاش إلى البر، لأنهم يُشبَعون**» (متى ٥: ٦). لا يوجد فرح أكبر من أن يتألم الإنسان من أجل الحق ومن أجل رفقائه من البَشَر.

كيف لا أبتهج وقد وعد الله القدير بأن النور سينتصر على الظلام، وأن الحق سيتغلَّب على الكذب والضلال! ليعطنا الله اليقين بأن حُكمه الأخير سيكون لصالحنا جميعاً. سوف أطلب ذلك كل يوم في صلاتي لأجلكم طوال حياتي. دعونا نحب بعضنا بعضاً وسوف نكون سُعداء. أما الشخص الذي لا يحب فهو وحده يكون تعيساً.

يجب علينا أن ندين الشر، ولكن يجب أن نحب الإنسان، حتى الشخص الذي يُخطئ. لا يمكنكم أن تتعلَّموا هذا إلا في مدرسة يسوع المسيح، الذي هو الحق الوحيد للجميع، والطريق الوحيد، والحياة الوحيدة. يا يسوع الصالح، ليأتِ ملكوتك في نفوسنا.

وقد حُكم عليها بالسجن لمدة ثلاث سنوات. وبعد إطلاق سراحها، عندما قابلت البابا في روما وسألها: «كيف كان الحال في السجن؟» أجابت قائلة: «كان رومانسياً».

نحن لدينا أحزاننا، وضيقاتنا، ومخاوفنا، بل ومآسينا. ولكن هذه السيدة رفعت أمام المحكمة الحجاب الذي ترتديه، مثل كل مسيحي آخر، في الحياة اليومية، مما يجعلنا نبدو منشغلين فقط بأمور هذا العالم، حتى إذا كانت في شكل أعمال صالحة. لقد نظرت مجد الرب بوجه مكشوف، فتغيَّرت إلى صورة فادينا (٢كورنثوس ٣: ١٨)

نحن أيضاً مدعوون – نحن أيضاً نستطيع أن نقاوم الأجواء الخاطئة المُحيطة بنا.

كان إفغيني بوشكوف (Evghenii Pushkov) طالباً معمدانياً يدرس الموسيقى في روسيا، وقد أحرز تقدماً إلى حد أنه كان يعزف في أوركسترا فيلهارمونيك. ولكنه عرف أنه لكي يحقق المزيد من التقدُّم المهني يجب أن يُنكر إيمانه، وذلك لأن السوفييت لن يسمحوا لشخص أمين لمسيحيته أن يحقق نفسه في مجال الفن. وفي أحد الأيام، دعا والده وزوجته إلى حفل موسيقى. وهناك عزفت الأوركسترا رائعة تشايكوفسكي «البجعة المحتضِرة»

المبنية على أسطورة أن البجعة تغرِّد مرة واحدة فقط في حياتها، قبل موتها مباشرة. وقد وضع إيفغيني كل قلبه في الموسيقي، إذ كان قد قرر أن تكون هذه الأغنية هي آخر أغنية له، واختار من هذه اللحظة أن يتبع الرب يسوع. وقد شعرت أسرته بقراره هذا، فلم يتمالكوا أنفسهم من البكاء. وبعد الحفل، عانقهم قائلاً: «من الآن فصاعداً لن تبكوا من أجلي، لأني قررت أن أخصص نفسي بالكامل للرب». ولكن للأسف، إن اتخاذ مثل هذا القرار في بلد شيوعي لا يعفي من الدموع. فلقد ذهب إلى السجن من أجل إيمانه.

في أحد السجون السوفييتية كانت هناك سيدة ليتوانية مسيحية، وكانت وهي طفلة قد أطلت من عُلِّية المنزل وشاهدت الشيوعيين وهم يقتلون جميع أفراد أسرتها الثمانية، ثم غادروا المكان وهم يضحكون. بعد ذلك لم تتكلم بالمرة. وقد حُكم عليها بالسجن لمدة ٢٥ سنة، قضتها كلها في صمت تام. مرة واحدة فقط في البداية، شاركت قصتها مع إحدى النزيلات، وبعد ذلك قضت كل أوقات فراغها تتجوَّل بمفردها في فناء السجن، تحت الشمس والمطر والثلج. لقد حملت حملها في صمت بدون أن تتذمر. لقد نظرت الله وجهاً لوجه.

كيف نحمل نحن مآسينا الأخف وطأة؟

حُكم بالإعدام على الأسقف الأرثوذوكسي أندرو. وتقول القصة أنه قبل تنفيذ الحكم، طلب أن يُسمَح له بالصلاة. وإذ جثا على ركبتيه، لم يجدوه أمامهم. فارتعب الحرَّاس رُعباً شديداً، عالمين أنهم سيُقتلون إذا ما اختفى السجين. وبعد ساعة من الزمن، ظهر من جديد على ركبتيه يصلي، مُحاطاً بسحابة مضيئة. وتم تنفيذ الحكم، ولكن واحداً من الحرَّاس آمن بالمسيح وهو الذي أخبرنا بالقصة.

إذا وجدت صعوبة في تصديق هذه القصة، فاستمع إلى تلك القصة. رجع طفل من مدارس الأحد وقال لوالدته: «لقد علَّمونا اليوم أنه عندما عبر

اليهود نهر الأردن تحت قيادة يشوع، قام الجنود ببناء جسر عائم، بينما كانت الطائرات تحوم فوقهم لحمايتهم».

اعترضت الأم قائلة: «لا يمكن أن يكونوا قد علَّموك هذا».

فأجاب: «لا يا أمي. ولكني إذا قلت لكِ أنهم قد أخبرونا عن حدوث معجزة وأن نهر الأردن قد انشق لكي يتمكنَ شعب الله من عبوره على أرض يابسة، فلن تصدقي ذلك».

إني أؤمن بالمعجزات الكتابية. أؤمن بأن المعجزات لا مازالت تحدث حتى يومنا هذا. وأكبر معجزة هي أن حارس السجن قد آمن بالمسيح. إن التحوُّل الفجائي لهذا الرجل من شخص مُستعد أن يقتل قديساً إلى شخص هو نفسه قديس، له تأثير كبير. وهو أيضاً يجعله يرى أشياءً ربما لم تحدث. فالذين يرون معجزات الله يكونون على يقين شديد بمعتقداتهم.

* ٤٨- سبّح الله في وسط الألم

«**يجب أن يكون الأسقف... محباً للخير**» (تيطس ١ : ٨، طبقاً للغة الأصلية).

في الكنيسة الأولى لم يكن «الأسقف» رتبة كنسية، وإنما كان جميع الشيوخ في الكنيسة أساقفة (في اللغة اليونانية episkopos)، انظر (أعمال ٢٠ :١٧-٢٨). وحتى تعبير «شيوخ الكنيسة» المستخدم في لغتنا الإنجليزية غير دقيق، لأن هؤلاء الشيوخ كانوا أحياناً صغاراً في السن، مثل تيموثاوس. والكلمة اليونانية المترجمة «شيخ» هي «شخص حكيم بعيد النظر».

وفي اللغة الإنجليزية البسيطة، معنى الاقتباس المذكور عاليه هو أن الشخص المشرف على الكنيسة، قائد الكنيسة، أياً كان اسمه – أسقفاً، أو راعياً، أو قسيساً، أو واعظاً، أو مدير الإرسالية – يجب أن يكون «محباً للخير». وأسمى أنواع الخير هو أن يكون الله حياً في الكيان الداخلي للشخص. يجب أن يرغب قائد الكنيسة في إحضار الناس إلى هذه المرحلة، أن يعلّمهم كيف ينكروا أنفسهم بحيث يبقى الله وحده. يجب على قائد الكنيسة أن يعمل أيضاً هذا العمل عندما يأتي الاضطهاد. لقد قُتل ما يقرب من ٤٠,٠٠٠ رجل دين بواسطة الشيوعيين، لأنهم كانوا يؤدون واجبهم. ويُعتبر لينين، وستالين، وخروشوف، وكوسيجين، وماو، وتشاوشيسكو، وغيرهم من السفاحين، مسئولين عن موتهم.

نشكر الله لأن الكنيسة كان بها قادة مستعدون أن يضحوا بأنفسهم. قضى القس الروسي سيرغي جوليف (Serghei Golev) ٢٢ سنة في السجن قبل أن يُسمَح لزوجته بأن تزوره. لقد كانت ممنوعة من زيارته لأنهم اكتشفوا أنه يخبئ لديه عهداً جديداً. وقد سُمح لها فقط بأن تراه عن مسافة، ومع ذلك فلقد أبصرت دموعاً في عينيه. فصاحت به قائلة: «إني لم أرَك تبكي قَط. تشدَّد. وقريباً كل شيء سينتهي».

ومن وراء الأسلاك الشائكة أجابها قائلاً: «لقد تعبت. سلّمي على جميع

الذين يحبون الرب بصدق».

بعد ذلك، رجعت إليه قوته، بينما كان بعض الإخوة يناقشون في الزنزانة كيف يتمنون أن يموتوا. قال واحد: «أتمنى أن أموت وأنا أخدم الكنيسة، أتمنى أن تدفنني الكنيسة». وقال آخر: «أتمنى أن أكون مع أسرتي، وأن أُحضر أبنائي إلى الإيمان، وبعد ذلك أموت». أما القس جوليف الذي كان قد تجاوز لحظة الضعف هذه، فقال: «أتمنى أن أموت في السجن. لقد قضيت هنا أفضل سنوات عمري. أتمنى أن أنطلق مباشرة من هنا إلى الرب – هذه هي صلاتي».

لقد حصلنا على هذه الرسالة من الكنيسة السرية نفسها. ورسائلها لا تحتوي على أي كلام باطل. فهي تحكي بصدق وتواضع قصة عذابها الشديد، ولكنها أيضاً تسبِّح الله من أجل القدرة على التحمُّل التي منحها لها وسط الضيقات.

وتحكي نفس الرسالة عن قصة الأخت ناديجدا سلوبودا (Nadejda Sloboda). فلا أحد يُطلق عليها اسم قسيسة. ولكنها أول من آمن في قريتها عن طريق إذاعة الإنجيل بالروسية (وهي خدمة تشارك فيها إرساليتنا). لا تُسمِّيها قسيسة – ولكن الواقع يقول أنها قد أسَّست كنيسة في قريتها، وأن هذه الكنيسة قد نمت إلى حد أن الشرطة اضطرت أن تحاصر القرية لمنع الناس من التوافد من القرى المجاورة لسماع الإنجيل. وقد حُكم على الأخت ناديجدا بسبب ذلك بالسجن لمدة أربع سنوات. وقد أُخذ أطفالها الخمسة بالقوة إلى مدرسة داخلية إلحادية، وبقي زوجها وحده.

وفي السجن تم إيداع الأخت ناديجدا لمدة شهرين في زنزانة منفردة بدون تدفئة، اضطرت خلالها أن تنام على الأرض الاسمنتية بدون فراش، كل هذا لأنها أخبرت المسجونات الأُخريات عن المسيح. وأثناء النهار كانت تعمل. وقد تعجَّب الجميع كيف استطاعت أن تتحمل ذلك، فأجابت قائلة: «إني أستغرق في النوم على الأرض الاسمنتية الباردة واضعة ثقتي في الله، وإذا بالدفء يحيطني من كل جهة. إني أستريح بين ذراعي الله».

وقد اقترح عليها مدير السجن أن تقدِّم التماساً لإعفائها من هذه العقوبة. فأجابت قائلة: «لست أنا التي قررت أن أوضع في هذه الزنزانة، ولست أنا التي ينبغي أن تطلب الخروج منها». هذا يذكِّرنا بالرسول بولس الذي رفض أن يغـادر سجن فيلبي إلا بعد أن جاء الولاة وتضرعوا إليه لكي يخرج (أعمال ١٦ : ٣٦-٣٩). هؤلاء النجوم موجودون في سماء المسيحية.

عند حضوري اجتماعات الكنائس في العالم الحر، أقول لنفسي أحياناً: «لو كان يوم دينونة الله عرض أزياء، لكان الكثيرون في هذا الاجتماع قد خلصوا». أما أختنا المسجونة ناديجدا فهي ترتدي رداء البر في المسيح، وتكتسي بحماسها في أن تجعل الله ظاهراً في حياتها.

في الصين وُضع سيف على صدر أحد المسيحيين، وسُئل هذا السؤال: «هل أنت مسيحي؟»

أجاب: «نعم».

وكان من الممكن أن يُقتَل، لولا أن ضابطاً قال: «اتركوه يذهب، فهو معتوه».

وسأله شخص فيما بعد: «كيف استطعت أن تعترف بالمسيح بمثل هذه الشجاعة؟»

فأجاب قائلاً: «كنت قد قرأت قصة بطرس عندما أنكر المسيح، ولم أرغب أن أبكي بكاءً مراً».

من الحماقة أن نخاف من الذين يقدرون أن يقتلوا الجسد فقط، ولا نخاف من الذي يقدر أن يلقي الجسد والنفس كليهما في جهنم.

كتب الشهيد أوتو ويبي (Otto Wiebe) قبل موته في أحد السجون

السوفييتية، قائلاً: «إنه لمن دواعي فرحي الشديد أن أتألم من أجل مُخلِّصي. ولم يكن ذلك غير مُتوقَّع، وإنما كان اختياراً حراً اتخذته منذ صباي. هذا دليل على قدرته الإلهية التي تُمكِّن أبناءه من أن يحملوا طائعين الصليب الذي يضعه عليهم». لقد ترك خلفه ثمانية أطفال. يجب علينا أن نساعد أسَر هؤلاء الشهداء، ولكننا يجب أيضاً أن نتعلَّم من أولئك الذين يضعون حياتهم من أجل المسيح. لقد مات الأخ ويبي في السجن بعد أن شارك في الدعوة النبوية لكنيسته بمقاومة الماركسية الشيطانية. لقد مات وهو يُسبِّح الله. نحن أيضاً يجب أن نتعلَّم أن نسبِّح الله في آلامنا.

* ٤٩ ـ تحب «بأقصى ما لديك»

كانت مايكيلا Micaela راهبة أرثوذوكسية تؤمن بأن خبز وخمر المناولة هما حقاً جسد الرب ودمه. وعندما دخل الجيش السوفييتي دير فلاديميريشتي في رومانيا، دافعت عن المذبح بجسدها. وقد أُلقي بها في السجن، وعُوملت أسوأ معاملة. ولكنها من زنزانتها الانفرادية كانت تنقر الصلوات باستخدام شفرة مورس وتُرسلها عبر جدران السجن إلى زميلاتها المسجونات إلى أن ماتت.

وفي سجن روماني آخر، تظاهر بعض الحراس بالتعاطف مع السجينات وسألوهم عن تواريخ ميلاد أبنائهم. وقد تم اختيار هذه الأيام بالتحديد لجلدهن جلداً مبرحاً بهراوات من المطاط. وكان البكاء ممنوعاً، فالأم التي تبكي بعد جلدها، تُجلد من جديد..

في السجن هناك دائماً إغراء بالتخلّي عن الإيمان. فالشيطان يهمس للشخص قائلاً: «إعوِ مع الذئاب، فينتهي الألم». ولكن المسيحيين لا يريدون أن ينتهي الألم على حساب إيمانهم. إن الذين ينادون بأن المسيحية تعني الرخاء، والصحة، والوفرة، يكرزون بإنجيل آخر ليس هو إنجيل بالمرة (غلاطية ١ : ٦-٧). فلماذا يريد المسيحيون أن يهربوا من الألم بينما يقول الكتاب عنهم أنهم «**يُسرّون بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح**» (٢كورنثوس ١٢ : ١٠)؟ هل يريد أحد أن يهرب من السرور؟

عندما كنت في أحد السجون الرومانية الشيوعية، كانت أقدامنا متورمة لارتشاح الماء بها بسبب الجوع. في بعض الأوقات كنا نحصل على كسرة خبز واحدة في الأسبوع. وكانت الفئران تقفز فوق وجوهنا وتوقظنا أثناء الليل. في أحيان نادرة كانت الرياح تحمل ورقة شجر إلى الفناء القاحل الذي نسير فيه، فتُذكّرنا بأنه ما زال هناك عالم يحتوي على

أشجار، وزهور، وأفراح. تمكنَّت إحدى زهور الربيع من النمو بين الأحجار في الفناء. فأخذت أقطف بتلاتها، قائلاً مع كل واحدة: «إنها تُحبني في الفرح وفي الحزن وفي القلة وفي العدم». وقد أخبرتني آخر بتلة أن زوجتي سابينا التي كانت في سجن آخر تحبني في الحزن.

إن جدران الزنزانة لا تخبرنا عن قصص أولئك الذين كانوا فيها قبلنا. ولو قُدِّر لنا أن نموت في هذه الزنزانةستظل الجدران صامتة. كنا في كثير من الأحيان نشعر بأننا متروكون ومنسيون. كان هناك إغراء كبير بالانضمام إلى عالم الشر والضلال من أجل الحصول على الحرية.

وتحت ظروف مختلفة تماماً، نحن جميعاً نواجه مثل هذه الإغراءات. ولكننا بنعمة الله اتخذنا القرار، مثل أيوب، ألا نتكلَّم بالشر ولا ننطق بالضلال، وأن تظل كلماتنا تتحدث عن المحبة والإيمان والحق. وقد ساعد الله الكثيرين على تحقيق هذا الوعد.

يتعلَّم إخوتنا وأخواتنا في السجون أن يتشبَّهوا بالمسيح؛ رجل الأحزان.

عشرون مرة أثناء الليل يتم أيقاظهم بواسطة الحراس الذين كانوا يراقبونهم من ثُقب الباب: «أخرجوا أيديكم من تحت الفراش!»، «أديروا وجوهكم نحو الباب!»، «ارتدوا ملابسكم للاستجواب!» كانوا يعصبون عيونهم، ويقودونهم كالعميان أمام المعذِّبين فلا يعرفون من أي جهة ستأتي الجلدة القادمة.

كان المسجونون يعانون من الجوع. ولكن أبشع من مشكلة الجوع كانت مشكلة قضاء الحاجة. فكان هذا بمثابة فضل لا يمنحه الشيوعيون إلا بعد توسلات قد تدوم أحياناً طوال الليل. وفوق ذلك كانت المسجونات في كثير من الأحيان يُرغَمن على قضاء حاجتهن في وجود الرجال.

إن إخوتنا في الإيمان قد تحمَّلوا كل هذا، وحافظوا على صلاحهم وأمانتهم. لم تخرج من أفواههم أية كلمة رديئة أو شريرة. نحن نحتاج في تجاربنا أن نتمثَّل بهم وأن نصمم على مراعاة كلمات أفواهنا وأفكار قلوبنا، لتكون مَرضية

في عيني ذاك الذي أحبنا ووضع حياته من أجل خطايانا.

قضى الأخ مايكل إيرشوف (Michael Ershov) ثلاثة وأربعين سنة في السجون السوفييتية من أجل إيمانه بالمسيح. إن الزمن والمسافة يطفئان المحبة الصغيرة، ولكنهما يضرمان المحبة الكبيرة. خلال هذه السنوات كانت محبته للمسيح تتأجج أكثر فأكثر بينما كان يسير على درب الصليب. إن هذا الإيمان يبدو مُبالغاً فيه، وأي شيء مُبالَغ فيه يفقد معناه. ولكن فيما يختص بالحب المتبادل بين الله والإنسان لا يوجد مجال للمبالغة. فهي من الجانبين محبة من كل القلب، ومن كل النفس، ومن كل القدرة (تثنية ٦: ٥). وفي الأصل العبري لا يقول «من كل قدرتك» وإنما (bekol meodha)، ومعناها الحرفي هو «بأقصى ما لديك».

الباب الثامن

أبناء الأمناء

* ٥٠. التضحية بأعز ما لدي الإنسان

قصَّت علينا فتاة اسمها ماري قصة المحاكمة في روسيا التي تم فيها حرمان أمها من حقوقها كأم. صاح بها الشيوعيون قائلين: «أنت أم. انكري الله. ماذا أعطاك؟ مَن تحبين أكثر، أبناءك أم صنمك؟ كيف تفعلين هذا؟»

كانت أمها جالسة والوشاح يغطي عينيها، وأخذت تكرر هذه الكلمات: «الله يرى كل شيء. وهو يكافئ».

عندما صاحت إليها ماري وبقية الأبناء قائلين: «أماه، لا تتركينا!» لم تلتفت إليهم.

هذا المشهد يشبه تماماً ما نقرأ عنه في تاريخ الشهداء الأوائل، الذين كانوا يلقون بهم في ساحات الألعاب لكي تفترسهم الحيوانات المفترسة فلا يلتفتوا ولا يسمعوا لتوسلات أحبائهم الذين يطالبونهم بالتراجع لإنقاذ حياتهم من أجل أبنائهم. من جانب الله، كان السر هو أنه فضَّل موت ابنه على السماح بالموت الأبدي للخطاة. ومن جانب القديسين، السر هو أنهم يفضِّلون فقدان أبنائهم على إنكار الله. هكذا هو إلهنا – وهكذا نحن. لا نملك سوى أن نرنم بحمده، مهما كانت العواقب.

إن قصة ماري تُرينا قوة إيمان هذه الأم. والآن دعونا نرى إيمان طفل. ففي كثير من الأحيان يتفوق هؤلاء الصغار في الفضائل المسيحية.

ذهب الزوجان بارندسين (Barendsen) مُرسَلَين إلى أفغانستان للكرازة

بالإنجيل. كان الزوج هولندياً، والزوجة فنلندية، وكانا يعرفان أنهما سيواجهان كل من الإرهاب الشيوعي والإسلامي. ولكونهما متحدَين مع المسيح في الروح، فلقد كانا على أتم استعداد أن يضعا حياتهما من أجله. وقد تعرَّضا للطعن حتى الموت، وأثناء دفنهما، وقف ابنهما البالغ من العمر خمس سنوات وقال بصوت عالٍ: «أنا مسيحي، وإني أغفر لقَتَلة والداي». وقد عرفنا فيما بعد أن مسلماً قد قَبِل المسيح لدى سماعه لكلمات هذا الطفل الذي كانت له معرفة حميمة بيسوع المسيح.

في تقويم بيان القديس بطرس لسنة ١٩٩٠ (Almanach St. Peter Clavier)، كتب أميليو كروتي (Amelio Crotti)، الذي كان سجيناً في الصين، قائلاً:

«سمعت من زنزانتي أماً تتحدث بكلمات طيبة تواسي بها طفلتها البالغة من العمر خمس سنوات. كان قد أُلقي القبض عليها مع طفلتها لأنها قد اعترضت عندما ألقوا القبض على أسقف كنيستها. وكان جميع المسجونين ساخطين بسبب ما يرونه من معاناة الطفلة. وحتى مدير السجن قال للأم: «ألا تُشفقين على ابنتك؟ يكفي أن تعلني رجوعك عن المسيحية، وأنك لن تذهبي إلى الكنيسة فيما بعد، لكي يُطلق سراحك أنتِ وطفلتك».

ومن فرط يأسها وافقت الأم وأُطلق سراحها. وبعد أسبوعين أُرغمت على المجاهرة بأعلى صوتها من فوق منصة أمام ١٠,٠٠٠ شخصاً، قائلة: «إنني لم أعُد مسيحية».

وفي طريق العودة إلى البيت، قالت الطفلة التي كانت واقفة بالقرب من أمها عندما أنكرت إيمانها: «أماه، إن يسوع اليوم غير مسرور بك».

شرحت لها الأم قائلة: «لقد بكيتِ في السجن، فاضطررت أن أقول هذا لأني أحبك».

أجابت سياو ماي (Siao-Mei) قائلة: «أعدك بأننا لو دخلنا السجن مرة أخرى من أجل يسوع، فلن أبكي».

أسرعت الأم إلى مدير السجن وقالت له: «لقد أقنعتَني بأن أقول أشياء كاذبة من أجل ابنتى، ولكنها أكثر شجاعة منى».

وقد رجعت كلتاهما إلى السجن. وفي هذه المرة لم تبكِ سياو ماي (Siao-Mei).

لقد وُلد يسوع في حظيرة مواشى. وبالمثل فإن أبناء المسيحيين قضوا طفولتهم في سجون رطبة وكئيبة مع أمهات بطلات يذكّرننا في قداستهن بالعذراء القديسة مريم.

أُلقي القبض في شنغهاي على رجل روسي هو فلاديمير تاتيشتشيف (Vladimir Tatishtshev). ووضعت السلطات أنابيب حديدية على ساقيه، وأحكموا ربطها والطرق عليها إلى أن تكسرت عظامه ليجعلوه يعترف بجرائم غير حقيقية. فرفض. ذهب بعد ذلك البوليس الشيوعي إلى بيته. وأمسكت إحدى الضابطات بابنه الرضيع وقالت لأمه: «إذا لم تقومي بالتوقيع على شكوى ضد زوجك، سوف نهشم رأس الرضيع». لم تصدق الأم أن هذا قد يحدث فعلاً، فرفضت. فنفذت الضابطة تهديدها وهشمت رأس الرضيع على الحائط. فطعنت الأم الضابطة، وأطلق بقية الشيوعيين النار على الأم.

ثلاث جثث! خطية للموت. وأحداث مثل هذه لا تُحصى ولا تُعد حدثت ولا تزال تحدث في الصين الحمراء، فضلاً عن الهند، والتبت، والسودان، وفيتنام الشمالية. إن العالم الحر لا يعرف سوى القليل من قصص الألم الحقيقى.

نشرت صحيفة شيوعية هي أوشيتلسكايا جازيتا (Uchitelskaia Gazeta) أنه في قرية بورنياي كتبت المدرِّسة على السبورة هذه الكلمات «لا يوجد الله» وطلبت من التلاميذ أن يقرأوها. فرفعت طفلة يدها، ووقفت، وقرأت بصوتٍ عالٍ وواضح «الله موجود، ثم قصَّت على المدرِّسة مَثَل الابن الضال. وقد اشتكت المدرِّسة، ماترينا ماتفيفا

(Matrena Matveeva)، من أن جميع تلاميذها كانوا أبناء لأشخاص مؤمنين؛ وهم جميع تلاميذ القرية! أقامت المدرسة حفلاً إلحادياً، فلم يحضره ولا تلميذ واحد. كان الأطفال يقضون ساعتين إلى ثلاث ساعات يومياً في الصلاة. ربما تقولون أن هذا فوق طاقة الأطفال. كم ساعة يقضيها الأطفال الأمريكيون في مشاهدة التليفزيون؟

عندما نقرأ في الكتاب المقدس أن هناك وعود بالبركة لأبناء الأمناء، فإن بعضنا يتوقع رخاءً مادياً، أو زواجاً ناجحاً، أو شهادات علمية رفيعة، أو مراكز مرموقة. ولكن الكتاب المقدس لا يخدعنا أبداً من جهة معنى كلمة «بركة». فالرب يسوع قال: «**طوبى للمطرودين من أجل البر، لأن لهم ملكوت السموات. طوبى لكم إذا عيَّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين**» (متى ٥: ١٠-١١).

لا يوجد لدى المسيحيين سوى حُزن واحد – وهو ألا يكونوا قديسين. لا يوجد لديهم سوى ألم واحد – وهو ألا يشاركوا بالقدر الكافي في آلام المسيح وآلام إخوتهم من البشر. عندما تُصيب الأحزان أبناءهم بسبب اتخاذهم الموقف الصحيح في الحياة، فإن المسيحيين يبتهجون ويحسبون ذلك بركة. إني أكتب ذلك بصفتي أباً وجداً وجداً أكبر، وقد فحصت قلبي بتدقيق لتحديد ما الذي أريده أنا شخصياً لأبنائي وأحفادي. إني أريد لهم «**شركة آلام المسيح**» لكي «**يتشبَّهوا بموته**» لعلهم «**يبلغون إلى قيامة الأموات**» (فيلبي ٣: ١٠-١١).

*٥١ ـ أبناء مُتَميِّزون

«وإن سمعت سمعاً لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه التي أنا أوصيك بها اليوم... مباركة تكون ثمرة بطنك» (تثنية ٢٨ : ١ ، ٤).

فكرت في هذا الوعد الذي من الله عندما قرأت المُجلَّد الثاني من الأرخبيل الجولاجي (The Gulag Archipelago) لسولزينيتسين (Solzhenitsyn)، وهو كاتب مسيحي، حاصل على جائزة نوبل، وقد طردته الحكومة السوفييتية من روسيا. وقد نقل لنا قصة الزوجين الروسيين ليشتشيف (Leshtshev)، اللذَين سُجنا من أجل إيمانهما، تاركين أطفالهما الذين نشأوا في بركة غنية، بسبب أن والديهما قد سمعا لصوت الرب على الرغم من الألم الشديد. وقد حظي الأبناء أيضاً بامتياز دخول السجن من أجل إيمانهم بالمسيح. وهم أيضاً كان لهم أبناء، جميعهم ذهبوا إلى معسكرات الاعتقال بسبب تعلُّقهم بالمسيح.

ذهبوا جميعاً باستثناء زويا (Zoia)، التي كانت في ذلك الوقت في العاشرة من عمرها. وقد تم إيداعها في ملجأ للأطفال لإعادة تعليمها. وهناك أعلنت أنها لن تتخلى أبداً عن الصليب الذي وضعته والدتها حول عنقها قبل أن تغادر البيت مباشرة مكبَّلة بالقيود. ولكي تضمن أن الشيوعيين لن يأخذوا صليبها أثناء نومها، أحكمت ربط السلسلة حول عنقها. وإذ اعتبروا زويا غير قابلة للشفاء، فلقد أرسلوها إلى ملجأ للأطفال المتخلَّفين عقلياً. وهناك استمرت تصارع من أجل صليبها ومن أجل المخلِّص الذي كان يرمز إليه. وعندما حاول الأطفال الآخرون أن يعلِّموها الشتيمة والسرقة، أجابتهم قائلة: «إن أماً قديسة مثل أمي لا ينبغي أن تكون لها ابنة مجرمة».

وقد اجتذبت كثيرات من زميلاتها إلى الإيمان. وكما في جميع المدارس في ذلك الوقت، كان هناك تمثال لستالين في الفناء. فكتب عليه هؤلاء الأطفال رأيهم في هذا المجرم المستبد، وعبَّروا عن ولائهم للمسيح. وبعد ذلك قرَّروا

أن يحطموا رأس هذا التمثال لأكبر قاتل في التاريخ، الذي قتل ملايين عديدة من الرجال والنساء والأطفال الأبرياء، بسبب اشتهائه للسُلطة والنفوذ. وتم إخطار البوليس السرى، الذي وصف هذه الفعلة بأنها «عمل إرهابى» وطالب الأطفال - وكان عددهم مائة وخمسون - قائلاً: «أبلغوا عن المجرم! وإلا فسنُطلق النار على جميعكم».

فتقدمت زويا ليشتشيفا إلى الأمام وقالت: «أنا التي فعلت هذا وحدى. لماذا يكون لستالين رأس، بينما لم تكن له على الإطلاق أفكار محبة وبر ورحمة؟» لقد كانت لها بركة خاصة بحسب وعد الله لأبناء الأمناء. وقد حُكم عليها بالإعدام في سن الرابعة عشرة، ثم تم تعديل الحكم إلى السجن عشر سنوات، ثم أُضيفت لها مدة ثانية، وثالثة. وأُطلق سراح والديها وإخوتها قبلها بمدة طويلة، ولكنها استمرت متمتعة ببركة الله في السجن.

قام تلاميذ مدرسة سوفييتية عُليا في فيلنوس برحلة إلى متحف الإلحاد. وهناك أراهم المُحاضر صورة قديمة تمثل المصلوب، وشرح قائلاً: «هذا رمز للخرافة المسيحية. فالمسيحيون لديهم عقيدة غير عقلانية تقول إن شخصاً اسمه يسوع هو ابن الله، وأنه نزل من السماء ليموت على الصليب من أجل التكفير عن الخطايا التي ارتكبناها، وليفتح لنا أبواب الفردوس، الذي نعرف نحن الشيوعيون أنه غير موجود».

فصاحت إحدى الفتيات باكية: «**هذا هو ما أحتاجه. إني أحتاج ليسوع. وسوف أحبه**». لقد قادها المُلحد إلى المسيح.

فيما يلي خطابان كتبهما الأطفال المسيحيون السوفييت إلى أمهاتهم المسجونات من أجل إيمانهن:

ليباركك الرب، يا أمي العزيزة. تحيات خالصة من ابنتك المُحبَّة. لا تنزعجي من افتراقنا الوقتى؛ فإن الأذى لن يستمر إلى الأبد فسرعان ما سيعود الفرح. إن هذا يعطي تشجيعاً لأسرتنا ولقلبك. الآن أنت تعرفين السجن. أمي الحبيبة، لا أستطيع أن أتخيل الفرحة التي ستحدث يوم رجوعك. إني

أستذكر دروسي. والآن مساء، وغداً سيكون صباح. وهكذا يوماً بعد يوم. وفي أحد الأيام سيطلقون سراحك. إني أقبّلك.

وكتبت طفلة أخرى تقول:

أمي العزيزة، عندما ترجعين إلى البيت، لن أفكر فيما بعد في الوحدة والألم. لقد كتبت لكِ هذه القصيدة:

إن لكِ قلب من ذهب

أنت شباب في داخلك، ولستِ مُسنَّة

الرب يلاحظك من عُلياه

قريباً سيجتمع شملنا أنتِ وأنا

أرجوكِ ألا تبكي، وإن كنت أعرف أن السجن سيترك علامات على ذاكرتك

ابنتك المُحبَّة

إن المسيحيين الذين يموتون في السجون يتركون خلفهم أطفالاً يأكلون من القمامة، ويتناولون بأصابع ملتهبة قشر البطاطس وكسر الخبز البائت ليسدوا به رمقهم. ولكن هؤلاء الأطفال قد تعلَّموا من آبائهم الإيمان الجاد. تصفهم مجلة موسكو الإلحادية (Nauka i Religia) قائلة: «في كيسلوفودسك، تحدثتُ بعد عظة دينية مع فتاة في الحادية عشرة من عمرها. كانت مقتنعة تماماً أنها عندما تصلي فإن الرب الصالح ينظر إليها ويبتسم. قالت: «الله موجود؛ إني أراه بنفسي، ولا أصدق أي شخص يقول أنه غير موجود». وطفلة أخرى بعد أن قبَّلت صورة يسوع المصلوب، جعلت دُميتها تُقبِّله أيضاً. وعندما سُئلت عن السبب قالت: «لقد كان الله ينظر إلى الدُمية، لقد رأيته».

وتواصل المجلة حديثها لتخبرنا عما قاله أيوري (Iurii)، وهو صبي صغير

في الثانية عشرة من عمره، يقول: «إني أطلب من الله في صلواتي أن يعطيني القوة لمحاربة الذين هم ضد الله. نحن نحتاج أن نحاربهم ليس بالسيف، وإنما بالكتاب المقدس». وصبي آخر في نفس السن يقول: «إني أطلب من الله أن يغفر خطاياى، وأن يجعلني قوياً، وألا يوجد شر في داخلى».

منذ بضعة سنوات تلقينا خطاباً مفتوحاً من طفلتين صغيرتين يتيمتين في الرب، هما شورا (Shura) وجاليا سلوبودا (Galia Sloboda).

أبناء الله الأعزاء، نحن اختيكما الصغيرتين في الرب، قد تم فصلنا عن أمنا وأبينا العزيزين وأختين صغيرتين وأخ رضيع، رغم أننا لا زلنا صغيرتين جداً. لقد أخذونا منهم بحُكم محكمة الشعب في منطقة فيرشدفينسكي (Verchedvinskii)، مقاطعة فيتبسك (Vitebsk)، لأن والدينا العزيزين قد علَّمانا الخلاص باسم ربنا يسوع المسيح...

وهكذا وضعونا في ملجأ أيتام في فيتبسك (Vitebsk). ولكننا لم نحتمل أن نظل بعيداً عنهم، ولذلك فلقد هربنا مرتين إلى بيوتنا، ولكن أقوياء هذا العالم انتزعونا مراراً وتكراراً من أسرتنا ووضعونا في الملجأ. نحن نجثو كل يوم بجوار فراشنا ونصلي من أجلكم جميعاً، وبسبب ذلك فإنهم يُرهبوننا ويهدوننا باستمرار بأن يرسلوننا إلى معسكر تأديبى.

في ٢٤ ديسمبر، شعرنا بدافع قوي بأن نكتب إلى موسكو ونشكو من جميع التهديدات والاضطهادات، وطلبنا بأن يُسمَح لنا بالذهاب إلى البيت خلال أجازات الشتاء. وقد وافقت موسكو على طلبنا. ولكن للأسف، لم تكن أمنا في البيت! لقد حكموا عليها بالسجن أربع سنوات لأنها شهدت عن يسوع المسيح. وقد استقبلنا أبي مع أختينا الصغيرتين وأخينا الرضيع، وأمضى معنا وقتاً طويلاً في تعزيتنا، وقال لنا أن المسيحيين الذين يحبون ربهم حباً شديداً يضطرون للسير في طريق كرب.

أيها الآباء والأمهات الأعزاء، الذين لهم تعزية الرب، اذكرونا عندما تجتمعون مع عائلاتكم السعيدة، وعندما تكون أحوالكم على ما يُرام. نطلب

منكم أن ترفعونا دائماً في الصلاة في اجتماعاتكم أمام الله القدير، حتى نستطيع أن نتحمَّل أيضاً هذه الضربة القوية في سننا المبكِّر، وأن نظل حتى الموت أمناء في قلوبنا وواثقين في الرب، الذي يحبنا جميعاً.

إن أمانة الأطفال الصغار في البلاد الشيوعية كثيراً ما تكون مُذهلة. أعلن ابن شخص اسمه إيلينوف (Ilyinov) أمام المحكمة قائلاً: «لن أقتل أحداً، لن أفعل هذا، وهذا قراري النهائي». وطفل آخر، هو ليليا سكومورخوفا (Lilia Skomorokhova)، قال: «لا يمكنني أن أنضم إلى منظمة الرواد (Pioneers)؛ وهي منظمة شيوعية للأطفال. فلا يمكن للمؤمنين أن ينضموا إليها. قالت لي أمي أنها تريد أن تلقاني في العالم الآخر. والشيوعيون لا يذهبون إلى هناك».

في رسالة مُهرَّبة من الاتحاد السوفييتي ذُكرَت قصة الأطفال المعمدانيين فانيا فاسيليف (Vania Vasiliev)، ناديا زدوروفا (Nadia Zdorova)، وغيرهما، ممن تتراوح أعمارهم بين ثمانية وأربعة عشرة سنة، والذين تم إغراؤهم أو تخويفهم بواسطة النائب العام سكرورتشوف (Skrortshov) من أجل إعطاء أسماء مدرسيهم في مدارس الأحد. وقد أدى ذلك إلى توقيع أحكام على أربعة من القادة المسيحيين في مدينة ساكي (Saki). هؤلاء الأطفال ستظل ضمائرهم طوال حياتهم تصفهم بالخيانة؛ مع أنهم بالطبع في هذه السن المبكرة لم يدركوا أنهم قد استُدرجوا للوقوع في هذا الشرك.

أيضاً في الاتحاد السوفييتي، تم بالقوة إيداع أطفال عائلة فيديش Vidish المعمدانية في مصحة للأطفال المرضى العقليين، فقط لأنهم يؤمنون بالمسيح. وبعد سنة من العذاب هناك، قام والديهم بتهريبهم ونجحوا في أخذهم إلى مدينة أخرى حيث فحصهم الأطباء فوجدوهم أسوياء. ولكن هل ستبرأ نفوس هؤلاء الأطفال مما تعرَّضوا له من آلام؟

كان أول ما ميَّز الكتابات التي طُبعت سراً بواسطة المسيحيين في روسيا

هو اعتناؤهم الشديد بالأطفال. فلقد وردت على سبيل المثال القصة التالية: كان للأخت ماري لى خمسة أطفال هم فانيا وبافليك وأندرى وفيرا ووسفيتا. وقد اشترت لهم دُمية من المطاط. ولكن عندما لعب الأطفال اجتماع الصلاة، لم تكن ركبتا الدُمية قابلة للانثناء. فاشتكى الأطفال إلى أمهم بأنها قد أحضرت لهم «دُمية غير مؤمنة». فالمؤمنون يتميزون بأنهم يحنون رُكبهم أمام خالقهم.

عندما علَّموا الأطفال المؤمنين في المدارس بأن رواد الفضاء لم يروا الله عندما ذهبوا إلى الفضاء، أجابوا قائلين: «ولكن هل كان لرواد الفضاء قلب نقى؟ بدونه لا تستطيعون أن تروا الله أينما ذهبتم، وبه يمكنكم أن تروه في كل مكان!.

في هذه الكتابات السرية التي تم تهريبها من روسيا، طُلب من الآباء أن يعلِّموا أبناءهم كيف يبرهنون في المدرسة على وجود الله. وقد أكدت الكتابات أن الأطفال المسيحيين في روسيا «قد أذهلوا المحاضرين والمدرِّسين بثباتهم وبطولتهم الدينية».

الباب التاسع

الصين وبلاد أخرى

*٥٢ ـ زهرة في بستان الرب يسوع

أرماندو فالاديريس هو شاعر مسيحي كوبي قضى في السجن اثنين وعشرين سنة. وقد نشر مذكراته بعد أن أطلق سراحه، ووصف فيها الأهوال التي حدثت في هذه السجون الكوبية، حيث كان أكثر من ١٥,٠٠٠ سجيناً مُحتجَزين بسبب تُهَم دينية وسياسية. كان هناك سجين يبلغ من العمر ١٢ عاماً فقط، وقد وضعوه مع المجرمين في زنزانة واحدة، فجردوه من ملابسه، وقيدوه، ووضعوه على بطنه، واغتصبوه. في روسيا أيضاً، وُضع الأخوان تشيمودانوف (Tchemodanov) وكلاسين (Klassen) مع الشواذ. وفي السجون الكوبية كان السجناء يُضرَبون حتى الموت. كان بالسجن خزان كبير يحتوي على البراز والبول، وكانوا يرغمون السجناء على الوقوف في هذه القاذورات حتى أعناقهم.

ويظن المرء أنه تحت هذه الظروف لا يمكن أن يسري سوى قانون واحد: وهو الحفاظ على النفس على حساب العقيدة. ولكن المسيحيين لهم «قوانين تختلف تماماً عن جميع الناس».

مؤمن اسمه جيرالدو (Geraldo)، في كل مرة يبدأ التعذيب، كان يصيح بدون توقف: «**يا أبتاه، اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون**»، وقد أُطلق عليه الرصاص بينما كان يصلّي هذه الصلاة.

في إحدى المرات بينما كان فالاداريس (Valladares) في فناء السجن، سأله الضابط: «من أين تأتون بهذه القدرة على المقاومة؟ لماذا تتحمَّلون ذلك بدلاً من أن تستسلموا؟» فقطف زهرة، وأراها للرجل

الشيوعي. وقال له: «قبل أن يوجد أناس على الأرض كانت هناك زهور. وبعد أن تكون الرأسمالية والشيوعية قد طواهما النسيان منذ زمن طويل، ستظل الزهور موجودة. إن كتابنا المقدّس يشبّه الأمناء بالزهور. مكتوب: «**كالسوسنة بين الشوك كذلك حبيبتي بين البنات**» (نشيد الأنشاد ٢: ٢). حاول أن تكون زهرة في بستان يسوع عندئذ ستعيش إلى الأبد.

من هذه اللحظة صار الضابط إنساناً مُختلفاً، ولم يعد يضطهد المؤمنين.

نستطيع أن نتعلَّم من هؤلاء الإخوة كيف ننتصر على الأحزان في حياتنا الشخصية.

* ٥٣- التفتوا دائماً إلى الأمور الأصعب

كان لينين، مؤسس الشيوعية الدولية الحديثة، رجلاً يكره الله. في سن السادسة عشرة، اغتاظ من ملحوظة حمقاء، سمع بالصدفة أحد الكهنة يقولها لوالده: «إذا لم يذهب ابنك إلى الكنيسة طواعية، اضربه». عندئذ نزع لينين الصليب الذي كان يلفه حول عنقه. ومثلما يحدث في كثير من الأحيان، فإن هذه الحادثة التافهة قد ولَّدت فيه عقدة عداء نحو المسيحية. فلقد خلط بين مقولة خاطئة قالها أحد الكهنة وبين جميع الحقائق التي يرمز لها الكاهن: الله، والكتاب المقدس، والحياة الأبدية. وبعد ذلك صار هولباخ (Holbach) هو فيلسوفه المُفضَّل، وفي وقت لاحق أوصى بشدة أن يتم توزيع كتابات هولباخ في الكنائس. لقد أحبَّ هذا الفيلسوف الذي قال: «الله هو عدوي الشخصي».

يا لها من حادثة صغيرة، عديمة الشأن، جعلت لينين يُصبح ملحداً! قد يكون من المفيد أن نعرف كيف أن سيجموند فرويد، عالم النفس المشهور، قد أصبح ملحداً هو أيضاً. كان فرويد شديد الإعجاب بوالده، ويعتبره بطلاً. وعندما كان سيجموند في السابعة من عمره، أخبره أبوه، أن عصابة قد هاجمته في إحدى المرات وأخذت تصيح فيه: «انزل من على الرصيف، أيها اليهودي القذر، فاليهود يجب أن يسيروا في وسط الشارع». أيضاً فإنهم قد ألقوا بقبعته في الطين.

فسأله الطفل: «ماذا فعلت عندئذ يا أبى؟»

أجاب الأب: «أخذت القبعة وتركت الرصيف».

من الواضح أن هذا هو التصرُّف الصحيح الذي يجب أن يفعله المرء عند التعامل مع عصابة. فالبطولة هي فضيلة نادرة لا ينبغي تبديدها على الحوادث التافهة. ولكن الأب لم يشرح ذلك لسيجموند، ولم يكن من المتوقع أن يفهم الصبى. من هذه اللحظة احتقر فرويد أبيه وأبغضه. وهذه البُغضة التي بدأت

لسبب بسيط مثل هذا، تزايدت إلى حد أنه حلم بأنه يقتل أبيه. وعندما كبر ازدادت بغضته اتساعاً لتشمل جميع الآباء. كتب كتاباً يهاجم فيه موسى لأنه أبو الشعب اليهودى. كذلك كتب فرويد ضد الله، لأنه أبو الكون.

فهل توجد تفاهات في جذور ما نُسميه معتقداتنا؟

ما زالت فيتنام، وكوبا، وأهم منهما الصين، تطبِّق مبدأ لينين بكل دقة:

يجب نشر الرُعب بلا رحمة وفي أقصر وقت ممكن، لأن الناس لا يمكن أن يحتملوا القسوة المستمرة من جانب النظام.

يجب إجراء المحاكمات على الفور، وأن تنتهي بتوقيع أحكام سريعة على أكبر عدد من رجال الكهنوت.

يجب مصادرة ممتلكات الأديرة والكنائس بمنتهى الشدة، وبدون أي شفقة، وفي أقصر وقت ممكن.

كلما زاد عدد الكهنة الذين تتم إدانتهم في هذه المناسبة، كلما كان أفضل.

إن مثل هذا الرُعب المُفرط، لا يمكن أن ينكسر إلا بواسطة أمانة مفرطة، أما المسيحيون الفاترون فلا يستطيعون المقاومة. إن الأشخاص المُختارين، الذين ينبغي أن نتمثَّل بهم، يتبعون تعاليم يوحنا الذي كان عند الصليب «التفتوا دائماً إلى الأمور الصعبة، وليس إلى الأمور السهلة؛ إلى الأمور غير المستحبة، وليس إلى الأمور المُمتعة؛ إلى التعب وليس إلى الراحة؛ إلى الأمور المتواضعة والأكثر ازدراءً وليس إلى الأمور العالية والأغلى ثمناً».

إن المسيحيين في هذه البلاد يعرفون أنهم ينبغي ينشروا الإنجيل بدون أن ينظروا إلى التكلفة. يجب علينا نحن أيضاً أن نفعل مثلهم في ظروفنا الخاصة.

ما زال الاضطهاد الشديد موجوداً في فيتنام. القس اليسوعي ف. جوميز (Gomez . F)، الذي قضى خمسة عشرة سنة في السجون الفيتنامية، وصف في المجلة الشهرية الفيليبينية (Impact) قوات الظلمة

الموجودة وراء هذا الاضطهاد. أجرى حواراً مع ضابط شيوعي عالي الرُتبة من هانوى، والذي قال له: «نحن لا نقبل بهرطقة التعددية، لأن هذا يعني الانقسام والضعف. نحن نهتم فقط بالشعب». ثم أضاف على الفور تفسيراً لما يعنيه: الشعب، هم فقط الذين لديهم الأيديولوجية الصحيحة ويعيشون طبقاً لها. هناك أشخاص معاندون مثل الأسقف توان (Thuan). هؤلاء لن يصبحوا أبداً من الشعب. وقال أيضاً للقس: «لن يخرج أحد من معسكرات الاعتقال إلا بعد أن يصبح شيوعياً. أما الذين لن يتغيَّروا فسيختفون». وعندما سأله القس عما إذا كان الشيوعيون سيمنحون الحرية الدينية، أجاب الضابط الشيوعي قائلاً: «الحرية موجودة من أجل أن تطيع، بطرق مختلفة، قواعد الحزب الشيوعي».

وإذ صُدم القس اليسوعي من صراحة الضابط الشيوعي، قال له: «إني أجنبي وأستطيع أن أغادر البلاد. فإذا رددت ما قلته لي في العالم الحر، ستكون هذه أسوأ دعاية للشيوعية. فأجابه الضابط قائلاً: «أيها القس، لن يصدقك أحد».

إن الأشرار مفرطون في الشر. ولن نقدر أن ننتصر إلا إذا كنا مفرطين في الخير.

*٥٤- فتيات صينيات مثاليات

في كيانجسى، في الصين الحمراء، حُكم بالإعدام على أحد القساوسة وفتاتين مسيحيتين. ومثلما حدث في كثير من الأحيان الأخرى في تاريخ المسيحية، فلقد استهزأ بهم مضطهدوهم، ووعدوا بإطلاق سراح القس إذا قام هو بإطلاق النار على الفتاتين، فوافق. وقفت الفتاتان في فناء السجن تنتظران تنفيذ الحكم. وقد وصفهما أحد السجناء الذي راقب المشهد من زنزانته، قال إن وجهيهما كانا شاحبين ولكن جمالهما كان يفوق الوصف، كانتا في منتهى الحزن وفي منتهى الحلاوة. من الناحية الإنسانية، كانتا خائفتين، ولكن كان لديهما تصميم على مواجهة الموت وعدم إنكار إيمانهما. وبرفقة الحراس، جاء منفذ الحكم، فإذا به قس كنيستهما.

أخبرهما عن الاتفاق الذي أبرمه مع الشيوعيين، وكيف أنه من الحكمة أن يفعل ذلك. فإنهما ستموتان على أي حال، وهو سيموت أيضاً. ألبس من الأفضل لو استطاع أن ينجو؟ همست الفتاتان لبعضهما البعض، ثم انحنتا باحترام أمام القس، وقالت إحداهما:

«قبل أن تطلق علينا النار، نريد أن نقدِّم لك عميق الشكر لما فعلته لنا. لقد عمَّدتنا، وعلَّمتنا طريق الحياة الأبدية، وأعطيتنا المناولة المقدسة بنفس اليد التي تحمل بها الآن المسدس. ليكافئك الرب على كل الخير الذي صنعته لنا. أنت علَّمتنا أيضاً أن المسيحيين قد يضعفون أحياناً ويرتكبون خطايا رهيبة، ولكن يمكنهم الحصول على الغفران مرة أخري. عندما تندم على ما أنت مُزمع أن تفعله بنا، لا تيأس مثل يهوذا، وإنما تُب مثل بطرس. ليباركك الرب. وتذكَّر أن آخر فكر في ذهننا من جهتك لم يكن فكر سخط بسبب فشلك. كل إنسان يمر بساعات مُظلمة. إننا نموت مُعترفين بفضلك».

وانحنتا مرة أخري. كان قلب القس قد تقسي، وتخطى مرحلة التوبة، فأطلق النار على الفتاتين. وبعد ذلك مباشرة، أطلق الشيوعيون النار عليه.

في كثير من الأحيان تجلب الحياة صراعات بين البَشر، وإن كانت ليست دائماً بنفس هذه الدرجة من الإثارة كما في هذه القصة. دعونا نتعلم من هاتين الشهيدتين كيف نواجه خيانة الأصدقاء، وعدم إخلاص مَن وثقنا بهم.

قصة أخرى من الصين الحمراء: تعرَّضت فتاة لتعذيب شديد لإرغامها على إفشاء أسرار الكنيسة السرية. وعندما سُئلت كيف استطاعت أن تحتمل كل هذا الألم، قالت:

«لم يكن الأمر صعباً. فلقد علَّمني راعي كنيستي أن التعذيب الحقيقي يستمر فترة قصيرة جداً. فمقابل كل دقيقة تعذيب، هناك عشر دقائق من النظر في الوجوه الغاضبة وفي أدوات التعذيب. فقررت أن أغمض عيناي طول الوقت. لم أكن أرى العصا قبل أن تضربني، ولا بعدها. وبذلك صار الألم مُختصراً جداً. لقد استندت على وعد المسيح: «**طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله**» (متى ٥: ٨). لقد نقَّيت قلبي من خوف الناس، وتعلَّمت أن أرى الله. وبنفس الطريقة، استطاع الكثيرون أن يروه قبلي. وعندما أدرك الشيوعيون أسلوبي الدفاعي، ثبتوا جفوني بالشريط اللاصق لكي تظل عيناي مفتوحتين، ولكن كان الأوان قد فات. فإن بصري كان قد اتخذ وجهة جديدة».

*٥٥- الاتحاد مع المسيح

لو وقف شخص على جانب الطريق وراقب كل سكان الصين وهم يمرون أمامه بمُعدَّل شخص كل ثانية، ستنقضي أكثر من عشرين سنة قبل أن يمر آخر شخص في الموكب. إن قوانين لينين الصارمة هي التي تحكم هؤلاء الناس. كتب لينين يقول: «كل شيء يُعتبَر أخلاقياً طالما أنه ضروري لإبادة النظام الاستغلالي القديم». وبحسب رأي لينين، فإن الدين ينتمي إلى هذا النظام، لذلك فإنه يجب محوه.

ولكن المؤمنين في الصين يثقون في الموت. فهو الطريق إلى أحضان العريس السماوي وقُبلاته المقدسَّة. جاءنا تقرير غريب من مقاطعة هانان (Hunan). تم شنق أحد القساوسة بواسطة الشيوعيين، ولكنهم غادروا المكان بسرعة، فتمكَّن الإخوة من قطع الحبل وإنزاله، وهو لا يزال حياً. يقول أنه عندما التف الحبل حول عنقه وبينما هم يرفعونه إلى فرع شجرة، كل ما استطاع أن يفكِّر فيه هو الرب أثناء رفعه إلى الصليب.

تم تهريب قصيدة مسيحية لرادو جين (Radu Gyn) من سجن في رومانيا. وتعبِّر القصيدة بدقة عن إيمان الكنيسة السرية. وفيما يلي أفكارها الرئيسية:

الليلة الماضية، دخل يسوع إلى زنزانتي. كم كان يسوع حزيناً، وكم كان طويل القامة.

وقف بالقرب من فراشي وقال: «ضع يدك على جروحي».

كانت هناك على كاحليه علامات وصدأ، وكأنه في وقت من الأوقات كُبِّل بالقيود.

نهضت من تحت غطائي الرمادي وقلت له: «يارب، من أين ومن أي عصر أتيت؟»

وضع يسوع اصبعه على فمه وأعطاني علامة لكي أصمت.

عندما استيقظت، كانت رائحة القش تشبه الورود.

ولكن يسوع كان قد مضي.

صرخت عبر القضبان الحديدية: «أين أنت يارب؟»

عندئذ رأيت في يداي آثار مساميره.

إن الكنيسة السرية تحمل في جسدها سمات المسيح. مَن يباركها يبارك المسيح، ومن يساعدها يساعد المسيح، ومن يتعلَّم منها يتعلَّم من المسيح. دعونا نتعلَّم من هؤلاء المنتصرين على العالم.

* ٥٦- فتاة عربية

كانت ماري خوري في السابعة عشرة من عمرها، عندما سطا المسلمون المتعصّبون على قريتها دامور في لبنان، دامور، من أجل تحويل كل شخص إلى الإسلام بالقوة. وقد واجهت هي ووالديها اختياراً واحداً: «إما أن يصبحوا مسلمين، وإما أن يُطلق عليهم الرصاص».

كانت تعرف أن يسوع قد واجه اختياراً مماثلاً: «إما أن يتخلى عن خطته لإنقاذ الخطاة، وإما أن يُصلب». وقد اختار الصليب. فأجابت قائلة: «لقد اعتمدت كمسيحية، وكلمته لي كانت ألا أنكر إيماني. لذلك فسوف أطيعه. هيا أطلقوا عليّ النار». ففعل ذلك أحد الشباب، وتركها ظناً منه بأنها قد ماتت. وبعد يومين، جاء الصليب الأحمر إلى قريتها. كانت ماري هي الوحيدة الناجية من بين كل أسرتها، ولكن الرصاصة اخترقت عمودها الفقري، فأصيبت بشلل رباعي. كانت ذراعاها المشلولتان مثنيتين من عند المرفقين، في وضع يُذكّر بالمسيح وقت صلبه.

ولكنها كانت قد أخذت كلاماً من الرب. كانت تعرف ما الذي ينبغي أن تفعله بحياتها المُعاقة. قالت: «كل إنسان له رسالة. أنا لا أستطيع أن أتزوج أو أن أؤدي أي عمل جسماني. لذلك فإني سأقدم حياتي للمسلمين، مثل الشخص الذي ذبح أبي، وطعن أمي وهو يلعنها، وحاول أن يقتلني. ستكون حياتي صلاة من أجلهم».

إن مثل هذه الصلوات هي التي هدمت الشيوعية، الشيء الذي لا تستطيع أن تفعله البلايين التي تُنفق على الأسلحة النووية. وهي أيضاً التي ستأتي بالمسلمين إلى معرفة ابن الله. قالت تيريز من ليسيو (Therese of Lisieux) «إن الآلام التي يتحملها المرء بسرور من أجل الآخرين تُغيّر الناس بأفضل مما تفعله العظات».

وبسبب القدوة التي قدّمتها مارى، تشجع المسيحيون الآخرون لاتخاذ مواقف بطولية. خلال سنة ١٩٩٠، وهي السنة الأكثر شراسة في الحرب

الأهلية اللبنانية، قُتل ١٠٠٠ شخص، وجُرح ٣٠٠٠، وهرب ٣٠٠,٠٠٠ من البلاد – من بينهم مُرسَلون كان من واجبهم أن يظلوا مع رعيتهم. ولكن البعض مكثوا، أحدهم هو لوسييم عقاد (Luciem Accad)، مدير جمعية الكتاب المقدس، رغم مقتل عائلة من خمسة أفراد في البيت المجاور لبيته، ورغم انفجار قذيفة في بيته شخصياً أدت إلى انهيار أحد الجدران فوقه. وقد أُصيبت إحدى أذنيه بالصمم بسبب الانفجار، ولكن الأخرى كانت كافية له لاستخدامها في نشر كلمة الله.

كانت روحه مرتفعة. قال: «إن الناس يأتون إلى الرب كل يوم».

*٥٧ ـ أبطال فى الإيمان من الصين

عندما كان الجنرال بوث، مؤسس جيش الخلاص، على فراش الموت، قال لابنه براموبل: «احمل الإنجيل إلى الصين». كتبتُ منذ سنوات قائلاً إني لو كنت على فراش الموت لقلت: «احملوا الإنجيل إلى المعسكر الشيوعى». وقد تحققت هذه الأمنية.

في الصين، تحت إرهاب ماو، كان بعض المسيحيين يصلّون همساً مع زوجاتهم لئلا يسمع الأبناء فيتحدثون بذلك في المدرسة. ولكن آخرين أقاموا كنائس سرية، وقد تكاثرت فيما بعد. عندما جاء ماو إلى السلطة في سنة ١٩٤٩ كان هناك ٣,٥ مليون مسيحى في الصين. الآن يُقال أن عدد البروتستانت وحدهم يبلغ ٧٠ مليوناً.

خلال فترة الإرهاب الأكثر شراسة، نظمت الأخت كوانج مجموعات صغيرة من المبشرين المتجوِّلين الذين كانوا يتنقلون من مكان إلى آخر لتأسيس اجتماعات صغيرة. وقد تعرَّض ابنها البالغ من العمر اثني عشر عاماً للضرب حتى الموت بواسطة الحرس الشيوعى. وتعرَّضت هي وزوجها للجلد بالسياط علناً، ومع ذلك رفضا أن يُنكرا المسيح. وفي السجن تطوعَت بتنظيف المراحيض لكي تتمكن من الانتقال لإخبار السجناء الآخرين عن المسيح، وبالفعل ربحت الكثيرين منهم للمسيح. وعندما أُطلق سراحها لفترة من الزمن، قامت «الأم كوانج» مثلما كان يُسميها أصدقاؤها وشركاؤها في الخدمة، بتأسيس حوالي ٣٠٠ إجتماعاً، بعضهم يضم آلاف الأعضاء. وفي سنة ١٩٧٤، حُكم عليها بالسجن مدى الحياة، وتعرَّضت للتعذيب، ووُضعت في زنزانة تحت الأرض لا يوجد بها سوى دلو لقضاء الحاجة. وحيث أنه نادراً ما كان يتم إفراغه، فلقد هاجمها القمل والبعوض. كان طعامها الوحيد هو الأرز غير المغسول المليء بالرمل. وعندما أُطلق سراحها بعد أكثر من عشر سنوات في السجن، استمرت تعيش بقوانين مختلفة عن جميع الناس، بما فيهم أولئك الذين يطلبون السلام بالامتثال لنزوات الطغاة.

في زمن ماو، في مستشفى تشودسي (Chudse)، كان مطلوباً كل صباح أن ينحني كل شخص أمام صورة ماو. وقد تذكَّر أحد الأطباء قصة اليهود الثلاثة في القديم الذين فضَّلوا أن يُلقى بهم في أتون النار عن أن يخضعوا للوثنية، فرفض أن ينحنى. وكانت النتيجة أنه تعرَّض للضرب يومياً. وبينما كان يُضرَب، أخذ يرنِّم: «مَن سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد؟» وقد ضربه الشيوعيون بالحبال، والقضبان المعدنية، والهراوات الثقيلة، ومع ذلك فإن تعزية الله كانت أكبر من الألم، فلم ينحنِ أمام الصورة.

وبعد ذلك حاولوا كسر عزيمته بأن جعلوا زوجته وأبناءه السبعة يشاهدون تعذيبه. توسَّلت إليه زوجته قائلة: «إذا مت ماذا سيكون مصير أبنائنا؟ أرجوك، من أجل خاطرنا، افعل ما يريدونه!» ولكن هذا الطبيب المسيحي عرف تعليم يسوع: «**إن كان أحد يأتي إليَّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته، حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً**» (لوقا ١٤: ٢٦).

من خبرة الكنيسة العامة على مر العصور، كان يستطيع أن يتوقع أن بعضاً من أبنائه قد يتعرَّضون للأذى مدى الحياة، وإنهم ربما يشكُّون في محبته الأبوية. ولكنه كان يستطيع أيضاً أن يتوقع لهم أن يسيروا على مثال أبيهم إذا كانوا من مختاري الله، وفي وقت ما يصيرون مؤمنين أبطالاً مستعدين أن يضحوا بأنفسهم. وقد علَّق الشيوعيون الطبيب ليضربوه، ونخسوا وجهه بالحديد الساخن. وفي مرة أخري، جرَّدوه من ملابسه، وأرغموه على الوقوف على مقعد في جو شديد البرودة. ولكن الرب الذي حفظ الفتية الثلاثة في أتون النار، حفظه من البرد، فنجا وظل أميناً. لمثل هذا الشخص يُصبح الله هو أقصى مُشتهاه، والذي أمامه تهون كل تضحية.

إن كنيسة بها مثل هؤلاء الأبطال في الإيمان هي كنيسة قوية، كما نرى من القصة التالية:

في الصين الحمراء، أراد شخص أن يغتصب فتاة وهي في طريقها إلى البيت من الكنيسة حيث كانت قد تلقَّت تعليماً عن المحبة والغفران. وعندما أمسك بها، لم تصرخ ولم تركل ولم تهرب. فإنها كانت قد تعلَّمت أن تحب المعتدي وأن ترى فيه رجلاً يحتاج إلى الخلاص. لذلك فبكل تواضع طلبت من الشخص الذي يريد أن يغتصبها بأن يسمح لها بأن تصلي قبل أن ينفذ رغبته الآثمة. فسمح لها. فركعت وصلت بصوتٍ عالٍ. ولا بد أن صلاتها كانت تشتعل بنيران المحبة، لأنها عندما فتحت عينيها ونهضت من على رُكبها، كان المُغتصب راكعاً هو أيضاً، ولكنه غير قادر على الحركة. لقد صار مشلولاً. فعادت مسرعة إلى الكنيسة، لتُخبرهم عما حدث. ونصحها الشيوخ بأن تغفر للرجل - الأمر الذي كانت تفهمه من قبل - وأن تصلِّي من أجل شفائه. ففعلت ذلك وشُفي الرجل، وجميع الأشخاص غير المسيحيين في قريتها جاءوا إلى المسيح.

وجاء في تقرير آخر، أن اثنين من المسيحيين الصينيين كانوا في طريقهم إلى التعذيب والقتل. فهمس أحدهم بكلمات يسوع قائلاً «قد انتهي». فأجابه أخوه قائلاً: «لا، ليس هذا ما قاله يسوع عندما تألم. وإنما قال: «قد أُكمل».

لقد تعرَّض إخوتنا وأخواتنا في الصين لأشد أنواع التعذيب بأن ضخوا المياه داخل أنوفهم، وسحقوا أيديهم بوضع قطع خشبية بين أصابعهم، وباستخدام الصدمات الكهربائية العنيفة. لا يستطيع أحد أن يقاوم مثل هذه الوحشية سوى الذين يحبون المسيح.

*٥٨. ضيقة قصيرة وخفيفة

لا أحد يستطيع أن يظل كما هو بعد أن يلتقي بجون جيوهان دينج (John Jue Han Ding)، وهو قس صيني ذهب إلى التبت من أجل الكرازة بالإنجيل. ولذلك اعتقله الشيوعيون فقضى عشرين سنة في السجن. وقد وجدت فيه إنساناً لم ألتق بمثله من قبل. فالنظر في وجهه المضيء، وسماع الموسيقى السماوية الخارجة من فمه، والتعرُّف على قصته، هذه الأشياء قد أعطتني معرفة أوسع لمعنى التكريس والقداسة.

شعرت وكأن أحد علماء النبات يكتشف في غابة عذراء زهرة رائعة الجمال لم يعرف بها أحد من قبل.

لقد تحمَّل أنواعاً من العذاب تفوق الوصف. يكفي أن نقول أنهم في لحظة ما أوثقوا يديه خلف ظهره ثم أفرغوا فوق رأسه دلواً ممتلئاً بالفضلات البشرية. وتُرك هكذا لعدة أيام بدون أن يُسمح له بتنظيف نفسه. كانوا يضعون له الطعام، ولكن مع بقاء يديه مربوطتين خلف ظهره، كان مضطراً أن ينام على الأرض ويلعق الطعام مثل الحيوان. وكان الطعام يمر من بين شفتيه الملوَّثتين بالقاذورات. ومع ذلك لم ينكر إيمانه ورفض أن يعترف بجرائم لم يرتكبها.

وبعد ذلك ملء معذبوه زنزانة بالفضلات البشرية ووضعوه فيها مع عدد من المجرمين العاديين. فصاروا جميعهم يخوضون فيها ويختنقون. وقيل للمجرمين العاديين أنهم سيبقون على هذا الحال إلى أن يرغموه على الإذعان لمطالب المحققين. وللنجاة بحياتهم، تنافس هؤلاء المجرمين في تعذيبه نهاراً وليلاً. وعندما وصل إلى هذه النقطة من قصته، تحوَّل جون جيو هان دينج (John Jue Han Ding) من الكلام إلى الترنيم بصوت جميل ووجه مشرق. كان يرنم جزءاً من إحدى رسائل بولس: «**لأن خفة ضيقتنا الوقتية تُنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً؛ ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُري، بل إلى التي لا تُري. لأن التي تُرى وقتية، وأما**

التي لا تُرى فأبدية» (٢كورنثوس ٤: ١٧-١٨).

كم تبدو لنا ضيقاتنا الخفيفة ثقيلة، في حين أن الضيقات التي نعتبرها نحن أثقل ما يمكن تخيُّله على الإطلاق كانت تبدو له خفيفة. نحن نرى في حياة جون جيو هان دينج قديساً قد اجتاز في أعمق مستوى من الألم ووصل إلى أعلى قامة في السلام الداخلي.

فهل هؤلاء الأشخاص من البَشَر؟

في اللغة العبرية للجزء المذكور في (١ صموئيل ١٠ :٢٢)، والذي يتكلَّم عن شاول المزمع أن يملك على اليهود، توجد مسافة كبيرة في وسط الجملة بعد كلمة (Ish)، التي تعني «إنسان». ويقول معلمو الشريعة أن هذا يُشير إلى أن شاول، الذي كان قد حل عليه الروح القدس من الأعالي، قد أصبح أسمى من مُجرَّد إنسان. لقد أُتيحت له الفرصة أن يصل إلى قامة سماوية.

هذا ما حدث مع أخينا الصيني.

نادراً ما يضطر الناس لتحمُّل قسوة مثل تلك التي تحمَّلها هو. ولكن كل إنسان لديه شيء يُحزنه أو يعرف أناساً في حزن عميق. في إمكاننا أن نلفت أنظارهم إلى الله، وإلى المسيح. ولكن من المفيد أيضاً جداً أن نلفت أنظارهم إلى الأمثلة المعاصرة من الأبطال المتمثلين بالمسيح. لقد رفض دينج حتى النهاية أن يوقِّع على مطلب الشيوعيين، وبالتالي برهن على أن الإنسان يستطيع أن يقف بثبات أمام أي شر. هناك أناس غير قابلين للكسر، أعظم من منتصرين. لقد ظل جيو هان دينج ثابتاً تحت ظروف قاسية للغاية. ونستطيع أن نستمد الشجاعة من ثباته، لكي نصبح نحن أيضاً أعظم من منتصرين.

أعتقد أنه من المفيد جداً أن نرى المسيح في حياة قديسيه.

فالمسيح كلي الوجود من الأزل وإلى الأبد.

آمشل روثتشايلد (Amshel Rothschild) لم يكن مسيحياً، تسو بو تاو (Tso-Po-Tao) عاش قبل أن يأتي المسيح إلى هذه الأرض. هؤلاء أيضاً ينتمون إلى روح كنيسته، إذ كانوا يسعون وراء كل ما هو حق، وجليل، ومُسر، ونابع من الحب، حتى بدون أن يعرفوه.

مكتوب أنه في اليوم الثامن لميلاد المُخلِّص أعطاه والداه اسم «يسوع». وقد آمن به رعاة بيت لحم والمجوس بدون أن يعرفوا هذا الاسم القدوس.

الباب العاشر

شبكة الانجيل

* ٥٩ ـ العمل تحت ضرورة قصوى

كان اليهود االمتشددين الذين عاصروا حياة الرب يسوع على الأرض يرفضون بشدة السماح للناس بأن يقوموا بأي عمل في اليوم السابع من الأسبوع. فلقد كان السبت هو يوم للتعبد يقضونه في الهيكل. وبلا شك قد أفزعهم الرب يسوع حين سألهم «**من منكم يسقط حماره أو ثوره في بئر ولا ينشله حالاً في يوم السبت**» (لو ١٤ : ٥).

يبدو لنا من الوهلة الأولى أن كلمات الرب يسوع ساذجة وبسيطة الفهم، حتى أننا نتعجب لماذا وجد معاصروه آنذاك صعوبة في فهمها. لقد شفى الرب يسوع مرضى كثيرين في السبت، وكأن ذلك غير كافٍ لجعل السلطات الدينية آنذاك تغضب، فقد أمر أحد هؤلاء المرضى أن يحمل سريره يوم السبت. لقد تعامل الرب يسوع مع ضيقات الناس من حوله كضرورة هامة بينما كان يتفكر من هم حوله أنه لا بأس من تأجيل الشفاء ليوم آخر، طالما أن هؤلاء الناس مرضى منذ سنوات. غير أنه قد أظهر نفس الضرورة في مناسبات أخرى حين غضب اليهود لأن تلاميذه كانوا يقطفون سنابل القمح ويأكلونها يوم السبت، وقد قارن هذا الحدث بما فعله الملك داود، حين أكل من خبز التقدمة الذي في الهيكل عند هروبه في عجلة من غضب شاول الملك (مت ١٢ : ٣)

إننا إذا نظرنا إلى الأمر بسطحية كما فعل اليهود آنذاك فإننا أيضاً سوف نفشل في إدراك مفهوم هذه الضرورة. فلماذا لا يتم تأجيل شفاء حالة قد

استمرت مريضة لمدة سنوات، و لماذا يجب على شخص مفلوج ألا يؤجل حمل فراشه ولو ليوم واحد؟ وماذا تعني هذه العجلة بالنسبة لرسالة المسيح الروحية على الأرض؟

إن سقوط ثور في بئر أو حفرة هو فعلاً ضرورة خطيرة، فلا يمكن لصاحب هذا الثور أن يقضي يوماً هادئاً دون أن ينقذ ثوره. في الواقع أنه من شأن هذا الأمر أن يفسد أكثر من كسر السبت، وربما يفسد مصدر عيشه كله. إن غرق ثور يعد خسارة كبيرة، لأنه هو الحيوان الذي يقوم بجر المحراث وهكذا يمكن لصاحبه الحصول على القمح لإطعام الأسرة. كما كان يستخدم كوسيلة للنقل وحمل الأثقال، فلابد أن سقوطه في بئر في هذه الأوقات كان أزمة أكبر من تعطيل سيارة في أيامنا هذه. أيضاً ما هي الفترة التي تستطيع عائلة أن تعيش بدون ماء؟ مثل هذا الموقف لا يمكن إغفاله أو تأجيله. لا توجد طريقة محددة الخطوات عن كيفية سحب ثور من بئر ضيق، لكن الأمر يستوجب استخدام مهارة كبيرة. إنه من الصعب تحريك حمار في طريق مستقيم تحت الظروف العادية، فكم بالأحرى تسلقه أو دفعه خارج البئر. أسلوب التهديد أو الوعيد لن يكون مجدياً في هذه الحالة. إن الشخص الذي يعاني من فقد هذا الحيوان سوف يحاول أن يجرب كل الطرق التقليدية وغير التقليدية، [illegible] وغير [illegible] سيستخدم الوسائل المستحسنة وغير المستحسنة لكي يخرج ذلك الحيوان خارجاً بأي شكل من الأشكال.

فليبت هنا [illegible] ي دلالة على [illegible] ت أو المجهو [illegible] ي بالمعنوي [illegible] هذا الهدف. إن الشخص الذي يمتلك هذا الحيوان سيعمل بكل [illegible] الزمن [illegible] لأرجح [illegible] إذ أن المكان ضيق. مثل هذه الكارثة تحدث [illegible] قة بسيطة فتحدث الخسارة. هؤلاء الذين لا يعرفون الرب يسوع يعيشون [illegible] للحياة الحقيقية. إن الحياة بدون يسوع هي خسارة كبيرة لا يمكن [illegible]. فإنه [illegible] في مثل هذه الحالات أن يقف [illegible] للتفكير في اختيار الطرق [illegible] هؤلاء الناس.

إن عملية البشارة بالكلمة في الأماكن التي تجرم أو تمنع فيها الكرازة يجب أن تعامل على أنه عمل طارئ.

إن الكلمة اليونانية «إيثوث eutheos» قد تم ترجمتها في (لو ١٤:٥) إلى «حالاً» - «للوقت» وهى أكثر كلمة يتميز بها إنجيل مرقس. لقد وردت في إنجيل مرقس أكثر مما وردت في بقية الأناجيل معاً. والسبب في ذلك هو أنه نقل عن طريق التقليد أن مرقس هو الرجل الغنى الذي قال له الرب يسوع أنه لكي يكون كاملاً عليه أن يبيع كل ماله ويعطي الفقراء.لقد رأى في ذلك الوقت أن هذا الأمر ثمن باهظ جداً حتى أنه ترك المكان حزيناً. ثم ندم فيما بعد وقام بتنفيذ وصية الرب، ولكن بقى في داخله إحساس بالذنب بشأن الوقت الذي ضاع بسبب عدم الخضوع. لذلك نجد أنه في بشارته كثيراً ما يكرر كلمة «إيثوث» أى «وللوقت».

إن القيام بفعل الخير يجب أن يكون في الحال «للوقت». فإننا لا نملك سوى هذه اللحظة، ربما لا نعيش للحظة القادمة مهما كنا صغار الأعمار ونتمتع بصحة جيدة. إن لم نتحرك في الحال، فربما تأتى اهتمامات أخرى تنسينا واجباتنا. لذلك إذا كانت المعاناة التي يجتازها اخوتنا المؤمنون في أي مكان يعيشون فيه اليوم قد حركت قلوبنا، فعلينا أن نتحرك بدافع إيماننا وحبنا لهم. إن تأجيل الأمر للغد قد يكون متأخراً جدا، لذا فهؤلاء الذين يعملون تحت هذا الإحساس بالضرورة القصوى لهم تأثير عظيم.

يشرح تقرير من الصين كيف انتشرت المسيحية في هذا المجتمع الملىء بالقمع، جاء فيه : قبض على عشرة اخوة وأخوات - في المسيح - وتم ضربهم وتقييدهم. إنهم حسبوا أن معاناتهم من أجل الرب غنى أكثر من خزائن مصر. لقد كانوا يعظون بدموع كثيرة جعلت العابرين والبائعين في الشوارع – المسيحيون منهم وغير المسيحيين – يقفون وينصتون حتى أن الروح القدس قد لمس قلوب العرافين منهم فانفجروا في البكاء. إن الكثير من الناس الذين لمستهم كلمة الله قد نسوا الطعام والعمل، لقد نسوا حتى العودة إلى منازلهم.

لقد وعظ هؤلاء الاخوة والأخوات حتى أصيبوا بالإعياء، ولكن الناس لم يدعوهم يمضوا. أما السلطات فقد قامت بسحبهم واحد تلو الآخر، ثم قيدتهم بالحبال وصاروا يضربونهم بقضبان كهربائية صاعقة حتى سقطوا فاقدين الوعى، لكنهم حين استفاقوا استمروا في الصلاة والتسبيح والوعظ للجمهور المجتمعين لمشاهدتهم.

لقد لاحظ الناس تعبيرات غريبة على وجوههم أثناء ضربهم وهم مقيدين، واندهش الجمع حين رأوا وجوههم مبتسمة، وأرواحهم مملوءة بالحياة والنعمة حتى أن كثيرين قد آمنوا بالرب يسوع بسببهم.

حين جاء الاخوة والأخوات إلى مكانهم رأوهم مقيدين ومطروحين للأرض على ركبهم لمدة تزيد عن ثلاثة أيام بدون طعام أو ماء وهم يضربون بالعصى حتى غطت الدماء وجوههم وتغير لون أيديهم إلى اللون الأسود بسبب الحبال التي تقيدها – وبرغم ذلك ظلوا مصلين ومرنمين مسبحين الرب – فتمنى هؤلاء الاخوة والأخوات مشاركة اخوتهم آلام الاضطهاد. لذلك انتشر لهيب البشارة في كل مكان في هذه المنطقة سريعاً.

من وجهة النظر الإنسانية يعتبر هذا الحدث سيئ جداً، لكن المؤمنين يرونه وليمة عظيمة. فلا يمكن تعلم مثل هذا الدرس من الكتب، كما أن الإنسان لم يعتاد تذوق هذا النوع من الحلاوة، لا تتواجد هذه الحياة الغنية في مناخ مريح، حيث لا صليب لا يوجد تاج، وإن لم ينقى الطيب ليصبح زيتاً فلن تنبعث منه رائحة زكيه، وإذا لم يعصر العنب لن يصبح خمراً.

قال الشخص الذي روى هذه الواقعة « أيها الأخوة الأعزاء، إن هؤلاء القديسين الذين ألقوا في أتون النار دون أن يمسهم أذي، قد رأى الناس المجد على وجوههم ».

* ٦٠- المسيح خارج الكنيسة

كان الناس يعيشون في المعسكر الشيوعي بدون كنائس أو كتب مقدسة وكانوا يعانون من ألم العطش إلى الرب. لذلك قد وجدوا الله خارج مباني الكنيسة في عاصمة أحد البلاد الشيوعية.

دخلت مرة وكالة السياحة في عاصمة أحد البلاد الشيوعية. وعندما تحققوا من هويتى، قامت السفارة بدورها بإرسال مندوب عنها لملاقاتى، فوجدت أمامي أربعة رجال شيوعيين مكلفين بالتأكد من سفري خارج البلاد. غير أني أخبرتهم عن المسيح. وبدلاً من كلمات المعارضة التي كنت أتوقع تلقيها من هؤلاء الرجال، قال لي الشخص المرسل من السفارة: أيها القس، لقد حلمت ذات ليلة أنني كنت في أحد المروج، ورأيت يسوع أيضاً وكان يربت على رأسى. لماذا حلمت به ؟ فأنا لا أؤمن بالمسيح، ولماذا يربت يسوع على شخص لا يؤمن به؟ لقد قضيت اليوم التالي لهذه الليلة وأنا في حالة من الدهشة. أتستطيع أن تفسر لي ماذا يعنى ذلك؟

يا لها من فرصه عظيمة يمكن أن تصادف أي قسيس! لقد اغتنمت هذه الفرصة جيداً.

«**لكن العلي لا يسكن في هياكل مصنوعات الأيادى. كما يقول النبي**» (أع ٧ : ٤٨) أي صدمة يمكن أن يحدثها وقع هذه الكلمات على اليهود في ذلك الوقت. كان عليهم كل عام أن يسافروا بعيداً أو لمسافات قد تصل إلى مئات الأميال من بلدهم لأداء فريضة الحج إلى أورشليم، تلك الفريضة التي وضعت عليهم من قبل ناموسهم. وعندما يصلون إلى الهيكل للقاء الله، يقوم القارئ بتلاوة كلمات النبي «لكن الله لا يسكن في هياكل مصنوعات الأيادي» أين إذن يستطيع الإنسان أن يجد الله ؟ ولماذا توجد الهياكل إن لم يكن الله ساكن فيها ؟

تشير الهياكل إلى أول خيمة حقيقية، وقد شاء العلي أن يضعه في مذود بحظيرة وسط المواشى. لقد جاء الله إلى خيمة وسط الناس كطفل صغير، وحل

فيه ملء اللاهوت جسديا. قال يوحنا الرائي عن أورشليم الجديدة «**ولم أر فيها هيكلاً لأن الرب الله القادر على كل شئ هو والخروف هيكلها**» (رؤ ٢١ : ٢٢).

بالطبع لم يعرف الشيوعيون ذلك. لقد كانوا يعتقدون أنهم حينما يخربون الكنائس، فإنهم بذلك يستطيعون القضاء على الإيمان في قلوب الذين يؤمنون بالله. لكن الله يستطيع أن يتكلم إلى ملحد في غرفة مغلقة.

سبرغى شيلدكوف (Serghei Zheludkov) وهو قس أرثوذكسي روسي الجنسية، قد أعلن انضمامه إلى بافل ليتفينوف (Pavel Litvinov) – المجاهد الروسي – الذي حُكم عليه بسبب اعتراضه على غزو الاتحاد السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا. كتب القس شيلدكوف إلى بافل رسالة رائعة:

لقد سمعت أنك ملحد. لكن ذلك لم يعيق إعجابي بك. إن الكنيسة التي هي الجسد السري للمسيح تتكون من رجال لهم إرادة وأفعال حسنة، أحراراً مما يسمونه «اعتقادات» وكما أن الخلية الصحيحة في الجسد الحي من الممكن أن لا تعرف شيئاً عن رأس هذا الجسد، وقد لا تعرف عن باقي الجسد كله أيضا، لذلك من الممكن للرجل ذو الإرادة الحسنة أن يكون غير مؤمن لا يعرف شيئاً عن المسيح ولا يفكر فيه، لا يعرف الله ومع ذلك من الممكن أن يكون منتمياً لكنيسة المسيح. إن الكثيرين في روسيا اليوم يعتبرون أنفسهم ملحدين وذلك ليس لسبب، غير نقص المعرفة والحب والحرية. ليس لسبب إلا نقص الحق والجسارة والأمانة. كل هذه الصفات هي أسماء للرب إلهنا – الذي نكرمه دون أن نعرفه – والذي نكرز به من خلال التوجهات الرائعة الشجاعة».

بعض هذه الأفكار قد تبدو غريبة بالنسبة للمسيحيين فى الغرب. ولكنني قد عرفت من شاب عالم روسي الجنسية، وهو يقوم بزيارة إلى الولايات المتحدة. سأله البعض عن الاضطهاد الديني في روسيا. فأجاب بكل صدق قائلاً «كان علينا أن نضع الكثير من المسيحيين في السجن لأنهم يقطعون أيدي الأطفال وأرجلهم كذبيحة لله أثناء قيامهم بمراسم عبادتهم لله» هذا ما تلقاه من معرفة عن المسيحية.

لو كان هذا هو كل ما أعرفه عن المسيحية، لأصبحت أنا أيضاً ضداً للمسيح.

* ٦١ - رسائل مسلسلة

في صحيفة مولوديوج جروزى (Molodioj Gruzii) السوفيتية، قرأنا عن إصدار حكم ضد ثلاثة أشخاص مسيحيين أرثوذكس وهم كازيموف، وماتشالوف، و إبراميشيلفيلى (Kadimov, Matchalov and Abramishivili). كانت جريمتهم هي القيام بتنظيم إرسال رسائل لأشخاص يقومون بدورهم بإرسالها لآخرين. وحيث أن هذا الأمر يعتبر جريمة سوفيتية بحتة غير معروفة في بلاد العالم الحر، علينا أن نشرح طبيعة هذه الجريمة. بسبب أن المسيحيين هناك غير مسموح لهم بنشر الكتب المقدسة أو طبع أي كتب مسيحية، فقد قرروا كتابة رسائل باليد أو بالآلة الكاتبة مع استخدام عدة نسخ كربون حيث أنه ليس لديهم ماكينات تصوير، ثم إرسالها إلى عناوين تم اختيارها من الدليل الخاص بالتليفونات، أو وضع هذه الرسائل في صناديق البريد، وكانوا يطلبون من هؤلاء الذين يستلمون هذه الرسائل أن يقوموا بدورهم بتكرار إرسال هذه الرسائل وتوزيعها بنفس الطريقة، فاستطاعوا بذلك أن يصلوا إلى الأطراف البعيدة في الاتحاد السوفيتى.

لقد بدأ هذا العمل في القوقاز لكن الصحف الأوكرانية قد أشارت أن هذه الرسائل قد انتشرت أيضاً في مدن أوكرانيا.

لقد كانت الرسالة التي ذهب هؤلاء الأخوة بسببها إلى السجن تبدأ بكلمة «أبانا» وهو المعنى الذي لم يدركه الناس في الاتحاد السوفيتي إلا بسبب هذه الرسائل. ثم جاء في الرسالة «إن الملحدين هم مساعدين لأضداد المسيح، فبالرغم أن الفريقين لا يعملون معاً، فإن الملحدين وحكومتهم قد قاموا بصنع جنة مضللة على الأرض. وأضداد المسيح قد نجحوا أيضاً في شراء الناس عن طريق الأفلام ووسائل التسلية الأخرى ليضلوهم بتعاليم بعيدة عن الله... إنهم يأخذون أطفالنا ويضعونهم في رياض للأطفال وفى مدارس تحتضنهم بدون حب – وهناك يفسدون الإيمان بالله في قلوب هؤلاء الأطفال. إنهم

يتحولون إلى أشخاص قساة القلوب، سارقين، مدمنين للخمر». ثم تختم الرسالة بذلك الحث «صلوا، اطلبوا من الله من أجل نعمة وغفران وحماية».

كانت لهذه الرسائل أهمية خاصة بالنسبة للأطفال السوفيت الذين لم يسمح لهم بحضور الاجتماعات الدينية. كانت رسائل هامة لتوجيههم للإيمان، فهي لم تكن مجرد قضية بضعة رسائل ترسل من يد إلى يد. لقد أفادت الصحيفة أن المسيحيين قد أغرقوا مدينة «تبيليس» (Tbilisi) بكتاباتهم.

صحيفة أخرى تسمى «مولوديوج مولدافي» (Molodioj Moldavii) قد ذكرت مقال بعنوان «هجوم من جانب المؤمنيين، فبعد خمسين عاماً من الطغيان الدموي أصبح ملحدو الاتحاد السوفيتي في موقف الدفاع».

هذه السلسلة النسبية من الرسائل كانت الأسلحة التي هزمت هؤلاء الذين كانت بحوزتهم جميع المدارس، ودور النشر، ومحطات الإذاعة والتليفزيون، بجانب السجون وأدوات التعذيب.

إنني أدعو قراء هذا الكتاب إلى استخدام أسلحة مماثلة. إن الكنيسة لا تعنى أبداً أن تكون منظمة يقوم بالعمل فيها نفر قليل بينما يقوم الآخرون بالتبرع بالمال. إننا جميعاً مدعوون لمشاركة الكهنوت مع سائر المؤمنين، مشاركين في خدمة نشر الأخبار السارة لبعيد وقريب.

*٦٢ـ شاعر يعرض نفسه للسجن

سولوهين (Solouhin) شيوعي روسي قد تعرض لهجوم عنيف من قبل رفقائه بسبب كتابة شعر «محظور» كان من شأنه أن يقوده إلى السجن. لقد رأى أحدهم بين قصائده إشارة بسيطة وغير واضحة عن الله – وكأنه يبحث عن القدوس دون أي نوع من المعرفة الدينية. لم تقنع هذه القصائد أحد الخدام الأمريكيين الأصوليين، حيث وجدها لا تتفق مع كتابه المقدس وكتب العقيدة، فهو لم يستطع أن يرى ما رآه الآخرون في هذه القصائد بسبب فشله الشخصي في المشاركة في عمل إرسالي سرى في روسيا، ربما لم ير هذا الشاعر الشاب لم ير أبداً كتاباً مقدساً أو أي كتاب مسيحي.

قام سولوهين في إحدى قصائده بوصف كنيسة أرثوذكسية قديمة بها صور مقدسة تبدو أنها مثقلة بالذهب، وعندما جاء المساء «في الكنيسة، حتى الظلمة بدت كما لو كانت ذهباً خالصا».

كيف تكون الظلمة ذهباً حينما تكون هناك كنيسة؟ لا يستطيع أحد أن يخبرك بذلك سوى شخصاً من روسيا. لقد أخذت منهم كنائسهم، لذلك هم يقدرون قيمتها جيداً. توجد كنائس في كل ركن عند الغربيين، من أجل ذلك هم ينتقدونها. هم لا يرون أنه حتى في إخفاقات الكنيسة وأخطائها فهى تبدو ذهبية ـ لأنه دائماً في الكنيسة لا يوجد فقط العنصر البشرى بل الإلهي أيضاً ـ لأنه دائماً في الكنيسة هناك الوجود البشرى والإلهي معاً.

يقول سولوهين، توجد أيقونة عمرها خمسة قرون. منذ خمسمائة عام رسمت صورة الأم القديسة وهى تبكى على ابنها الذي قد صلب لتوه، لكنها أيضاً بكت مع كل الخطاة الذين سجدوا معترفين بخطاياهم في الكنيسة. ثم طرحت الصورة فوق كومة من القمامة. لقد تحولت الكنيسة إلى مبنى إداري تابع للسوفييت، حيث لا يوجد من يبكى مع هؤلاء الذين يبكون. إن امرأة مزارعة أخذت الصورة المقدسة وعلقتها في مكان خاص في بيتها، وقد رأى سولوهين الصورة في إحدى زياراته لهذه القرية فأخبر المرأة أن بإمكانها

الحصول على مال وفير مقابل بيع هذه الصورة لأحد المتاحف نظراً لقيمتها كتحفة فنية قديمة. أجابت المرأة قائلة: «وإن تم تقطيع جسدي إلى أجزاء، أو حتى احترقت عيني بقضبان حديد محماة بالنار، فلن أدفع أم الإله – صورة مريم المضيئة – ليد الأشرار حتى يستهزئوا بها».

لقد أنهى سولوهين تلك القصيدة بقوله أنه سافر بعد ذلك لسنوات عديدة لكنه لم يستطع نسيان صورة الأم القديسة وابنها القدوس في حضنها.

في مجلة روسية تدعى «الدين والإلحاد في الاتحاد السوفيتي» جاءت التقارير التالية :

إن إحدى المدرسات – السيدة زيازيفا (Ziazeva) – قد كتبت للصحف ورجال الإعلام الملحدين أنها بعد أن قامت بدراسة الكتاب المقدس والقرآن (الكتاب المقدس عند المسلمين) والفيداس (Vedas) (الكتاب المقدس عند الهندوس)، قد اعتنقت المسيحية حسب المذهب الشرقي الأرثوذكسي حيث أعطتها المسيحية نوراً ودفئاً في بحثها المنطقي عن الحقيقة.

كذلك المؤرخة التاريخية – أنا تيهايا (Anna Tihaia) – قد أعادت بطاقة عضويتها إلى الكومسومول (Komsomol) – منظمة الشباب الشيوعية – لأن هذه المنظمة لا تؤمن بوجود اله. ثم لم تستطع الاحتفاظ بعملها كأستاذ في الجامعة لذلك قامت بالعمل في وظيفة غير لائقة بمكانتها العلمية في أحد المصانع، كما أنها أصبحت عضوه نشطة بالكنيسة المعمدانية. وظلت تكرز بالإنجيل في البلاد الشيوعية الأخرى أيضاً، حتى وسط الطبقة الحاكمة.

عند دخول السوفييت تشيكوسلوفاكيا فإن أعضاء البرلمان قد أصيبوا بالهلع حين حاصرتهم القوات الروسية. لكن عضواً مسيحياً واحداً أخذ كتابه المقدس بهدوء وأبتدأ يقرأ فيه. فسأله الآخرون: «ألا تبالي بالمأساة المحيطة بنا؟ إنه سيتم القبض علينا حالاً وسننفى إلى سيبريا، كيف يمكنك أن تجلس هادئاً هكذا ؟» فأجابهم: «إنها كلمة الله التي تعطى الراحة للقلب المضطرب».

فدعوه حينذاك أن يقرأ لهم الكتاب المقدس من فوق منصة البرلمان الشيوعي ، تلك المنصة التي لم تكن تبث من فوقها سوى النظريات المتشددة للزعيم لينين. ثم قام ستة عشر عضواً من البرلمان بطلب كتب مقدسة وقد استلموها بالفعل.

* ٦٣ ـ إشاعة انضمام لينين للمسيحية

في يونيو ١٩٢٦ أصدرت الجريدة الرسمية للفاتيكان أوسفاتور رومانو (Osservatore Romano) عدداً يعلن أن فيتوريو بودو – (Vittorio Bodo) وهو كـــاهن من هنجاريا وكان صديقاً للزعيم لينين من أيام شبابه – باعتباره مهاجر في الغرب – قد قام بزيارة لينين حينما كان مريضاً بمرض يؤدى للموت. وقد زعم أن لينين قال لـه: «لا شك أن كثيرين من المضطهدين يجب أن يطلقوا أحراراً، لكن نظامنا قد قام بشن اضطهادات أخرى ومذابح مرعبة. في قلبي حزن مميت بسبب غرقى في محيط من دماء ضحايا لا حصر لهم والوقت الآن متأخراً لإدراك ما قد مضي، لذلك نحن نحتاج إلى عشرة أشخاص مثل القديس فرنسيس الأسيزى لأجل إنقاذ روسيا». غير أن مونسجنور دهيربجنى (Monsignor D'Herbigny) – أسقف إليو(Elio) – قد تشكك في صحة هذه القصة، لذلك تحدث شخصياً إلى القس بودو وتأكد من هذه الواقعة شخصياً. وقد تكلم عن هذه المقابلة في محاضرة نشرت في جريدة إيطالية عام ١٩٤٦. لقد كان لينين متأثراً بالمسيحية. لقد سجلت زوجته كروبسكايا (Krupskaia) في مذكراتها أنه قد قابل الكاهن الأرثوذكسي جابون، والذي شنق بعد ذلك على يد الشيوعيين. لكن الأكثر إثارة للدهشة هو أن المجلة السوفيتية الملحدة – نوكا آى ريليجيا (Nauka I Religia) – قد نشرت في ديسمبر ١٩٧٣ ما يلى:

«لقد أبدى لينين اهتماما كبيراً بالكتابات الخاصة بالمذاهب المسيحية والتي قام زميل شيوعي بجمعها، وخصوصاً المخطوطات القديمة منها. لقد قام بدراستها كاملة، وكان يهتم خاصة بكتاباتهم الفلسفية.

وذات مرة بعد أن قرأ المخطوطات الخاصة بطائفة مولوكانى الروحية (Molokani) ـ هي طائفة خاصة بروسيا قد تمت إبادتها فيما بعد على يد الشيوعيين ـ قال: «كم هذا شيقاً، كل هذه الكتب بأكملها قد كتبت على أيدي أناس بسطاء».

هذا ما كتبته المجلة الشيوعية. لا أحد يعلم ما هو مقدار الحقائق المختفية وراء هذه القصة ؟ ربما قد اختبر التوبة وهو على فراش الموت نتيجة لقراءته لبعض الكتابات البسيطة لمؤمنين في القديم أو بسبب قراءته لبعض الكتب عن القديس فرنسيس الأسيزى والتى أعطاها له القس بودو. لا أحد يعلم. فالسماء هي مكان للمفاجآت. لابد أننا سنفاجأ بأن نجد هناك عدداً كبيراً من الناس قد عاد إلى المسيح ممن كانوا قد قاموا بمذابح للمسيحيين مثل فلاديمير لينين. إن بعض المنشقين الخارجين عن الاتحاد السوفيتي قد أكدوا أن لينين قد اعترف على يد كاهن قبل موته. لقد عاني بسببه ضحايا كثيرين من المسيحيين، وماتوا وهم يصلون لأجله. لابد أن الله قد استجاب لصلواتهم من أجله.

نحن دائماً نشجع الناس على الكتابة للقادة الشيوعيين وشخصيات حزب اليسار في بلادنا كما يكتبون لقادة بلاد العالم الحر. في (أر ٣٦ : ٢٠) « **ثم دخلوا إلى الملك إلى الدار.... وأخبروا في أذني الملك بكل الكلام** ». لابد أن نصطاد سمكاً كبيراً للمسيح.

إن مالنكوف (Malenkov) ، وهو أول معاون لستالين، وخلفه في الرئاسة، وقد شارك في قتل الملايين من الأبرياء، قد مات بعد أن أصبح مسيحياً مولوداً ثانية. لقد جاءت توبته بعد حوالى يوماً واحداً من قراره أن ينزل بنفسه ليقف مع المواطنين الفقراء المصطفين في صف طويل في انتظار الخبز – وهو الحاكم الشيوعي المميز الذي يتمتع بكل كماليات الحياة. لقد أراد أن يختبر شعور الألم عند الطرف الآخر من السوط. كذلك ضابطى المخابرات الروسية نايف وآى كونيكوف (Ataiev and I Konnikov) ماتا شهيدين مسيحيين بعد أن قاما بتعذيب الكثير من المسيحيين. لقد جاءا إلى المخلص منحنيين مقتربين إلى ضحاياهم محاولة منهما أن يعرفا معنى التعذيب.

إذا مارسنا حياة الإيمان بالثبات الذي يعيشه اخوتنا المضطهدين، فسوف نختبر أيضاً قوة روحية هائلة وسنستطيع أن ننتصر على العداوة التي تبدو وكأنه لا يمكن قهرها أبداً.

الباب الحادي عشر

رسائل من الشهداء

* ٦٤ ـ هدايا استثنائية لعيد الميلاد

بعد تعطيل دام طويلاً، وصل خطاب معايدة بمناسبة عيد الميلاد إلى الغرب عن طريق تهريبه خارج الاتحاد السوفييتي. كتب هذا الخطاب الكاتب الروسي المسيحي ألكساندر بيتروف أجاتوف (Alexander Petrov-Agatov)، الذي أمضى ثلاثين عاماً ما بين السجون ومعسكرات الاعتقال من أجل إيمانه، ثم أطلق سراحه. إن هذا الخطاب يعد جوهرة نفيسة من الحب الخالص. فلنقرأه بتمعن:

في ليلة عيد الميلاد أتذكر جميع الناس، بصرف النظر عن إيمانهم، أو لونهم، أو مستواهم الاجتماعي أو التعليمي. إنني أتذكر الناس الأقوياء، وأولئك المتألمين في السجون والمعسكرات، الأثرياء والفقراء، الأقوياء والضعفاء، الذين صعدوا إلى القمم والذين هبطوا إلى الهاوية، الأصحاء والمرضى، المضطهدين، والمضطهدين، أول الجميع أتذكر هؤلاء الذين قد تركتهم منذ وقت قريب بعدما قضيت معهم ما يقرب من ثلاثين عاماً في السجن والمعسكرات. فوق مائدة الاحتفال توجد شجرة صغيرة لعيد الميلاد، كما يوجد عنب وتفاح وأطايب أخرى كثيرة. فترن كلمات في قلبي كرنين الأجراس: هل تستطيع أن تأكل كل هذه الأشياء بينما يوجد ولو شخص واحد جائع ؟ هل يمكنك أن تنام فوق سرير دافئ بينما يوجد في مكان ما سجين لا يسمح له بالنوم حتى على الأسمنت البارد. إن الحلقات المعدنية والزهور تزين شجرة عيد الميلاد بينما قيود العبودية الثقيلة والأسلاك الشائكة تحيط بمعسكرات الأشغال الشاقة. إنني لا أتحدث عن السجون والمعسكرات

السوفييتية فحسب، إنما أفكر أيضاً في أولئك الذين لا حرية لهم في بلادهم، أفكر في الذين لن يأكلوا أو يشربوا في هذه الليلة، الذين لن يستطيعوا أن ينظروا إلى أكثر النجوم لمعاناً، تلك التي أرشدت المجوس إلى المسيح – إنهم لن يستطيعوا ذلك بسبب أن نوافذ السجن تغطيها ألواح خشبية سميكة. إنني أهنئ النسور والحمائم في عيد الميلاد – الأمهات والزوجات والعرائس. وهؤلاء اللاتي لن يستطعن أن يكن عرائس – أخواتي اللاتي يحملن الصليب من أجل كلمة الله، ومن أجل الحق، ومن أجل البر، ومن أجل الأمانة لله، ومن أجل المحبة البشرية. أقدم تهنئة عيد الميلاد لكل المضطهدين، والمتألمين، لكل الذين يطلبون النور. أقدم تهنئة عيد الميلاد لكل المضطهدين والظالمين، أقدمها لكل الذين يلعنون ويصادرون ما للغير. إنني أقدم تهنئة عيد الميلاد إلى هيلين التي قامت بخيانتي منذ سبع سنوات. لقد قمت بزيارة الكنيسة التي تتعبدين فيها، وكنت أتمنى أن أراك وجهاً لوجه، غير أنهم قالوا لي أنك لم تعودي تذهبين إلى هناك ولكن هل مازلت تصلين ؟ استمري في الصلاة، فلتستمري في الصلاة. أفكر في الجميع؛ المسجونين، والحراس، ورجال الشرطة السرية وضباط الدورية، والوزراء، والرؤساء والمجالس المركزية الشيوعية. أناشد الجميع؛ صلوا قبل أن يمضي الوقت. لن يكون هناك ميلاد ثاني للرب يسوع، لكن سيكون هناك مجيء ثاني «**ها أنا آتى سريعاً**» يقول الرب سريعاً جداً.

حينما نقرأ كلمات النعمة والمحبة هذه الموجهة من شخص قد تألم لمدة ثلاثين عاماً في السجن، هذا يجعلنا نقدر آلامنا. إن الرب يسوع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به (عب ٥: ٨). ليست الظروف المواتية، بل تلك غير المواتية هي المطارق التي تشكل قديسي الله. فقط أولئك الرجال والنساء الشجعان الذين يلقون بأنفسهم في عمق الأحزان هم الذين سيحصلون على لآلئ. ليس كذلك مع أولئك الذين يفضلون الراحة ومن أجلها يرفضون البحر والأمواج.

* ٦٥- هؤلاء الذين لا يقتلهم السم

يتحقق في حياة الكثير من المساجين وعد الرب أن الذين يؤمنون «**وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم**» (مر ١٦: ١٨) إن رجال الشرطة السرية يسممون المساجين ببطء، أحياناً عن طريق دس العقاقير في طعامهم التي من شأنها أن تكسرهم أدبياً وتحولهم من خلال الاختبارات البيولوجية إلى كائنات بدائية لا تستطيع أن تفكر. غير أنه لدينا أدلة أن النتائج كانت تأتى عكس ذلك. دعوني أقتبس من خطاب قد تم تهريبه من السجن، كتبه المسيحي السوفييتي دافيد كلاسن (David Klassen) وأرجو أن نتذكر أن هذه الكلمات قد خرجت من زنزانة في السجن، قال:

«لقد أحنيت ركبتي عند منتصف الليل أمام الله وسبحته من أجل كل النعم التي أرانا إياها. لقد غفر كل خطايانا. إنه يضعنا في طريق الحق، ويعزينا في وسط ضيقاتنا وآلامنا وعزلتنا. سنصلى من أجل تطهير كنيسة المسيح حتى تأتى بثمر أكثر. سنصلى من أجل القساوسة ومن أجل الشباب، ومن أجل المساجين وعائلاتهم، وسنصلى من أجل بلدنا وحكومتها».

وأيضاً أقتبس من خطاب آخر جاء من السجن:

«لا تبكى يا نفسي إذ تحيط بك الأحزان. فنصيبك ليس في الحياة الأرضية. إن السعادة كلها حيث يسكن في سلام القديسون الذين قد أتموا واجبهم على الأرض. نعم لقد أُجبرت أن أسير في هذا الطريق، وليس من طريق آخر لي بصفتي قساً. إذا ما أراد أحد أن يكون قسيساً يجب أن يعرف مسبقاً أنه حين دخل اليهود في القديم إلى الأراضي المقدسة، وعند عبورهم نهر الأردن، كان الكهنة هم أول من خطا نحو المياه الخطرة، وكانوا آخر من خرجوا منها».

كم علينا أن نتعلم نحن الذين نأكل أطايب الطعام من هؤلاء المسيحيين الذين يتغذون بالطعام المسموم. اتهم النبي عوبديا قد بنى أدوم، وهم شعب عاش منذ حوالي ٢٦٠٠ عام شرق البحر الميت، بأنهم قد أسهموا في مسوح

أورشليم وفى تدنيس الهيكل فقال: **لأنكم كما شربتم على جبل قدسي** (عوبديا ١٦). إن الشيوعيين قد حولوا الكثير من الكنائس أيضاً إلى حانات. بل ولقد فعلوا ما هو أسوأ، لقد حولوا بعض الكنائس إلى قاعات محاكم لمحاكمة المسيحيين عن إيمانهم.

حكم على القس الكاثوليكي ستيفان كورتى (Stephen Kurti) بالموت في ألبانيا بسبب أنه قام بتعميد طفل. لقد تمت محاكمته في مبنى الكنيسة السابقة في مدينة ميلو. وقد اعترف القس أنه مذنب وقال: أنا قسيس، ومن واجبى أن أقدم الأسرار المقدسة. وكانت الممتلكات الوحيدة التي خلفها وراءه هي مذياع صغير.

* ٦٦ ـ خطابات من داخل السجن

قبل ظهور السيارات والقطارات والطائرات، والهاتف، والفاكس، وكل الأدوات التي يسرت الحياة العصرية، كان الناس لديهم متسع من الوقت لكتابة الخطابات، أما اليوم، فنادراً ما نجد أحد يهتم لهذا النوع من الفنون. يمكننا أن نتعلم من أساتذة فنون الحياة والمحبة أن نكتب خطابات رائعة.

لقد حصلنا على خطابات كثيرة خلال الأعوام الماضية تم تهريبها من السجون. وما يلي هو أحد هذه الخطابات:

«أشكركم من أجل الطرد الذي قمتم بإرساله. لقد ظل الضباط يتشاورون لأيام فيما يفعلونه بهذا الطرد، وأخيراً صدر الأمر بأن أتسلمه بشرط أن أكتب إليك قائلاً: أرجو ألا ترسلوا طروداً أكثر من أربع مرات في العام الواحد؛ لقد أجبت قائلاً: أستطيع ذلك، ولكني لا أستطيع أن أضمن كيف سيتصرف الآخرون.

أحبائي، أعلمكم بأنه لا ينقصني شئ. لقد منحني الله شهية مفتوحة حتى إنني أستطيع أن آكل حتى الطعام الذي لا يأكله الخنازير. لنتذكر هذه الكلمات حتى لا نتذمر أبداً على الطعام، نحن الذين نحيا في الغرب. نحن ننحني إلى الأرض امتنانا إذ نعرف أن الكثيرين يصلون من أجلنا. نعم، إن سلامتنا تعتمد في المقام الأول على صلواتكم. إن شعر رأسي قد تحول إلى اللون الرمادى، وقد علت التجاعيد وجهي، إنني أعمل تحت درجة حرارة عالية للغاية، فأنا أعمل في فرن حيث يتم تجفيف المكانس. إنني أعمل خمسة عشر ساعة يومياً، من الساعة الخامسة مساءً حتى الثامنة صباحاً. خلال هذا الوقت يجب أن أتجرد تماماً من ملابسي، وبرغم هذا فإنه يمكن تجميع العرق الذي أتصببه في دلو، ويجب أن أظل أجفف جسدي طوال الوقت. هل تنمو شجرة البلوط الموجودة بحديقتنا؟ (شجرة البلوط كان الاسم الدارج لأحد قادة الكنيسة السرية؛ وهكذا كان هذا الأخ يسأل عن تقدم العمل السري).

حين كنت طفلاً كانت نسبة المعمدانيين ضمن المسيحيين النشطاء في روسيا ضئيلة، أما الآن فقد زادت النسبة كثيراً.

وها هو خطاب آخر من سجين مسيحي بالاتحاد السوفييتي:

إن الضغوط المستخدمة ضدنا هنا كريهة جداً، إذ يفقد الرجال كرامتهم ويصيرون أقل من الحيوانات. غير أن هذه الأمور نفسها مفيدة ولا يمكن تجنبها لأولئك الذين يحبون الله، فهي تجعلهم يسلكون بالروح أكثر من ذي قبل. لذا لا مبرر لدينا حتى نتذمر. لقد أتوا بنا مؤخراً أمام محكمة، وكان من المفترض أن نسلك سلوكاً غير مستقيم حتى تتحسن الأوضاع فيما بعد، فقال لنا أحد القضاة: ألم يؤثر كل الألم الذي لحق بكم في أن يغير من عقولكم ؟ فأجبت قائلاً: إنني لم أمر بآلام، إن السجن ما هو إلا مكان تعلمت فيه أشياء رائعة جداً، قد جعلتني أكثر تمسكاً بإيماني. لن تستطيع أن تفهم هذه اللغز لأنك لا تؤمن بالله. لقد عينت مؤخراً بستاني لحديقة السجن، وكم سيسعدني أن أحصل على بعض البذور منك، فكم أود أن أشتم رائحة الزهور التي ستأتيني من لدنك، إذ أنها ستجلب لي الكثير من المحبة. (لقد أرسلت هذه الزهور بطريقة تضمن وصولها).

حينما ننظر إلى المستقبل يبدو كل شئ مظلم ومخيف، غير أنه يمكننا أن نقول: إلى هنا أعاننا الرب. لقد حصلنا على الكثير من هذه الخطابات، وكانت مشجعة لنا للغاية إذ تظهر لنا كيف أن اخوتنا لم ينكروا الإيمان ولكن ليس هذا فحسب، بل أن هذا الإيمان قد صار أكثر جمالاً وروعة من أي وقت آخر. لقد اتبع اخوتنا المتألمين نصيحة مار إفرايم السرياني من القرن الرابع الميلادي حين قال: حين تهاجمك التجربة، احتملها، وحين يخطئ إليك أحد اصبر، وحين يشهر بك أحد سامحه، وحين يؤخذ ما هو لك، كن شاكراً، فليساعدنا الله حتى يكون لنا مثل هذا التوجه.

* ٦٧ ـ القدرة علي عدم الاكتئاب

حين تم تحرير ألبانيا، وهى أول دولة أعلنت إلحادها في العالم، كان عدد القساوسة الأحياء ١٤ من إجمالى ٢٠٠ قس. حوالي ألفين من المساجد والكنائس قد دمرت فيها، وقد تحولت كاتدرائية ثيرانا إلى قاعة للرياضة، بينما تحولت المساجد إلى مراحيض عامة. وماذا حدث نتيجة لهذا الرعب الإلحادي؟ النتيجة هي أن مجموعة مكونة من ١١٦ زوج من الشباب والشابات قد اجتمعوا من أجل حفل زواج جماعي في بلدة فيير (Fier) . وقد أعلنت الصحافة الألبانية الشيوعية أن بعض المسيحيين قد وشموا أيديهم بعلامة الصليب وكذلك المسلمين بعلامة الهلال حتى أن كل من يصافحهم يدرك للوهلة الأولى أنهم متمسكين بإيمانهم بالله.

سجن كل من القس فوستى (Fausti) والقس داجاني (Dajani) في ألبانيا لمدة شهرين في مراحيض بدائية مملوءة بفضلات الطعام، ثم حكم عليهم بعد ذلك بالإعدام. وبينما هم في طريقهم إلى مكان الإعدام. معاً هتف القس فوستى قائلاً: فلنذهب إلى بيت الرب.

حصلنا أيضاً على الخطاب التالي وقد أرسلته أم أحد السجناء المعمدانيين ويدعى فالرى نازاروك (Valerii Nasaruk):

«كان ابني يتوق أن يذهب إلى الغرب ويتعلم ليصير واعظاً غير أن الرب قد قال له: كلا، سأقودك إلى مدرسة أخرى في السجن. لقد كنت حاضرة وقت محاكمته، وكنت أتوق أن أكون في مكانه، غير أن الله يمنحنا القوة أن نحتمل كل شئ. كانت أكثر التجارب شدة حين طلبوا إليَّ ـ وأنا أمه ـ أن أقدم له النصح لكي يغير من طريقه، ولم أستطيع أن أفعل ذلك، فقمت بمواساته. إن العالم يشير بأصابع الاتهام نحونا، نحن أبويه، ويعتبرنا سبب الحكم الذي صدر ضده، هم يقولون أن كل هذ حدث بسبب التعليم الذي قدمناه إليه. حتى أن بعض المؤمنين لا يستطيعون أن يفهموننا. غير أن مخلصنا أيضاً لم يكن يفهموننا من الجميع حتى أن بطرس قد حذر يسوع لكي ينقذ حياته. نستطيع أن نزور فالري، ونشكر الله إذ هو محتفظ بشجاعته، ويرسل لكم جميعاً تحياته.

لقد كان فالرى شجاعاً في السجن، وكذلك أمه، وقد حرمت من ابنها، وقد أدانها الجميع، كانت لها القوة بالمسيح حتى لا تقع فريسة للاكتئاب.

في الخدمة المسيحية، كما في جميع الحرف هنالك ثلاث مستويات يصل إليها الإنسان. المرحلة الأولى هي مرحلة التعليم والتلمذة، ثم يصبح الإنسان عاملاً في حقل الرب، وعندما تكتمل لديه الخبرة الكافية يصبح معلماً. إن الرسول بولس قد تحدث عن تسلسل المعلمين وبانيهم. يحزنني أن أقابل مسيحيين قد ظلوا تلاميذ لعشرات السنين، ولم يصبحوا قط عاملين يعتمد عليهم، بل إنهم لم يفكروا قط في أن يصبحوا معلمين قادرين على تلمذة الآخرين، ولم يضعوا قط هذا الهدف نصب أعينهم.

في (كورنثوس الأولى ٩: ٢٤ - ٢٥). يخبرنا الكتاب أننا يجب أن نجاهد ونتبارى ونركض حتى ننال الجعالة، وأن الذي يسبق الجميع هو من ينال هذه الجعالة. حين صرت مرسلاً قرأت تاريخ الوعاظ والمرسلين القدامى المشهورين وعزمت أن أصل إلى ما وصلوا إليه من مهارة، حتى أسبقهم، غير إنني اكتشفت أنه لا يجب أن يحث الإنسان سوى رغبته في أن يخدم الرب بصورة أفضل، ولا أن يكون الدافع هو الطموح الشخصي. هناك الكثير من المجالات للخدمة والدعوى في خدمة الرب، ولكل إنسان وزنته ودعوته الخاصة حتى ولو كانت متواضعة. إن دعوتنا نحن الذين نعمل في «صوت الشهداء» كانت دائماً أن نساعد الكنيسة المضطهدة. وإحدى الامتيازات التي لنا في هذا العمل هي أن نقدم العون إلى عائلات الشهداء. وقد تسلمنا العديد من الرسائل خلال الأعوام الماضية من أولئك الذين قدمت لهم الإرسالية المعونة من خلال قنوات سرية، وقد أكدت هذه الرسائل على فاعلية ما نقوم به من عمل في الإرسالية. أود أن أشارككم بمقتطفات من بعض هذه الرسائل. إليكم بعضها:

«الله وحده يعلم عدد من هم في السجن بسبب إيمانهم، الكثيرون يطردون من أشغالهم أيضاً بسبب إيمانهم، وفي الكنائس نرى وجوهاً شاحبة منهكة وهزيلة، إشارة أن الكثيرين قد كانوا بالسجون. لقد ماتت أم، وحين ذهبت

العائلة لتدفنها قرأوا أجزاء من الكتاب المقدس، وكان هناك جواسيس أثناء المراسم، وهؤلاء كذبوا وأبلغوا أن اخوة من الحاضرين قد قدموا عظة في الجنازة، فحكم على هؤلاء الأخوة بالسجن وتركوا خلفهم أطفال (أحدهم ترك خمسة أطفال، والآخر تسعة). كان من المفروض أن أخدم في الجيش لمدة ثلاث سنوات، غير إنني بدلاً من ذلك سجنت لمدة خمس سنوات بسبب كلمة الله ..... لكن الأمر المفرح هو أن الكثير من الأشرار قد تابوا وقد فرحنا معهم بكلمة الله. بعد ذلك أخرجونا من معسكر الاعتقال وقالوا لنا أننا قد ملئنا المعسكر بديانتنا. كان بيننا سجين يمكنه أن يكتب صفحة كاملة مملوءة بالآيات الكتابية. وحين سألته كيف عرف كل هذه الآيات، أجاب بأن أمه الحبيبة قد غذته بكلمة الله منذ نعومة أظافره. إن الله وحده يعلم مدى الحزن الذي في البيت لأن هؤلاء لهم أطفال صغار. إنهم يسألون أمهم أين ذهب أباهم، ولما لا يعود ؟ والآن الأم أيضاً ستتركهم لتذهب وتعمل في إحدى المزارع الجماعية. وكان أحد الأخوة الصغار يدعى فاسيل، لقد أتوا وقيدوه وألقوا به في السجن، وقبضوا أيضاً على جورج».

وكتبت أم لها تسعة أطفال تقول:

«المجد للرب لأنه قد أعطانا كسرة ضئيلة من صليبه لنحملها. نصلى أن يعطينا القوة ويساعدنا حتى نستطيع أن نحتمل الصليب وأن نسير في الطريق المستقيم المخصص للمسيحيين ..... نحن نأكل خبزنا بالدموع، لكننا نسبح الرب في كل الأشياء. أشكركم بدموعي أن الرب قد فتح قلوبكم برغم المسافة الكبيرة التي بيننا. فليباركك الرب من أجل عملكم هذا، وليمنحكم حياة سعيدة ومديدة، ومن بعدها الحياة الأبدية. حينما كنا وحدنا كان الأشرار يقولون أننا لن نحصل على المال الكافي في معيشتنا، لكن شكراً لله لأنه يهتم بنا، كما اهتم من قبل بإيليا ودانيال وكل الذين خدموه. لقد أعطاني الله تسعة أطفال وهم الآن ينتظرون رجوع والدهم، لكن أباهم قد وضع حياته من أجل المسيح وترك أطفاله ليتألموا من أجل الإيمان الذي قد أعطاه الله لقديسيه».

وجاءنا خطاب من عائلة مات كل من أبويها من أجل المسيح:

«فلتعلموا أننا مازلنا يتامي، فليعوض الرب اهتمامكم بنا، وليباركم بكل البركات. إن الاخوة الذين قدموا عظة في مراسم دفن والدتنا، قد قبض عليهم. لن تستطيعوا أن تتخيلوا كيف تكون الحياة هنا. نحن نذهب لننام في خوف، وننهض أيضاً من النوم في خوف. إن الاضطهاد ثقيل للغاية، وهناك الكثيرين مسجونين».

وهذا خطاب آخر من عائلة شهداء مسيحيين:

«فليكافئكم الرب يسوع الذي أسلم يداه على الصليب لينقلنا من الموت إلى الحياة، فليكافئكم بالحياة الأبدية من أجل كل ما أرسلتموه إلينا. إنني ممتن إذ أشارك في ألام المسيح، لأننا إذ كنا نتألم معه فسنتمجد ونفرح أيضاً معه. كأس ماء بارد من أجل اسمه لن يضيع أجره .....

عرض رجل ثلاثمائة روبل في مقابل العهد الجديد الخاص بى. إن الناس جائعة لكلمة الله».

* ٦٩ ـ المزيد من خطابات الشجاعة

فيما يلي المزيد من الأمثلة للغالبين حتى نشجع إيمانكم:

حينما دخل الراعي المعمداني الروسي ب. روماتشيك (Rumatchik P) إلى السجن للمرة الخامسة، كتب هذه الكلمات المشددة للعزم من داخل زنزانته:

«معه، سيدي الحبيب، يحلو المكوث في أي مكان، فمعه يوجد نور حتى في ظلام الزنزانة الحالك. لقد طلبت إليه أن أمكث حيث يريدني، وليس حيث يحلو لإنساني الخارجي، فقط حيث أعطى ثمر، هذه هي دعوتي.

حينما يتحدث قادة الكنيسة من علاقاتنا مع العالم الشيوعي، يجب أيضاً أن يتساءلوا لماذا يسترضى الغرب أولئك الذين يسجنون مثل هؤلاء القديسين؟.

وكتب أيضاً سجين مسيحي روسي كلمات مؤثرة يقول فيها:

«إنني أتأمل هنا في كلمات الرب يسوع حين يقول أن كل من يؤمن به تكون له الحياة الأبدية (يو ٣: ١٦) إنني أعيش وسط المجرمين». إن عبارة أن الناس يمكنهم أن يصيروا مثل الحيوانات هى عبارة غير دقيقة، إذ أن الحيوانات لا تخطئ (هي بلا خطية) لكن الناس الذين يحيطون بي في السجن قد وصلوا إلى أعماق من الظلمة الشيطانية لا يمكن للحيوانات أن تصل إليها. إنه لمن الأيسر أن يعيش الإنسان في مذود حيوانات من أن يعيش وسط هؤلاء المجرمين. كل كلمة ينطقون بها مملوءة بالقذارة، كل حركة بغيضة وكريهة «**حنجرتهم قبر مفتوح وفمهم مملوء لعنة ومرارة**» (رو ٣: ١٣ـ١٤) لكن خلف كل هذا يضئ حب الرب. كل من يؤمن ـ حتى هؤلاء الرجال ـ تكون له الحياة الأبدية. إن الله قد أرسلني إلى السجن حتى أبشرهم بهذه الأخبار السارة.

وفى كوبا قبض على أرماندو فالادارس (Armando Valladares) وهو في الثالثة والعشرين من العمر، وتمت محاكمته بسرعة، وحكم عليه بالسجن ثلاثين عاماً. قضى اثنين وعشرين عاماً من العذاب الرهيب، ومع هذا ظل مسيحياً، وأخيراً استطاع أن يذهب إلى الولايات المتحدة. وهناك كتب كيف أنه قد شعر أن قادة الكنائس في الغرب قد غدروا به وهم يدافعون عن نزع السلاح بدلاً من أن يدافعوا ويحاموا عن المسيحيين المضطهدين والمعذبين من قبل الشيوعيين. لقد كتب يقول: «في أثناء هذه الأعوام، كان أعوان الشيوعيين الكوبيين، يرددون عبارات الدعم لثورة كاسترو- بهدف أن يدفعونا إلى ترك معتقداتنا الدينية - وكذلك كان يردد هذه العبارات بعض مندوبي الكنائس المسيحية الغربية. في كل مرة كانت تطبع فيها منشورات بالولايات المتحدة، أو يكتب فيها أحد القساوسة مقالاً مشجعاً لديكتاتورية فيدل كاسترو، كانت تصل إلينا ترجمات، وكان هذا أشد علينا من الجلد والجوع. فيما كنا نتوقع عناق التماسك من اخوتنا في المسيح كان معذبونا هم الذين يُعَانقُون، ولأسباب لم نكن نفهمها. أن أصبح مسيحي تحت هذه الظروف، كان يعنى أنه لم يكن مسموح لي بأن أكره معذبى، وكان أيضاً يعنى أن أتمسك بالإيمان. أن الألم له مغزي، فإذا تخلى الإنسان عن قيمه الدينية، أو إذا سمح لنفسه أن ينجرف برغبة الكراهية والرغبة في الانتقام، فإن وجوده نفسه يفقد كل معني. أود أن أضيف أن هذه لم تكن خبرتي وحدى، لقد رأيت عشرات المسيحيين يعانون ويموتون، غير أنهم مثلى قد كرسوا أنفسهم لأن يحتفظوا بكرامتهم وغناهم في الروح برغم الأسى والألم. وإنني أتذكر اليوم الواعظ الإنجيلي جيراردو جونزاليز (Gerardo Gonzalez)، والذي كان يحفظ مقاطع من الإنجيل عن ظهر قلب، وكان ينسخها بيديه ويرددهم مع اخوته في الإيمان. لا أستطيع أن أنسى هذا الأخ والذي كنا ندعوه «أخ في الإيمان» لقد وقف حائلاً أمام

طلق ناري ليفدى مساجين آخرين يُضربون في الحدث الذي أطلق عليه مذبحة سجن كانوا (Boniato) بونياتو. لقد ردد جيراردو قبل وفاته كلمات الرب يسوع على الصليب: «**يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون**». وحين جفت دماءه، كنا نحن في صراع مع ضمائرنا هل يمكن أن نحصل على شئ في مثل هذه الظروف الصعبة، و أيضاً في. مثل هذا الجمال؟ هل تكون لنا القدرة أن نغفر لأعدائنا؟ في سجن لاكابانا (La Cabana)، والذي كانوا يطلقون عليه صانع الأرامل، سُجن فالاداريس (Valadares) مع ٣٥٠ من المساجين في زنزانة مظلمة رطبة كانت معدة لاحتواء ٣٠ من المساجين. كانوا ينامون في نوباطشيات على قش مملوء بالبراغيث والقمل، وكان طنين الذباب والناموس في كل مكان وقد جذبته دلاء المراحيض المملوءة. كانت العلقات تتساقط من السقف، والصراصير تزحف إلى طعام المساجين وهم يأكلون، وكانت حشود الفئران تجتاح السجن، ولم تكن تخاف من الرجال الضعفاء المحتضرين. كان الموت موجوداً في كل مكان، بينما حائط الإعدام الرهيب المعروف بالباريدون (El Paredon) يدوى بالرصاص طول الوقت. وسط كل هذا كتب فالاداريس صلاة أخذ يرددها كل يوم وهو يحتمل هذه الأهوال. وكتب القس م. هوريف (Horev) من سجن سوفييتي يقول: «إنني أتذكر حين أُخذ والدي إلى السجن، لقد كنت في السادسة من عمرى. لقد طلب إلى ضباط البوليس أن ينتظروا بينما نحن انحنينا لنصلى، الأطفال أولاً، ثم أمنا، ثم أخيراً أبانا. إنني أتذكر كلماته: يا إلهى، إنني أحب عائلتي جداً، لكنني أحبك أنت أكثر من أي شئ آخر، لذا فإنني أختار الطريق الشائك. إنني أودع عائلتي وكل احتياجاتها بين يديك، وأسلم كل مسئوليتهم لك. إنني أثق بك، وحين تنتهي معاناتي سأراهم أمام عرشك، فلتبارك يا إلهي انفصالنا. إن هوريف والآلاف مثله قد سلموا أطفالهم إلى عناية الأب السماوي. ولكن

أين هو الله ؟ لقد جعل مسكنه معنا (يو ١٤ : ٢٣) إن بيوتنا هي عنوان بيت الله، وهذا يعنى أن أطفال الشهداء قد عُهد بهم إلينا. هل وفرنا احتياجات هؤلاء الأطفال ؟ أم أننا قد أهملنا حتى التفكير فيهم ؟

في صوفيا ببلغاريا وضع أحد المسيحيين في زنزانة في حجم الإنسان وبها مسامير مدببة من الداخل لتضغط على جسده إذا قام بأي حركة بسيطة، وحين أُغلق الباب كانت أولى كلماته: « **يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون** ». وحين سأل الحارس عما تعنيه هذه الكلمات أخبروه عن الإنجيل ونتيجة لذلك فتح باب الزنزانة، وحين أتى الضابط وجد كل من السجين والحارس ساجدين يعبدون الرب، وقال له الحارس إنني لم أعد تحت إمرتك، إنني ملك الرب يسوع المسيح، وقد وضع هو الآخر في السجن. لابد وأن نذكر الشهداء في كل خدمة تقام بالكنيسة، ولابد أن نُولد بين المؤمنين الاحترام والتبجيل لأولئك الذين كانوا على أهبة الاستعداد أن يضحوا بكل شئ في سبيل المسيح الذي يعبدوه.

الباب الثانى عشر

إرساليات للشهداء

*٧٠- القفز فوق الجبال

أريد أن أحدثكم الآن عن المنظمة التي بدأناها منذ ثلاثين عاماً وهى: «الإرساليات المسيحية للعالم الشيوعي» أعيد تسميتها ثانية سنة ١٩٩٢ باسم «صوت الشهداء».

علي الرغم من الأحداث التي وقعت حديثاً فإن العالم الشيوعي الآن حجمه كبير: فالصين تعدادها حوالي ١,١ مليار نسمة، هذا بالإضافة إلى فيتنام، ولاوس، وكوبا، وذلك بجانب النفوذ الذي لا يستهان به للقوة الشيوعية في البلاد التي اتخذت من النظام الشيوعي منهجاً في الإصلاح الاقتصادي والسياسي – تلك القوة التي من أجل بث تأثيرها في هذه البلاد تستمر في استخدام غسيل المخ الديني منذ حوالي ما بين أربعين إلى سبعين عاماً. وكانت تضم الاتحاد السوفيتي سابقاً وأوروبا الشرقية والكثير من الدول في قارة أفريقيا مثل إثيوبيا- والصومال، والكنغو، وأنجولا، وموزمبيق، وزمبابوي، وبينين.

كنا منذ ثلاثين عاماً عبارة عن مجموعة صغيرة من الناس: الأسقف نوردوفال (Norderval) من النرويج، ومبشر معمدانى إنجليزي الجنسية يدعى ستيوارت هاريز (Stuart Harris)، وهانزبروان (Hans Braun) وهو رجل ألماني يمتلك مصنعاً، والقس مايرز (Maris) من ألمانيا، وسيدة سويسرية تدعى هيدى فلورى (Hedi Fluri)، وهانززارشر(Hans Zarcher) وهو رجل سويسرى ويعمل محاسباً، وبات هينجان (Pat Henegan)وهو مالك لشركة شحن بضائع بجنوب أفريقيا، وكولويت جروسو (Colette Grossu)ويعيش في فرنسا وقد كان أسيراً سابقاً لدى

الشيوعيين، وزوجتي سابينا وأنا وابني ميهاى (Mihai)وزوجته جوديث. والآن ربما يسألني البعض «ما الذي يمكنكم عمله وأنتم عدد قليل أمام هذه القوة الضخمة التي للشيوعيين؟». لقد كنا نعمل عمل المصور في الوسط الإعلامي. ونحن لم نكن نظن أنه سيعتبر لنا مظهراً مخيفاً ولكن سنكون مثل من يقوم بتصوير الحقيقة.

ألم تكن الشيوعية قوة غالبة ؟ حتماً لم تكن.

إن الشيوعية هي مجرد قوة واحدة على أرضنا الصغيرة، الأرض التي تعتبر واحدة من أصغر الكواكب التي تدور في مسارها حول نجم بسيط وهو واحد من بين مائة مليون نجم في المجرة، والتي هي واحدة من مليون من المجريات. فالسفر إلى الشمس التي تبعد بمقدار ٩٣ مليون ميل من أرضنا يستغرق ثمان دقائق بسرعة الضوء بينما الوصول إلى طرف المجرة التي فيها أرضنا قد يستغرق مائة ألف عاماً بسرعة الضوء، كما أن الوصول إلى الطرف المرئي من الكون قد يستغرق عشرة مليارات من الأعوام بنفس هذه السرعة. إن الشيوعية شئ صغير جداً مثل كل المذاهب الموجودة على الأرض، بالرغم من أنها قد تبدو لنا مثل الجبل. لكن ألم يقل الرب يسوع أننا نستطيع أن ننقل الجبال – هل نستطيع ذلك إن آمنا ؟

إنني يهودي الجنسية وكنت في شبابي ملحداً. لم تكن لكلمات المسيح سلطان عليَّ حتى بعد أن قبلته مخلصاً لحياتي كانت بعض كلماته تبدو غريبة بالنسبة لي..إنه يقول «**لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل**» (مت١٧ : ٢٠). لقد حاولت أن أنقل جبالاً ولم أنجح. ولا أعرف أي شخص من أولاد الله قد استطاع أن يقوم بهذا العمل. لقد سألت الرب كيف أن كلمته غير مطابقة للواقع. والآن أي تلميذ للمسيح ليس له أن يناجي الرب في صلاته فحسب بل يتوقع أن يجد إجابات على أسئلته. لقد استقبلت من الرب إجابة لسؤالي : يا عزيزي، أنت لا يمكنك أن تنقل الجبال لأن إيمانك ليس بحجم حبة الخردل.

إن لديك عدة مكاييل ممتلئة بالإيمان. لا يمكنك استخدام مدق وزنه ألف طن مثل ذلك الذي يستخدم في الصناعات الثقيلة – في تقشير البندق – فإن مثل هذا المدق لا يمكن إلا أن يقوم بأعمال عظيمة. كذلك أيضاً أنت مدعو لكي تعمل أشياء أعظم من اللهو بنقل الجبال، إذ يمكنك أن تحرك فكر الله. تذكر كيف أن الله قد قرر أن يبيد شعب إسرائيل بعدما عبدوا العجل الذهبي، لكن موسى عن طريق صلاته استطاع أن يجعل الله يغير فكره. إن إحداث تغييرات في القرارات السماوية أهم بكثير من نقل الجبال. منذ ذلك الوقت توقفت تماماً عن محاولة تحريك الجبال. نحن جالسين مع المسيح في السماويات، نشاركه في أمور تحدث هناك. وحينما تعيقنا الجبال في حياتنا على الأرض، نحن لا نأمرها أن تنتقل، لكننا نتبع مثال المسيح الذي تقول عنه عروس النشيد «**صوت حبيبي. هوذا آت طافراً على الجبال قافزاً على التلال**» (نش ٢ :٨) نحن لا نحتاج أن نزيل جبال الصعاب التي في حياتنا. لكن علينا أن نقفز فوقها ونقوم بواجباتنا المسيحية بالرغم من وجودها في هذه الحياة. لقد تعلمنا الكلمات التي تقول «**الذي فيكم أعظم من الذي في العالم**» (١ يو٤ :٤) ولكن ما الذي يجب أن نستخدمه لبدء إرسالية نحن نتصور أن مجالها سوف يشمل العالم كله؟ إنه مكتوب أن الرب يسوع قد تناول السبعة أرغفة التي أعطاها إليه التلاميذ وشكر وكسر وأعطاهم ليعطوا هم بدورهم الجموع «**فأكلوا وشبعوا**» (مر ٨ :٨). افترض أنه لم يكن لدى التلاميذ سبعة أرغفة، افترض أنه لم يكن معهم سوى ثلاثة أرغفة أو رغيف واحد. ما الذي كان يمكن أن يحدث حينذاك ؟ كانت الجموع ستأكل حتى تشبع أيضا. في الواقع، في مرة أخرى لم يستخدم يسوع سوى خمسة أرغفة بدلاً من سبعة لإطعام جموع كانت أكثر في العدد، وقد تبقى عدداً من السلال الممتلئة بالكسر أكثر مما تبقى من معجزة السبعة أرغفة (مر ٨: ١٩-٢٠). لقد أدركنا أنه من الممكن أن نخدم الله بالقليل الذي لدينا. إن بركات الرب لنا لا تتوقف على حجم ما عندنا أو كمه، ولكن على أن نأتي بها إليه مهما كان مقدارها. وماذا إذا لم يكن لدينا ما نحضره للرب؟

لكن ذلك مستحيل – إن اللغات التي كتب بها الكتاب المقدس لا توجد فيها كلمة صفر ولا رمز حسابي يدل على وجوده. لا يوجد شخص لا يستطيع أن يأتى بشيء للرب يسوع. إننا نستطيع أن نأتى بذواتنا حتى لو اضطررنا أن نقول بكل أمانة «أنا لا أملك شيئاً». إن لدينا شئ ثمين جداً: ذواتنا وعوزنا المطلق إلى الرب. نستطيع أن نأتى بخطايانا إلى الرب يسوع. لقد حول الرب شاول الطرسوسى من خاطئ مضطهد متعصب ليصبح رسول غيور له. غيَّرَ الرب يسوع حياة مريم الجدلية من خطية العيش في فجور لتصبح قديسة تحب الرب محبة شديدة. إننا لو جئنا للمسيح بضعفنا الحقيقى، سوف تكمل قوته في ضعفنا. لقد بدأت إرساليتنا بالقليل جداً – في الواقع إنها بدأت بلا شئ تقريباً، ولكن بدلاً من أن نستعمل هذا القليل الذي لدينا، قد أحضرناه للرب يسوع، وهو قد أكثره وباركه بركة عظيمة.

* ٧١- بواسطة كل الأساليب

لقد قررنا أن نكرز بالإنجيل في البلاد الشيوعية بأي طريقة ؟ غير أنه لا توجد إلا طريقة كتابية واحدة. كتب بولس الرسول أن هدفه كان خلاص النفوس «**لأخلص على كل حال قوم**» (١ كو ٩ : ٢٢). إن الشخص الذي يقف مفكراً أي الطرق يسلك لنشر الإنجيل هو بالحقيقة شخص لا يسلك حسب الكتاب المقدس. عندما كنا نحترم القوانين الشيوعية، كنا نفسرها بأسلوبنا الخاص، أو كنا نقوم باختراق هذه القوانين. دعني أشرح بعض الأمثلة القليلة: لقد قمنا بإلقاء آلاف من الحقائب البلاستيكية في مضيق برينج (Bering) الذي يفصل بين ألاسكا والاتحاد السوفيتي، وفي البحر الأسود بالقرب من شواطئ أوكرانيا، وأيضاً في البحر الواقع بين جزر اليونان وألبانيا. قد تم إغلاق كل حقيبة بإحكام شديد، وكانت كل منها تحتوى على كتاب مقدس بلغة البلد التي ستصل إليها الحقيبة، أو على نبذة تشرح طريق الخلاص، وبها أيضاً قطعة من اللبان للتأثير على أردأ شرطي شيوعي واستمالته ليفتح الحقيبة. وقد وضعنا أيضاً بها قطعاً من الخوص لتجعل الحقيبة تطفو على الماء. فقامت الأمواج بحمل الحقائب إلى الشاطئ. كان علينا أن ندرس حركة الأمواج في البحر للتأكد أنها ستقوم بتوصيل الحقائب كما خططنا. وقد نجحت بالفعل هذه الطريقة. وحينما فتحت ألبانيا أبوابها حديثاً للمسيحية، قابلنا هناك رجلاً قد وجد إحدى هذه الأناجيل، وتغير بسبب قراءته لها، ومنذ ذلك الوقت كان يقف على الشاطئ مترقباً العثور على نسخاً أخري، وكان يقوم بتوزيعها وقد كشف أمره، لذلك قضى تسع سنوات في السجن بسبب هذه «الجريمة». فسألناه «هل أنت غاضب منا ؟ فإنه لو لم نكن قد فعلنا ذلك لما كنت قد أُلقيت في السجن». لكنه أجابنا قائلاً: «لقد كان الأمر يستحق كل هذا العناء». وبعد أن قضى تسع سنوات في السجن من أجل

المسيح استطاع لأول مرة أن يذهب إلى الكنيسة، وقد تسلم هناك كتاباً مقدساً. لقد جعلنا أيضاً رسالة المسيح تطير في بالونات من غرب ألمانيا إلى شرقها، ومن جنوب كوريا إلى شمالها. الناس تخلص بكل الطرق حتى أبسطها. لم يحتاج ذلك الرجل الألباني إلى الكتاب المقدس بأكمله، أو إلى مجلدات في اللاهوت، لكنه خلص برسالة إنجيل واحد استطاعت أن تعينه تسع سنوات كأسير لأجل المسيح. وبينما كنا ننمو، قمنا بتهريب الكتب المقدسة والمؤلفات المسيحية عن طريق الأرض، والبحر، والسياح، والدبلوماسيين، وبأي طريقة من الطرق التي استطعنا أن نبتكرها. لقد قمنا أيضاً بالتهريب عن طريق طباعة الجرائد والتي كنا فعلاً نقوم بتجميعها وأحياناً طباعتها تحت الأرض. لقد استلزم ذلك العمل مخاطر جسيمة، لكن العائد كان أكبر بكثير من حجم هذه المخاطر. لقد أنشأنا مكتبات، والكثير من دور النشر، وكذلك مراكز للإرساليات في كل من رومانيا، والمجر، وروسيا، وإثيوبيا، والصين. لقد كنا نجتهد بلا توقف.

* ٧٢ـ أساسات للآمال الضائعة

لقد كتبت لعائلتي من السجن أقول: «من الممكن العثور على أصعب الآمال أكثر من العثور على أبسط الأمور المحبطة للإنسان» وكنت في ذلك الوقت أنفذ حكماً بالسجن لمدة عشرين عاماً مع الأشغال الشاقة وقد مرضت إلى درجة الموت. حينئذ راودني الرجاء أنه بمجرد أن أطلق من السجن وتكون لدي القدرة على العمل سوف أكون قادراً على مساعدة أبناء آخرين لله من المضطهدين، وأصبح قادراً على نشر الإنجيل في البلاد الشيوعية في كل مكان. بالنسبة لحالتى، فقد أصبح هذا الرجاء حقيقة، إنني أعيش في العالم الحر منذ خمس وعشرون عاماً، وقد استخدمني الرب في تأسيس إحدى الإرساليات الدولية والتي حققت حلمى. لقد جئت أنا وعائلتي ونحن مهاجرين فقراء وغير معروفين، لم نكن نملك سوى رؤيتنا في الخدمة، والرجاء الذي لم يكن قد تحقق بعد. لم يكن لدينا أي وسيله لتحقيق هذا الرجاء. لكن اليأس لا يفيد شيئاً، فإن القوة التي يمكن الاعتماد عليها هي الرجاء.

تعرضت حياتي لتهديدات خلال هذه السنوات، منها خطر مستمر وهو أن أخطف، وأحياناً كان يعترضنا أناس نصابين، وأوقات أخرى قام قادة الكنيسة بشن هجوم علينا – ربما لم يدركوا وقتها أنهم بذلك يخدمون الأغراض الشيوعية بدلاً من أهداف الرب. لكن في كل ذلك لم أهتم بشيء سوى أن أنمو في الرجاء. وفى جميع ضقاتنا صنع الله منا أعظم من منتصرين. فإن الآلاف من المؤمنين على الأرض والملائكة في السماء ساهموا في تحقيق حلمنا الجاد، ذلك الحلم الذي شأنه شأن جميع الأحلام التي تأتى من الله...

أُخبر يسوع في عرس قانا الجليل أن رئيس المتكأ قال: «**كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً ومتى سكروا فحينئذ الدون. أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن**» (يو ٢ : ١٠) أحياناً يعطى إبليس أشياء جيدة؛ أولاً: وعود جميلة ومسرات أنانية. وبعد أن يصبح الإنسان ثملاً، يأتى بالخمر الرديئة؛ حياة محطمة، وندم، وعمى روحى، وفى النهاية – أسوأ

شئ – هلاك أبدي.

إن المحبة تعرف أن أفضل الأمور ما زالت قادمة. إن المحبة تتذوق طعم الفرح بإطاعة وصايا الله وتسر بالشركة مع المسيح، وملائكته المقدسين. والشركة العظيمة التي لهم مع القديسين إن ذلك الفرح في الزمان الحاضر يختلط بالمرارة. الآن يوجد المجد في الشدائد، والضيقات، والاضطهادات، والعري، لكن عروس المسيح لا تتوقف عن الرجاء في وسط الدموع وسفك الدماء. إنها تعلم أن عريسها قد أعد لها أفضل الخمر للمستقبل في وليمة كبيرة. إنها ليست في عجلة من أمرها، فالمحبة لا تتعجل تحصيل النتائج، فبإمكانها تحمل الإخفاقات الوقتية، والمعاناة، والهزائم. فإن النصرة النهائية هي لها. نحن لا نخاف شيئاً.

كتبت إلى كل إرساليتنا في سبتمبر ١٩٧٠ أقول: لن تنال الشيوعية من كنيسة المسيح، حتى أبواب الجحيم لن تقو عليها. بل إن الشيوعية في خطر بسبب وجود الكنيسة، لأن النصرة النهائية هي لنا. لقد ربحنا للمسيح إبنة ستالين، والذي كان أكبر من قام بقتل جماعات هائلة من المسيحيين، والسيدة كوسيجن (Kosygin) زوجة الدكتاتور الروسي باسترناك (Pasternak) وسولز هنيسين (Solzhenitsyn) وسينيافسكى (Siniavski) وكتاب سوفيت آخرين من الدرجة الأولي، وأعضاء سابقين في الحزب الشيوعى. نحن لا نهتز، لكن على الشيوعية أن ترتعب بسببنا. إن أفضل الخمر قد أبقاها الله من أجل أبناءه.

لقد استطاعت الكنيسة المضطهدة أن تحقق انتصارات قليلة في ذلك الوقت. لكنها استمرت محتميه بالرجاء، كما فعلنا نحن، لقد كنا نؤمن بشدة أن تعاليمنا صحيحة: «نبغض الشيوعية، لكننا نحب الشيوعيين. نقتحم الجدران الحديدية بواسطة الإنجيل وصلوات القديسين». لقد سقطت الحكومات الشيوعية. إن كلمة الله تنشر الآن بكل حرية في بلاد كثيرة من الاتحاد السوفيتي

السابق، البلاد التي ـ منذ زمن قريب ـ امتلاك الكتاب المقدس أو المشاركة فيه يعتبر جريمة. لقد ساعدنا الكنائس في البلاد الشيوعية ليس فقط بكتب مقدسة، ولكن بكتب مسيحية، وبالإذاعة، وبإمكانيات للطباعة وبمساعدات مادية. وفى كل ذلك أعطيناهم شيئاً آخر – لقد أعطينا لهم محبتنا.

لقد كانت هناك دائماً اضطهادات دينية، كما كانت هناك بسالة. لكن في ظل الفاشية والشيوعية عاش الجنس البشرى في منتصف ليله الروحى، بينما عاش شعب الله في أوج مجدهم الروحى. حقاً إنه في أجزاء كثيرة من العالم ما زالت هناك شرور عظيمة ترتكب في حق من لهم معتقدات مختلفة، لكن هذه الشرور لم تمارس في أي مكان آخر بنفس الحجم التي تمت ممارستها به فى الاتحاد السوفيتي.

بركات تأتي فى وسط الليل

ترتكز الأرض على محاورها، فيكون منتصف الليل بالنسبة لجزء في الأرض هي اللحظة التي يكون فيها هذا الجزء أبعد ما يكون عن الشمس. ومنتصف الليل الروحي هي فترة الابتعاد الشديد للإنسان عن الله. لقد اختبر جيلنا أمور غير جديرة بالذكر في منتصف ليل ليس له نظير في الظلام. لكن أبناء الله لم يستقبلوا منتصف الليل بنفس الشعور الذي استقبله به الناس في العالم. لقد قتل كل ابن بكر للمصريين في منتصف الليل، أما بالنسبة لشعب الله المختار فقد حصلوا على حريتهم في منتصف الليل. قال الرب «**يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل**» (يو ٩ : ٤)، لكن أي موضع بالكتاب المقدس ذكر فيه عن أمر مستحيل! ليس هناك مستحيل بالنسبة للمؤمن. يقول الرب يسوع عن المؤمنين «**كل شئ مستطاع للمؤمن**» (مر ٩ : ٢٣). يستطيع شعب الله أن يعمل حتى في منتصف الليل. لقد أخذ شمشون أبواب مدينة غزة في منتصف الليل (قض١٦ :٣)، وفى منتصف الليل، أخذت راعوث الوعد من بوعز «**كل ما تقولين أفعل لك**»

(را ٣ : ٨ ـ ١١) . في منتصف الليل، ربح بولس وسيلا سجان فيلبى (أع ١٦ : ٢٥) . لقد قام شعب الله بأعمالهم العظيمة في منتصف الليل. لذلك قال كاتب المزامير «**في منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك**» (مز ١١٩ : ٦٢)

يجب ألا يخاف المسيحيون من الظلمة التي في العالم، بل يقوموا بعملهم. العريس آت سريعاً. لا يمكن لأبناء الله الحقيقيين أن يقابلوه بأيدٍ فارغة.

* ٧٣ ـ وجهتى نظر متضادتين

يعرف الشيوعيون ذلك أكثر منا. لقد سمحت حكومة المجر بتدريس الدين بالمدارس، شريطةً ألا يتم ذكر شئ عن القديسين والشهداء في كل العصور. إنهم جميعاً يعرفون حق المعرفة كم سيكون تأثير ما صنعوه على التلاميذ طوال حياتهم. إن الكنيسة التي لا تعلم عن سير القديسين هي كنيسة بلا فائدة، وبكل تأكيد ليس لها تأثير يسبب قلق الملحدين. لذلك فقد فعلت إرساليتنا العكس تماماً. في جلسة السنودس الإنجيلي التي عقدت في لندن، قام كانون ستيفنس (Canon Stephens) بتقديم الشكر لنا قائلاً «إن ومبراند قد قام بإمداد الكنسية بأحد الأبعاد الهامة...فقد حدثت بركة عظيمة داخل الكنيسة وهي الإحساس بحضور المسيح في المؤمنين الجدد والشهداء».

«حذف ذكر الشهداء والقديسين من التعليم الديني» تلك هي وصية الشيوعيين والتي أحترمها أيضاً عدد لا يحصى من الكنائس في الغرب. لكن إرساليتنا ركزت في تعليمها على سير القديسين لكي تفتح قلوب المؤمنين لفهم الشركة مع الملائكة والمسيح، هذا هو التعليم المناسب.

حينما حكم على جورج فينس (Georgi Vins) أولاً بخمس سنوات في السجن ثم خمس سنوات أخرى في المنفي، فإنه أثناء محاكمته تحدث إلى المدعين والقضاه قائلاً:

« إنني لا أرى أنكم أعداء. أنتم اخوتي وأخواتي في العائلة الإنسانية الكبيرة. فبعد أن أترك قاعة المحكمة، سأصلى إلى الله في زنزانتي لأجلكم جميعا، كي يعلن لكم عن حقه الإلهي والإحساس الرائع بالحياة. إن الكتاب المقدس قد شكل حياتى، لقد علمني الكتاب المقدس أن أقول الصدق دائماً».

من الواضح أن فينس فهم أهمية التعليم عن الشهداء. فإن كتابه «تاريخ العائلة The Family Chronicle» الذي تم تهريبه أصلاً من روسيا، لم يتعدى كونه سلسلة من حياة الشهداء، مبتدئاً بوالديه وأقاربه. وهكذا قام قائد مسيحي حقيقي بكتابة تاريخ الكنيسة.

أقرأ ثانية كلمات الحب التي وجهها لمضطهديه، وهم الذين دمروه هو ووالديه وأقاربه. أنظر لأعدائك بنفس الحب الذي نظر به فينس إلى أعدائه. عندئذٍ ستدرك أن لهم أيضاً ملائكة حارسة، وسينفتح قلبك على عالم الروح غير المرئى.

لقد قال جيرلامو سافونارولا (Girolamo Savonarola) منذ خمسمائة عام: «إن الموت هو أخطر لحظة في حياتنا – عندها يأتى إبليس ليقوم بآخر هجوم علينا. أنه دائماً يلعب لعبة الشطرنج مع الإنسان، وينتظر لحظة الاقتراب إلى الموت ليفاجأه بلعبة «الشاه مات» «كش ملك»، فمن ينتصر في هذه اللحظة يكون هو الفائز في معركة الحياة. (كان سافونارولا راهب دومينكى تم حرمانه من الكنيسة وقتله عام ١٤٩٨ وذلك بسبب إنتقاده للبابا ألكسندر السادس).

بهذا جئنا بكم إلى الساحة المكشوفة حيث مات الشهداء وانتصروا. ونشجعكم لكي تصبحوا أتباعاً للمسيح من ذلك الطراز.

* ٧٤ـ السرقة من الله

جاء ضابط شيوعي للقبض على أحد الكهنة وسأله: «هل تعتبرني وحشاً كما يعتبرني الآخرون» قام الكاهن بضبط انفعاله تجاه من يضطهده، فأحب الرجل وأجابه «وحشاً ؟ لا، بل أرى إنساناً تعيساً يعتقد أنه لا يوجد من يحبه. إن الله يحبك أنت بشكل خاص. لقد جاء في صورة إنسان من أجل الأشرار. لم يأت إلى الأرض لأننا أبناء للكنيسة ولطفاء، ولكن لأننا كنا قذرين. وبقدر قذارتنا بقدر استحقاقنا لرحمته».

ثم دافع الضابط عن نفسه قائلاً: «أنا لست سيئاً إلى هذا الحد. فأنا لست لصاً».

فأجابه الكاهن: «بل لصاً، لقد سرقت من الله».

رد الضابط مجيباً على هذه الإهانة بحدة قائلاً: «ماذا ؟ كيف ؟ فجاءه الرد: « لقد سلبته خطاياك، إن خطايانا تخصه، ولأنك أخذتها منه، فقد جاء ليولد كابن الإنسان. إن قذارة أفعالنا الشريرة هي من اختصاصه، وليست من اختصاصك. فإذا رفضت تسليمها له – حمل الله الذي يرفع خطية العالم، الوحيد الذي له الحق أن يأخذ منك هذه الخطية لأنها تخصه – فانك تكون سارق، لأن السارق فقط هو الذي يحتفظ بما لغيره.

يعتبر الإلحاد أعظم خطية ترتكب في يومنا هذا. إنها تسلب المسيح ما يخصه: تسلبه خطايانا. فإنه في جهادنا ضد شرور أفكار الإلحاد ندرك أننا لا نتعامل مع بعض الضعفات البشرية بل مع قوى شيطانية هائلة تتحكم في تصرفات البشر. إن الرب يسوع قد ساوى الخطية بالمرض (مت ٩ : ١١ـ١٢). إن الشيوعيين يعانون من مرض معدٍ ومثير للاشمئزاز حيث تتحكم الأرواح الشريرة في حياتهم، لذلك يجب علينا أن نحبهم، لكننا في نفس الوقت نبغض مرضهم. إن قوة الإلحاد كبيرة، لكن المخلص قد أعطانا قوة أعظم منها لنطرد هذه الأرواح الشريرة، ونشفى الناس من مرض الإلحاد

المميت، ومن التصالح مع الشيوعية.

نحن غير مستحقين أن نرفع عيوننا أمام الله، ومع ذلك لا يستطيع أحد المساس بدعوة الله لنا. لقد سر الله أن يدعو خطاة مثلي ومثلك لشفاء الأمراض ولطرد الأرواح الشريرة وعلى نهج الشهداء نحارب ببسالة في هذه المعركة رغم ضعفنا لأننا نعمل ذلك بقوة الله.

* ٧٥ـ جنون البشر

لابد أن الرب يسوع قد فكر كثيراً في أمر حماقة الإنسان. فبينما كان يحمل صليبه إلى الجلجثة استشهد بكلمات هوشع النبي « **ويقولون للجبال غطينا وللتلال اسقطي علينا** » (هو١٠ : ٨). لا يتكلم بمثل هذا الكلام سوى الحمقي، لأنهم بدلاً من أن يقولوا «دعونا نصلى لله لكي يحمينا » أو «هيا نبحث عن صخرة لنختبئ فيها » يقولون للجبال غطينا...

ما هي الفائدة من سقوط جبل عليكم ؟ ماذا يقول الرب يسوع عن حماقة هذه الأيام ؟

في القرن التاسع عشر، ذهب المرسلون إلى أفريقيا كي يكرزوا بالإنجيل إلى آكلي لحوم البشر، وقد أكل الناس هناك بعض هؤلاء المرسلين. وعندما أكل الأوغنديين الأسقف هانتجتون (Hannigton)، ذهب ابناه ليحلا محله في الخدمة. في النهاية قاما بمعمودية الذين أكلوا جسد والدهما، بل إنهما منحوهم أيضاً أن يتناولوا من جسد الرب ودمه. بعد ذلك قال هؤلاء الناس لابنيه أنه بينما كان الأسقف ذاهباً إلى الموت، كان يردد بلا توقف كلمات يسوع « **أحبوا أعدائكم** ».

إن البشر في العصر الحديث هم أسوأ من آكلى لحوم البشر، الذين عن عمد يقتلون الناس بهدف أن يأكلوهم. لكننا لا نأكل البشر، لماذا إذن نقتل عشرات الملايين من الناس في الحروب العالمية، لماذا قتل الفاشيون والشيوعيون عشرات الملايين في السنين التي سبقت تولك التي تلت هذه الحروب؟ إنه من الحماقة أن نسأل لماذا يقتل البشر بعضهم البعض، لقد أصابهم مس من الجنون وملأ كيانهم، وما من سبيل للخلاص سوى أن يختبروا مخافة الله في قلوبهم.

روت كورى تن بوم (Corrie Ten Boom) كيف أن المسيحيين في معسكرات الاعتقال النازية كانوا يفكرون في طرق لربح هؤلاء النازيين

للمسيح. لقد استخدمني الرب لتأسيس إرسالية للكرازة للشيوعيين، والأصوليين المسلمين، والإرهابيين – وهم أناس أشر من آكلى لحوم البشر. لماذا لا تقوم الكنيسة في العالم بإعلان ذلك كهدف أساسي لها ؟ لماذا تعقد الكثير من مجالس النواب والهيئات المسيحية دون أن يتكلمون عن أعضاء الأحزاب الشيوعية ومنظمات الشباب لكي يربحوهم للمسيح ؟

إن التفسير الحقيقي لذلك هو أن الكثير منا ليس لديهم خوف حقيقي لله، وأن الكثير من المسيحيين يشاركون العالم في حماقته. أتمنى أن كل قارئ يصبح مسيحياً ولكن ليس مسيحياً عادياً. علينا أن نكون جادين في الطريق الذي نسلكه.

* ٧٦ـ المسيحيون يتسللون إلي البوليس السري

ظهر أسم نيكولاى كوغلوف (Nikolai Kokhlov) في وكالة أخبار BBC في الستينيات وهو رائد في البوليس السري السوفيتى، وقد كلف بالذهاب إلى ألمانيا الغربية للتسلل إلى حركة التحرير الروسية وقتل زعيمها، د. أوكولوفينش (Dr. Okolovitch). كان عليه ببساطة أن يفتح علبة من السجائر مخبأ بها مسدس كاتم للصوت ليطلق طلقات سيانيد على د. أوكولوفيتش فينتهي أمره.

قامت حركة التحرير باستقبال المتسلل ودعته إلى شقة زعيمها. لكن بدلاً من أن يقوم كوغلوف بقتل الزعيم، وضع سلاح القتل على المنضدة وأخبره بقصته. لقد كان هو وزوجته من المسيحيين الذين يعيشون تحت الأرض وقد تسللا إلى البوليس السري الشيوعى. وقد حذرته زوجته قائلة «سأتركك إذا قمت بأي عملية قتل».

إنه لم يكن في حاجة إلى هذا الإنذار، لأنه كان يؤمن بالمسيح بكل قلبه. لقد أتم واجب الحب بإنقاذه حياة إنسان يطلب الشيوعيون اغتياله. ثم حاول الشيوعيون بعد ذلك قتل عميلهم كوغلوف، وذلك بوضع جرعة مميتة من مادة الثاليوم في القهوة التي يشربها بإحدى المطاعم في ألمانيا الغربية. ولكنهم لم ينجحوا في قتله.

كثيرون من الناس قد صاروا مسيحيين مثل كوغلوف عن طريق كتاب مقدس أو أي كتاب مسيحي آخر قد هربه أحد المرسلين إلى روسيا. نحن نؤمن أن الكثير من هؤلاء الناس قد جاءوا للمسيح بسبب العمل الذي تقوم به إرساليتنا، حيث أنه من بين الإرساليات التي تعمل خلف القضبان الحديدية، كانت الصحافة الروسية دائمة الهجوم على إرساليتنا بالتحديد. فواضح، أن الشيوعيين يهاجمون أكثر المنظمات المسيحية إيذاء لهم.

كانت إحدى الهجمات الشديدة تلك التي ذكرت اسم منظمتنا في موضوع

من أربع صفحات، ظهر في «مجلة زنانى (Znanie) السوفيتية» في شهر يناير ١٩٧٤ أوبعدها بقليل. كما كانت هناك هجمة أخرى مماثلة في مقال ظهر في الصحيفة السوفيتية «راديانيسكا أوكرانيا (Radianska Ukraina)، والتي تحكى قصة محكمة عن مقتل عشرات الآلاف من اليهود، والأوكرانيين، والبولنديين أثناء الحرب، وعن عمليات قتل أخرى حدثت أثناء الثورة الروسية. وقد ادعى السوفييت أن كل تلك الجرائم لم يقترفها أعضاء الثورة والنازيين، ولكن الإنجليين والمعمدانيين هم الذين قاموا بارتكابها. كما عللت الصحيفة أنه بسبب أن هؤلاء المسيحيين – الذين هم في الواقع فاشيين – قد فشلوا في هدم النظام الروسى، لذلك حاولوا قتل نفوس السكان السوفيت بتهريب كتب مقدسة للاتحاد السوفيتى. وقد قاد هذا «العمل الإجرامي» القس ريتشارد ومبراند والأخ مارتينسون (Martinson) مدير الإرسالية السلافية السويدية.

* ٧٧ـ النقاء ذو الشفافية

حينما كان اليهودي أفرام شيفين Avram Shiffin في داخل السجن السوفيتي بسبب نشاطه الصهيونى، تقابل هناك مع رجل معمدانى عمره ٧٢ عاماً اسمه سولوديانكين (Solodiankin)، وقد كتب عنه ما يلى:

«كان لصلاح ذلك الرجل وشفافيته تأثيراً كبيراً، حتى أن الضباط الذين عهدوا بحراستنا صاروا أفضل حالاً بعد مجيئه. فإن كل دخله من الأشغال الشاقة كان يوزعه بإعطاء نصفه لابنته المريضة و٢٥ ٪ منه لكنيسته ومن الربع المتبقى (٧ أو ٨ روبل) يشترى لنفسه قليل من الخبز والسكر، ويعطى الباقي للمساجين المرضى في المعسكر».

كان سولوديانكين تقريباً أعمي، كما أن الضابط الذي قام باستجوابه قام بكسر نظارته. وقد أخبره شيفين أن لديه كتابا مقدساً وهو مستعد أن يقرأ له فيه. فعند المساء، جاء سولوديانكين، وقد بدل قميصه ومشط شعره بعناية. وقال له «إن قراءة الكتاب الأبدي هو عيد».

بدأ اليهودي في القراءة في سفر أشعياء. وعند لحظة معينة، قاطعه سولوديانكين قائلاً: لقد ارتكبت خطأ.

– فعلا، لكن هل تحفظ النص عن ظهر قلب.

فأجابه سولوديانكين: بالطبع.

فسأله شيفين: لماذا إذن أقرأه لك؟.

فأجابه: « لأن سماع كلمة الله يفرحنى، وهكذا يستطيع الإنسان أن يستقبل أفكاراً جديدة.

وحين أجبر السجناء على الجلوس لسماع محاضرة عن لينين، نهض سولوديانكين وعارض المتكلم جهاراً قائلاً: «لماذا تصنع إلهاً من إنسان بسيط؟ لقد قام الناس عبر التاريخ بتكريم الكثيرين مثله كرجال عظماء، لكن من

يكون هؤلاء جميعاً أمام الخالق ؟ »، فعاقبوه لأجل ذلك الكلام.

فى ذلك الوقت كنا نقوم بتهريب الكتب المقدسة إلى الاتحاد السوفيتى، وكان البعض من الذين يدعون بأن عملية التهريب غير شرعية يلومونا صراحةً، ولكن لولا ذلك التهريب لإستمر سولوديانكين الأعمى وآلاف مثله يعيشون بدون كلمة الله.

نسبح الله لأجل سولوديانكين ولأجل اليهودي الذي قرأ الكتاب المقدس. نحن نعبد الإله الذي يعمل أعمالاً عظيمة، وسنظل نقوم بتهريب الكتب المسيحية إلي أي مكان به موانع تعوق الكرازة (مازالت الكتب المقدسة وبعض المؤلفات المسيحية ممنوع دخولها إلى الصين، وفيتنام، وكثير من الدول الإسلامية).

* ٧٨ـ عمل الله فى التهريب

قام بعض الناقدين عبر السنين بنصحنا – ولكن بدون فائدة – أن نتوقف عن تهريب المؤلفات المسيحية حيث أن التهريب هو عملية لا أخلاقية. لو كان التهريب عمل لا أخلاقى، لماذا تعهد الله بمساعدتنا عملياً ؟

دعونا ننظر إلى قصة يسوع. لقد وعد الله رؤساء الكهنة اليهود أنه سيخاطبهم من بين الكروبين اللذين فوق تابوت العهد في الهيكل. وهكذا كانوا يشعرون بالأمان.

لا يمكن أن يجرؤ المسيا أن يأتى دون أن يخبرهم مقدماً، ولا لحاكم دولة أخرى أن يأتى ليزور البلاد دون أن يعلمهم. لذلك كان الحاكم الروماني أيضاً متأكداً أنه لا يمكن لملك اليهود أن يأتى إلى العالم دون معرفته.

وفى إحدى الليالى، تم تهريب نور العالم نفسه كطفل صغير إلى فلسطين بعد وجوده في رحم عذراء قديسة، وذلك عكس المقاييس الأخلاقية المتعارف عليها وعكس قوانين علم الأحياء. للأسف أن هؤلاء من ينتقدون تهريب الكتاب المقدس لم يعيشوا تلك الحقبة.

يا للخسارة، فإنه لو كان هؤلاء الذين ينتقدون تهريب الكتاب المقدس يعيشون تلك الحقبة التاريخية لاستطاعوا حينئذ أن يجدوا شيئاً لكي يعترضوا عليه.

بعض القادة في الكنيسة السوفيتية، بسبب معرفتهم أنه إذا تم القبض عليهم سيسلمون إلى التعذيب حتى الموت، لجئوا إلى الاختباء الذي لا يكون إلا عن طريق تقمص شخصية وهمية، فصاح بعض المؤمنين «خداع، عدم نزاهة!» لكن الرب عاش على الأرض دون أن يخبر أحداً عن هويته. كان الناس في الناصرة يعتقدون إنهم يتعاملون مع نجار يحمل اسم «يسوع» وهو اسم يهودي شائع. لكن بعد ذلك، عندما بدأ البعض يؤمنون أنه المسيا، سألهم أن لا يخبروا أحداً، تماماً كما يفعل الشخص الذي يعمل في الكنيسة السرية ويعيش تحت نظام شيوعي أو إسلامى.

ثم صلب يسوع ودفن، وأمرت السلطات بأن يختم الحجر على باب قبره. فالكل يعلم الآن أنه لن يستطيع أحد أن يكسر الختم، لكن الملائكة لا تقيد بالقوانين الأرضية. فقد جاء ملاك وأزاح الحجر بعيداً، دون الاكتراث بأمر هذا الختم. هل كانت جرائد اليوم المسيحية ستنصح يسوع بأن يلتزم بالقوانين ويظل باقياً في القبر حيث أن السلطات قد قامت بختمه؟

لكن الرب يسوع «هرّب» نفسه خارج القبر عائداً للحياة ثانية. يقول البعض أنه يجب أن لا نكسر قوانين الشيوعيين الطغاة، لكن يسوع قد كسر قانون الجاذبية الأرضية وصعد إلى السماء.

ما هو المفهوم الحقيقي عن الحب لكلمة الله وللكنيسة لدى هؤلاء الذين ينتقدونا ؟

أحياناً، نجد المسيحيين في الاتحاد السوفيتي لايخافون عندما تغلق كنيسة وتختم بالشمع من قبل السلطات، فإنهم بكل حرص يفتحون الباب مستخدمين مفتاح آخر كما لو كانوا يريدون ألا يتلفوا الختم في مكانه.

إننا سنستمر في فضح جرائم الشيوعية والأنظمة الإسلامية ونكمل العمل في تهريب الكتب المسيحية إلى داخل معسكراتهم، وسنخبر الناس عن المخلص المقام الذي يقدر أن يقيمنا نحن أيضاً.

لقد وجهنا سؤالاً إلى أخ روسي شاركنا في هذا العمل السري، مستفسرين إذا كان ضميره قد حثه على الخضوع للسلطات. لكن إجابته كانت مدهشة فقال : «إذا كنا نحن مخطئين إذن فكل الطائفة المعمدانية مخطئة». لقد قرأت مقالاً نشر في جريدتنا السرية يتكلم عن توماس هلويز (Thomas Helwys)، وهو قس لأول كنسية معمدانية نشأت على أرض إنجليزية. لقد سجن لأنه قال أن ليس للملك سلطان على النفوس الخالدة لرعاياه، حتى يقوم بفرض القوانين والتشريعات ويقيم عليهم حكاماً روحيين لتنفيذها. كما قرأت عن رسالة قام شخص معمدانى اسمه جون بتهريبها من

سجن في إنجلترا عام ١٦٢٠ . كُتبت تلك الرسالة باللبن، كما نفعل نحن الآن حتى لا يتمكن السجانين من قراءتها. لكن عائلاتنا تعلمت كيف تتمكن من قراءة هذه الحروف. لقد كتب جون بنيان يقول «لا يستطيع القاضى أن يتحكم إلا في الجسد، ولكن ليس في العقل والضمير».

إذا كنا مخطئين، فإذن جون بنيان (John Bunyan)كان أحمق ! لقد فضل البقاء في السجن لمدة إثنى عشر سنة على أن يعبد الله بطريقة يعينها شخص آخر. بينما علينا نحن الخضوع لقوانين قد وضعها الملحدين.

خاف البعض وعادوا تحت الضغط إلى الكنيسة الرسمية. لكن هؤلاء كانوا قلة محدودة جداً. لقد استمرت الكنيسة التي تحت الأرض. (ووقف المسيحيون بجوارنا. حتى أن بعض الشيوعيين وضباط الشرطة قدموا لنا خدمات جليلة)

إن أولئك الذين نالوا الخلاص بأسمى معاني الكلمة قد تحرروا أيضاً من القوانين التي تحكم السلوك والتي كانت قد وضعت كمسلمات في جميع الأوضاع والظروف. فعندهم الروح القدس ليعطيهم قيادة شخصية في المواقف غير العادية.

كتب بولس الرسول، من سجن تحت الأرض موجوداً في روما، «**أستطيع كل شئ في المسيح الذي يقويني**» (في ٤: ١٣). وهو لم يتم تعذيبه أبداً بالطريقة التي يستخدمها الشيوعيون في تعذيب المسيحيين في يومنا هذا.

لقد حدث في سجون الصين الحمراء أن بعض اخوتنا وأخواتنا في الإيمان كان عليهم أن ينحنوا نحو الحائط بلا حراك من الساعة الخامسة صباحاً وحتى التاسعة مساءاً يوم بعد يوم، وشهر بعد شهر، لقد ظلوا هكذا لمدة سنوات. لقد كان كل يوم في حياتهم يأتى وكأنه عدو لد عُين لتعذيبهم حتى الموت. لم يكن مسموح لهم بالحديث إلى زملائهم في الزنزانة كما كان محرماً

عليهم أن يضحكوا أو يبكوا. وإذا أضطر أحد السجناء إلى السعال، فإنه يحتاج أن يقول للحارس المعين لمراقبته جملة باللغة الصينيـة وهى تعني: «اسمح لي من فضلك». كان عليه استخدام عبارة «اسمح لي من فضلك» إذا أراد أن يبصق، أو يهرش في جسده، أو يقتل حشرة، أو عند استخدام دورة المياه. وإذا اختل أحد السجناء في الزنزانة وبدأ في الغناء فجأة، يبقى الباقون بلا حراك بينما الحراس يجعلون زميلهم يلزم الصمت عن طريق ضربه. ولأنهم مقيدين بسلاسل في أيديهم وأرجلهم، لا يكونوا قادرين على مساعدته.

مكتوب في (عبرانيين ١٣ : ٣) «**اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم**». حاول الجلوس على الأقل لمدة ست ساعات على الأرض، بلا حراك (في السجن على الخرسانة الباردة) لكي ترى الطريق التي سار فيه اخوتك.

*** ٧٩ـ شهداء من إرساليتنا**

قتل الدكتاتــور عــــيدي أمين الأخ جـــــوزيف كيوانوكا (Joseph Kiwanuka) المسئول عن إرساليتنا في أوغندا، وقد اتهمه عيدى أمين زوراً بأنه عضو بالمخابرات الأمريكية، وذلك لأنه كان يوزع المطبوعات الخاصة بنا. في هذا الوقت كان عيدى أمين هو الحاكم الوحيد الذي كان يحصل على أسلحة من الاتحاد السوفييتي على سبيل الهدية، ولذا كان يطيع من يحسنون إليه، وكان في نظره أن كل من يدين الجرائم الشيوعية، ويظهر الطريق الأفضل للمسيح هو عميل للرأسمالية الأمريكية. لقد تم تحذير الأخ كيوانوكا، وهرب إلى دولة الجوار، كينيا غير أن الشرطة الأوغندية قامت باختطافه من طائرة شراعية وهى في الجو، وأغرق جسده المسحوق في بحيرة فكتوريا، تاركاً خلفه أرملة والكثير من الأطفال. بالإضافة إلى ذلك قتل عيدى أمين قبيلة مسيحية كاملة تدعى لاجباناز (Lugbanas). وقد ضرب وانج شين ماى حتى الموت بينما كان في مهمة تهريب بعض المطبوعات المسيحية الخاصة بنا إلى الصين. وقد اختفى رجل آخر في كوبا كان منوط بعمل التوصيل. وسجن الرجل الذي ترجم كتاب العذاب الأحمر إلى اللغة الأمهارية (Amharic) في إثيوبيا؛ إن نشر هذا الكتاب كان يعد جريمة بالنسبة للشيوعيين، ومازال هذا الشخص يعانى من الإساءات والآلام التي لحقت به، ولكنه يقود مركز الإرسالية في أديس أبابا واسمه تستسراى نفرين (Testsray Neffrim). وأعدم القس البرميس وايفو (Wy-Foo) في الصين عن طريق شنقه ورأسه إلى أسفل، وكان قد قبض عليه وهو يهرب المطبوعات الخاصة بنا عبر الحدود. قد تمر حياتك بسلاسة في كل الطريق إذا ما قررت أن تحيا مع الرب يسوع، غير أنها قد تكون عاصفة جداً في أحيان أخرى ولكن التعويض هو أن الرب يسوع يسكن فيك، ستصبح غالباً وستجلس معه في عرشه.

* ٨٠. هجمات شخصية

يجب على أن أحذرك وأخبرك أنه ليس تلميذ افضل من معلمه. لقد تعرض الرب يسوع شخصياً للإهانات والافتراءات. فإن كنت تتبع سيداً، عليك أن تتوقع أن تعامل بنفس المعاملة التي يلاقيها هو.

يدور الموضوع الرئيسي في رسائل بولس الرسول حول شخص الرب يسوع الذي وجهه يلمع كالشمس في بهائها، وعيناه نقيتان، وهو أبيض كالثلج، ويشبه الحجر الكريم الأبيض. المسيح هو الموضوع الرئيسي في الرسائل – لكن ليس الموضوع الوحيد. لقد كتب بولس الرسول أحياناً عن نفسه وعن معاونيه. لأجل ذلك نرجو المعذرة إذا اتخذنا من أنفسنا مثلا في شرح هذا الأمر. إن إرساليتنا بالتحديد – وأنا شخصياً – قد أصبحنا على مر السنين هدفاً للنقد القاسي من جانب الشيوعيين وأتباعهم ومستهدفين أيضاً من أعمالهم الدنيئة. أرسل الاتحاد السوفييتي احتجاجاً إلى الحكومة الفرنسية من أجل أنها سمحت لسولزهينتسين (Solzhenitsyn) أن يتحدث للناس عبر شاشات التلفاز. وقد علمت إرساليتنا من خلال السلطات السويسرية أنها قد تلقت احتجاجاً مماثلاً بشأن الإعلانات التي تعلن عن الكتب الخاصة بي في سويسرا. وفى فنلندا تم منع عرض الفيلم المأخوذ عن رواية سولزهنيستين «يوماً في حياة إيفان دينيسوفيتش» (One day in the life of Ivan Denisovich) – تحركت الحكومة الفنلندية تحت الضغوط السوفييتية وطلبت من الأساقفة اللوثريين أن لا يسمحوا لي باستخدام كنائسهم ونتيجة لذلك، اضطرت للوعظ في قاعات خاصة.

قام الشيوعيين في هيلسينكى (Helsinky) بدفع ملاك القاعة لإلغاء اتفاقهم معنا، وفى تركيا قامت مديرة قاعة تابعة لفرقة المطافئ بالإجابة على الشيوعيين قائلة: عندما تشتعل النيران، فإن رجالنا يتحركون لإطفائها، مخاطرين بحياتهم دون أن يسألوا لأى حزب ينتمي صاحب هذا المنزل. من حق كل صرخة معاناة لأى شخص أن تدوي في هذه القاعة.

إن ومبراند يأتى بصرخات الشهداء. إنه سيتكلم في هذا المكان. كانت لها شجاعة أعظم من التي للأساقفة اللوثريين.

وقد نشر في روسيا كتاباً بقلم بيلوف وشيلكين (Belov and Shilkin) تحت عنوان « تحول بدون ديناميت» (Diversion without Dynamite) وهو كتاب يركز بشدة في الحديث عن إرساليتنا الدولية، وبالتحديد عنى أنا وابنى. إن ذلك الكتاب يصف أنشطتنا على أنها «عاصفة » ، وقد روي الكتاب قصة فيها ادعاء بأنه قد تمت محاكمتي في رومانيا بسبب أنشطة معادية للشيوعيين تحت ستار الدين. ثم ادعى مؤلف ذلك الكتاب إن تصريحاتنا بشأن الاضطهاد الحادث في الاتحاد السوفييتي كانت كلها خيالية وغير حقيقية. لقد أزعجهم بشدة الكتاب الذي قمت بنشره بعنوان «هل كان ماركس رجل شيطاني؟» (Was Marx a Satanist?) . أعيدت تسميته الآن باسم «ماركس والشيطان» (Marx and Satan) وقد تمت ترجمة ذلك الكتاب الي عدة لغات أعيدت طباعته مرات عديدة.

جاء في كتاب «تحول بدون ديناميت» : إن ومبراند هو من أكثر المعارضين لإزالة حدة التوتر بين الدول وكذلك يقوم ذلك الكتاب بمدح الذين هم ضد الشيوعيين إذا كانوا أيضاً أعداءاً لومبراند.

لقد كتب نفس هذان الكاتبان في مقال جاء في نوكا أى ريليجيا (Nauka I Religia) وهى الجريدة الرئيسية للشيوعية في موسكو «لابد أن أعظم لاعبي كرة القدم يحسدون ومبراند من أجل مزاجه. فإن صراخه شديد وهمجى.إن ذلك المحارب يدعو للجهاد ضد الاشتراكية، الذي يدّعى أنها نتاج إبليس. لقد سجن في رومانيا بسبب توزيعه مؤلفات دينية تحرض الناس ضد الحكومة» . جدير بنا أن نشير إلى نقطتين في هذا المقال. أولهما، لقد لقبني كاتبا المقال بلقب «القس الخبيث» بسبب الكتاب الذي كتبته عن ماركس، وذلك برغم عدم قدرتهم على إيجاد حقيقة واحدة تناقض الوقائع التي تم ذكرها في البحث الذي قدمته.أما النقطة الثانية فهي أنهما قدما

تهنئة للقادة المسيحيين الذين وقفوا ضدى، برغم أنهم ضد الشيوعية أيضاً فهم حتماً مقاومين للشيوعية، لكنهم نالوا استحسان الحكومة في موسكو، لمجرد مقاومتهم لي أنا الذي يعتبرونني واحد من أشد الأعداء للشيوعية.

نظراً لما سبق ذكره، فنحن لا نندهش بسبب الهجمات التي تشن ضدنا في الغرب. تلك الهجمات التي حدثت في عدة بلاد. فعلى سبيل المثال، قامت صحيفة إيطالية بمهاجمة د. ليزو – وهو مساعد لنا في إيطاليا – ملقبة إياه «بالفاجر» وذلك بسبب أحاديثه ضد الشيوعية التي يلقيها عبر المحطة الخاصة بنا في راديو مارشيفولو (Marchivolo). إنهم يعتبرونه فجور أن نقول أن الشيوعيين قد قتلوا ومازالوا يقتلون الملايين من الأبرياء وهدفهم هو القضاء على الدين تماماً.

جاء في كتاب عنوانه الإنجيليين السوفييت (Soviet Evangelicals) هجوم من الأستاذ سافاتسكى (Savatsky) يقول فيه «إن إرسالية ومبراند تتناسب مع صورة إرسالية الاستعمار التي كانت في القرن التاسع عشر. فهي ضد الشيوعية. حيث تعتبر أنها تساعد المؤمنين في المجتمعات الشيوعية بقدر ما تلحق من دمار في النظام الشيوعى».

«ومن وجهة نظر ومبراند أنه يجب على المسيحي مقاومة الشيوعية، وهذا منطقياً يعنى أنه على المسيحيين السوفييت معاداة الشيوعية، وربما عليهم أن لا يكونوا وطنيين أيضاً. إن موقف ومبراند يؤكد الاتهامات التي يوجهها له الكتّاب السوفييت وهى أن الديانة تخدم أهدافاً رأسمالية. يرى ومبراند، أنه لا يوجد مسيحيين حقيقيين في الاتحاد السوفييتي إلا هؤلاء الذين يعانون من الاضطهاد. أما أولئك الذين لا يواجهون أي معاناة، مثل القادة الرسميين للكنيسة المعمدانية، فهم بكل تأكيد أدوات يستخدمها البوليس السياسى.

إن ومبراند يؤكد انه لا يمكن للشخص أن يكون له أصدقاء وأعداء إلا إذا كان في حالة حرب، فإن الشخص الذي يقر بالفروق الضئيلة المعقدة، ويجذب الانتباه للمناطق الرمادية، هو شخص قد دخل في براثن العدو.

إن كتابات ومبراند هي السائدة في المكتبات الدينية في كل من أمريكا وأوربا، وذلك يعنى أن تأثير هذه الكتابات والتشويه الوارد فيها يشكل صورة المسيحيين في الاتحاد السوفييتي لدى أغلبية المسيحيين الذين يهتمون بأمر اخوتهم في باقي أنحاء العالم».

ثم تبع ذلك بأفضل معروف أسداه إلي ارساليتنا حين كتب إن الكثير من الكتب المقدسة ومؤلفات مسيحية أخرى قد أصبحت متاحة في الاتحاد السوفييتي بسبب عمل هذه الإرساليات، مما ساعد على ازدياد ملحوظ في الجوع إلى الكلمة لدى الناس في تلك البلاد. إننا حقاً نعتز بذلك الإقرار.

لاشك انك لم تسمع مطلقاً عن كلوس كيمبنر (Klaus Kempner)، ولكنه قد لقب مرة بلقب جليل وهو المستشار الدولي الأعلى للكنيسة اللوثرية بألمانيا الغربية. وقد قام دون معرفتنا بتوزيع رسالة تشير إلى أنه قد قضى ثلاث سنوات في دراسة ما أطلق عليه «مشكلة ومبراند». إن الشيطان الآن يحاول بشدة أن يجربنى بالكبرياء. أعتقد أن أكون موضوع دراسة المستشار الأعلى لمدة ثلاث سنوات لابد أن ذلك يعنى شيئاً. لقد كانت تلك الدراسة مهمة للدرجة التي جعلت المستشار ينسى أن ينبه أعضاء ايبارشيتة بخطر الشيوعية ولم يخبرهم مطلقاً عن الشهداء الذين يموتون في الوقت الحالى.. وبعد ثلاثة سنوات من الدراسة، اكتشف إنني أبالغ في استخدام المشاعر في رسائلى. لقد اعتبر المستشار أن ذلك خطأ. لكن هل من المفروض أن تكون العظات جافة ومملة ؟ لقد اتهمني أيضاً بأنني صوفى. إن ذلك المستشار الأعلى اللوثرى لا يعرف أن لوثر نفسه قد استمد التعاليم الخاصة به من شخص صوفي يدعي « تولر » (Tauler). لقد اتهمني اتهاماً آخر حين قال: «إن ومبراند لا يستخدم في التلوين إلا اللون الأسود والأبيض، مؤكدا تماماً من هم أبناء النور ومن هم أبناء الظلمة أيضاً » إنني أقبل ذلك الاتهام. فإن الشيوعيين الذين يقومون بتعذيب الناس وأيضاً أولئك الذين يتسترون على هذه الجرائم هم أشد ظلمة من الليل، أما أولئك الذين يقدمون حياتهم

في السجون الشيوعية وكذلك أولئك الذين يساعدونهم هم أبيض من الثلج. هذا هو ما نؤمن به.

إن ذلك المستشار الأعلى لم يرضى عن أولئك الذين اتبعونى. لقد أكد أنهم في الأغلب أشخاص متدينين، ولكنهم غير حائزين على أي درجات علمية. أنه وهو المستشار، قد نسى أن الرسل أيضاً كانوا مثل هؤلاء الأشخاص. لقد قال أيضاً أنه ليس حسناً أن يدعى ومبراند مخادعاً أو مختلاً، حيث أن الأنبياء قد تم وصفهم بهذه الكلمات، لذلك فقد ادعي إنني مخترع طائفة جديدة. لقد ظل يقول أن الخلاص من وجهة نظري لا يعتمد على الإيمان بيسوع المسيح بل على الرسالة التي أقدمها. لقد كانت هذه الاتهامات مضحكة جداً. إن الكنيسة اللوثرية في ألمانيا الغربية والكنائس الأخرى كانت تحتاج أن تساعد عائلات الشهداء وذلك بأن تعطيهم قطعة من الخبز وأن تحارب الشيوعية في بلادهم، بدلاً من محاولاتهم تغذية كبريائى. إن الافتراء الأساسي الذي يُفتري به علينا هو أننا ننشغل بالسياسة وليس بالأمور الروحية.

لا يجب أن يتورط المسيحيون في معارك سياسية رخيصة، بل أن يشاركوا في معركة تحرير العالم كله من حكم إبليس، هذه هي وصية الرب يسوع، برغم أنها لا تجد رواجاً وقد تؤدى إلى فقدان الحياة. إن الرب يسوع قد مدح السامرى من أجل أنه ساعد الرجل الذي وقع عليه اللصوص وجرحوه. فلنفترض أن ذلك السامرى قد جاء في هذا الطريق قبل ذلك الوقت بنصف ساعة، بينما كان اللصوص يقومون بضرب ضحيتهم. هل كان سيقول لنفسه أنا شخص مسالم، لن أتدخل في مشاجرة عنيفة. لتنتهوا أولاً من ضربه، ثم أقوم بصب الخمر والزيت على جروحه ؟ أم كان سيقوم بتنظيم مسيرة معارضة ضد ذلك الاعتداء، معلناً لأولئك اللصوص أنه قد تم استدعاء الشرطة ؟ أو ربما قد دفعه الحب أن يتدخل في المشاجرة ليدافع عن ذلك الإنسان البرىء.

نحن نعرف الإجابات عن هذه التساؤلات. فإن الحب الإلهي لم يكن يسمح للسامرى الصالح بالوقوف جانباً، وأن وصية الرب لنا واضحة: « تمثلوا به» أي بذلك السامرى. إن المسيح يحب كل من يحفظ تلك الوصية. إن من شأن الحكومات أن تقود المعارك في المجالات السياسية، والحربية، والثقافية، والاقتصادية. كما أنه من شأننا نحن بصفتنا منظمة دينية ألا نخوض إلا الحروب الروحية. يجب أن تكون هذه الحقيقة ثابتة، بدون أي مساومات، تماماً مثل حقيقة صراعنا الشخصي ضد الخطية. نحن نتبع إله يستبسل في القتال.

إن أفضل شئ هو قبول افتراءات الآخر عليك ومساعدته على نشر تلك الافتراءات، برغم أنه ليس كل ما يقوله عنك حقيقياً، فهو محق مبدئياً حينما يصفك بأنك خاطئ. إنه يساعدك عن طريق تحطيم كبريائك وتجريدك من المجد الذي لا يليق سوى بالرب وحده. لذلك لا تعبأ بالافتراءات الكاذبة، فما بالك بتلك التي تحمل قدرا من الحقيقة؟ إن هذه الافتراءات لن تسبب لك أدنى ألم إذا أتممت أول وصية أوصانا بها الرب يسوع: «**إن أراد أحد أن يأتى ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني**» (مت ١٦: ٢٤).

يجب على المسيحيين أن ينصتوا بهدوء حين يستمعون إلى أى كلام ردئ يقال عنهم. فإن الهجوم ليس موجهاً إليهم، حيث أنهم قد تخلوا عن شخصياتهم القديمة وتوحدوا بالرب يسوع. فأنا شخصياً لدى أسوأ الإنطباعات عن كل شئ متبقى من العتيق في شخصية ومبراند، كل ما هو ليس من المسيح.

* ٨١ ـ تذكروا أولئك الذين يتألمون

إن البعض يتعجبون بسبب الكنائس التي لم تكترث بشأن الأعداد الغفيرة من المسيحيين الذين تعرضوا للاضطهاد في البلاد الشيوعية. إن هذا النوع من الإهمال له تاريخ طويل.

لقد كتب القديس بولس « **لم تشاركني كنيسة واحدة في حساب العطاء والأخذ** » (في ٤: ١٥). لقد قام بنفسه بتأسيس كنائس كثيرة، لكن عندما دخل السجن من أجل الإيمان – وربما دخله أيضاً آخرون غيره – لم يدرك الأخوة آنذاك أن السجن معناه الجوع، والعوز، وضيق النفس. غير أنهم لم يدركوا أيضاً أن السجون لديها الكثير لتعطيه للكنيسة. إن حقيقة دخول الرب يسوع الي الداخل والأبواب مغلقة ليقدم سلاماً، هي بالنسبة للمسيحيين المساجين ليست مجرد رواية قديمة خاصة بالقيامة. لكنها تحدث وتختبر كل يوم داخل سجونهم. وتستطيع اختباراتهم أن تغنى الكثيرين ممن يتبعون المسيح. إن المسيحيين لا يدركون أن الألم الذي يجتاز فيه البعض منهم هو بمثابة كنز ثمين يستطيع الجميع أن يستغني منه – إذ أن تلك الأيادي المقيدة بالسلاسل بإمكانها أن تبارك بسخاء. وهو ما حدث حين كان القديس بولس سجيناً، إذ لم تشاركه كنيسة واحدة في حساب العطاء والأخذ إلا كنيسة فيلبي.

إن موقف الناس تجاه آلام الآخرين مملؤ بلا مبالاة مفرطة، وكذلك عدم حساسية وتبلد في المشاعر. إننا أحياناً نتحير بسبب عدم تفاعل الناس مع قصة صليب المسيح، لماذا لا يتحرك لهم ساكن عند سماعهم بالآلام التي يجدها المسيحيون في البلاد الشيوعية؟!

اجتمع في الجلجثة جمع غفير لمشاهدة صلب الرجال وبكل تأكيد أنهم سمعوا صرخاتهم عند دق المسامير بالمطارق في أيديهم وأرجلهم. لابد أنهم أدركوا أن أحد هؤلاء الرجال الثلاثة هو أعظم رجل في تاريخ البشرية، وإلا فكيف يمكن أن يصلى لأجل أولئك الذين يقومون بتعذيبه أو أن يهتم أن يقود

لصاً إلى الله، بينما كان يجتاز في آلام جسدية تفوق الوصف. وحين صرخ يسوع وكأنه يائس «**إلهي، إلهي، لماذا تركتني ؟**» ماذا كان رد فعل الجموع المحتشدة وقتذاك ؟ لقد جعلوا يقولون بعضهم لبعض «أترك، لنرى ماذا يكون من أمره» إنه لم يمر بخاطرهم أن يحاولوا تخفيف حدة معاناته على الأقل بإعطائه القليل من الماء أو التخفيف عنه بكلمة تعاطف. «**أترك. لنرى هل يأتى إيليا يخلصه**» (مت ٢٧: ٤٩).

لم يكن اسم إيليا هو اسم ذلك النبى في القديم فحسب ولكنه عبارة عن جملة صغيرة باللغة العبرية تعنى « يهوه إلهى » وهكذا يستطيع كل إنسان أن يكون إيليا. لذلك فقد وصف الرب يوحنا المعمدان بإيليا. يجب على كل منا أن يتخذ من يهوه إله شخصى له. وحينما يصبح يهوه الإله سيداً على حياتنا، لن يكون لنا أبداً الموقف السلبى أمام معاناة الأبرياء.

إن هؤلاء الذين في الواقع يعيشون بعيداً عن الله لديهم دائماً هذا الإتجاه إذ يقولون «أتركه، لنري ما يصير من أمره» ذلك النوع من الناس قد شاهد فعلاً الصليب في الجلجثة لكنهم لم يتأثروا به. واليوم نجد هذا النوع من الناس عينه – أولئك الذين لم يتأثروا برسالة الكنيسة السرية. فهم لا يهتمون أن الأخوة الأصاغر ليسوع يعانون من الجوع أو السجن. إنهم سيُدانون من أجل عدم اكتراثهم وإهمالهم. نحن نأسف حقاً لأجلهم. لكن هناك فئة حالهم أسوأ من الذين سبق ذكرهم. إن الناس في كورة الجدريين ابتدءوا يطلبون من الرب يسوع أن يمضى من تخومهم (مر ٥: ١٧). كان لديهم سبباً معقولاً ليفعلوا ذلك. لقد قام الرب يسوع بطرد الأرواح الشريرة من إنسان وأمرهم أن يدخلوا في قطيع من الخنازير مما جعل القطيع ينحدر إلى البحر فغرق. لقد فقد الجدريون كل ممتلكاتهم – فقدوا غذائهم وغذاء أولادهم. فإن أمر شفاء ذلك الرجل لا يعنيهم بالمرة.

ماذا كنت ستفعل إن كان دخول الرب يسوع لحياتك يعنى أنك تفقد بيتك، وسيارتك، ورصيدك في البنك، وعملك ؟ ربما ستستمر في استخدام

عبارات طيبة عن الله لكنك لا تعنيها فعلاً. لكن الجدريين كانوا على الأقل صادقين حين قالوا للرب يسوع: « اتركنا يا يسوع».

إن الرب يسوع قد اعتاد موقف الرفض من الناس. عندما قام هولمان هنت (Holman Hunt) برسم لوحته الشهيرة « نور العالم » (The Light of the World) الذي يظهر فيها الرب واقفاً عند مدخل بيت، قارعاً على الباب، لم تكن قدميه موجهة نحو الباب بل نحو الطريق. إن الرب يعلم أن احتمالات رفض الناس له تفوق احتمالات قبوله، لأن قبولهم له يعنى أنهم سيفقدون الكثير.

كتب الرسول بولس يقول « **بل إني أحسب كل شئ أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح** (في٣:٨) هل نحن أيضاً نحسب أن الأثاث الأنيق، والسيارة الجديدة، والوظيفة الأفضل التي حصلنا عليها حديثاً، والأموال التي نمتلكها، هل نعتبر هذه الأشياء نفاية منفرة ؟ إن الإنسان حين يجد نفاية، فإنه يتمنى أن يتخلص منها بأسرع وقت ممكن. هل ذلك هو اتجاهنا تجاه ممتلكاتنا الأرضية ؟ إن كل من يريد أن يربح المسيح يجب أن يتخلى عن أي محبة تربطه بتلك المقتنيات.

إن تبعية المسيح مكلفة. الخلاص بالإيمان وحده، غير أن الإيمان المخلص لا يعيش أبداً بمفرده، إنه دائماً مصحوباً بتضحيات كبيرة من أجل المسيح. ونحن نقدم تضحياتنا لأجل المسيح، دعونا نتأكد من حقيقة هؤلاء الذين ليست لديهم هذه القدرة على التضحية، فهم لا يكترثون بمعاناتنا بل إنهم يعملون على زيادة هذه المعاناة.

*** ٨٢ـ خبرات من إرساليتنا:**

قال الرب يسوع : «**إن أعثرتك عينك فاقلعها**» (مر ٩: ٤٧)

كانت اللغة الآرامية التي يتحدث بها الرب يسوع فقيرة للغاية. لم تكن هناك كلمات تعبر عن : الفكر، والعاطفة، والوجدان، والهوى، والانفعال، والحدس، والبديهة، والقصد، والمغزى، والمنظور أو الأسلوب الذي نرى به الأشياء. لقد اضطر الرب يسوع أن يستخدم كلمة «عين» ليعبر عن كافة هذه المفاهيم ، لكنه لم يكن يقصد أن نقلع أعيننا الجسدية، فهي لن تضرنا في شئ ، وإن قلعناها لن يكون هذا مفيداً في شئ ، فكم من أناس عميان يرتكبون نفس الخطايا التي يرتكبها المبصرين. لكنه علمنا أن نقلع بتصميم من أذهاننا أسلوب معين ننظر به إلى الحقيقة. نحن لدينا غدد دمعية قد منحنا الله إياها، وقد قصد أن نستخدم هذه الغدد بصورة سليمة.« بكاء مع الباكين » كما كتب الرسول بولس في (رو ١٢: ١٥) . لقد بكى الرب يسوع حين رأى أصدقاءه مريم ومرثا وغيرهم ينوحون. لا تستخدم الدموع كثيراً في النوح على أحزانك الخاصة. فالأسلوب الذي تنظر به إلى أحداث حياتك قد يكون مخطئ.

هناك أسطورة تحكى عن دموع امرأتين كانتا تسبحان معاً في نهر الميسيسيبى، قالت الدمعة الأولى لصاحبتها : إنني دمعة امرأة قد فقدت حبيبها ، فأجابت الدمعة الثانية قائلة : وأنا دمعة المرأة التي حصلت على هذا الحبيب.

فلنذرف الدموع من أجل آلام الآخرين ، وهكذا نُظهر لهم المحبة والتعاطف. فقط من خلال الدموع نستطيع أن نرى الحقيقة بوضوح. فلنشترك مع الله في بكاءه على خطايا العالم ، بما في ذلك خطايانا نحن. حينما كان قادتنا السياسيون يناقشون المزايا النسبية لنظم الأسلحة ، كنا نحامي نحن عن قنبلة الحب وصاروخ الإنجيل. إن ماو كان محقاً حين قال : ليس المهم هو أية أسلحة يمتلكها الأعداء، ولكن الأهم هي الطريقة التي يفكر بها من يستخدم هذه الأسلحة. لقد أدركنا أنه يجب الهجوم على الاتحاد السوفييتي بسلاح الإنجيل على نطاق واسع ، وذلك عن طريق المحبة. حينئذ يصير كل مواطن سوفييتي مسيحي متجدد متعاطف مع الغرب ، حيث حرية المسيحية، ويصبح عدواً للنظم الشيطانية التي تقهره. إن الكنيسة مستقلة عن الدولة في معظم بلدان العالم الحر.

إن هذا الانفصال قد يكون مفيداً للسياسة الداخلية لأمة ما ، غير أن الإنجيل يمكنه أن يكون سلاحاً قوياً لكسب عدد كبير من سكان أمة معادية إلى جانبنا ، وبهذا يمكننا أن نتجنب الاختيار الرهيب لنظم الأسلحة القاتلة.

دائماً ما يكون هناك مسيحيون يقولون : يجب أن نبشر بالإنجيل ولا نهتم للشيوعيين أو الديمقراطية. لقد عبروا عن عدم موافقتهم على عدائي للشيوعية. إنهم يدعون أن المسيحية يمكنها أن تقوم في كل شكل من أشكال المجتمع. هذا يجعلني أتسأل عن المكان الذي تعلموا فيه عن الإنجيل.

هل كان ليفينجستون (Livingstone) يعرف الإنجيل ؟ حين ذهب إلى أفريقيا كانت هناك تجارة مزدهرة للرقيق. وفقاً للاهوت الخاص بهؤلاء الذين ينتقدونني ، كان عليه أن يترك العبيد على ما هم فيه ، ولا يبشرهم بالإنجيل. لقد قرأ في الكتاب المقدس كيف أن الرب قد حرر العبيد اليهود، فلم يستطع أن يظل بلا حراك وهو يرى مجموعات من العبيد مثلما كان وقد قيدت من معاصمهم في سلاسل طويلة ، وهم يجلدون مثلما كان مساجين الشيوعيين في الصين والاتحاد السوفييتي يضربون وهم يتنقلون من مكان إلى أخر.

كتب ماسكى ميلر (Maskey Miller) في كتابه تاريخ جنوب أفريقيا يقول : كل هذه الأمور الرهيبة جعلت الدكتور ليفينجستون يستشط غضباً. إن الكثير من المسيحيين اليوم قد فقدوا فضيلة الغضب ضد العبودية والرق، والبعض الآخر لا يغضب لشئ أو ضد شخص سوي ومبراند وإرساليتنا التي دائماً ما حاربت ضد العبودية الشيوعية.

لم ينسى قط ليفينجستون أن يتوسل إلى الشعب البريطاني حتى يكف عن هذا الاتجار الرهيب في اللحم والدم البشرى، وقد نجح في مسعاه.

لقد اندثرت تجارة الرقيق والعبودية من الإمبراطورية البريطانية ، ولكن لتقوم من جديد في أيامنا هذه عن طريق الحكومات الأفريقية الشيوعية. واليوم ، فيما يرقد جسد ليفينجستون في دير وستمينستر (Westminister Abbey) ، يقوم بانتقادنا أولئك الذين يدعون أنهم يكرمون ذكراه، بسبب أننا نعترض على صورة من العبودية قد غمرت أمم بأكملها.

إن الإنجيل الذي نبشر به يشتمل على أمر الله لفرعون «**أطلق شعبي**». ومنذ أن بدأنا العمل منذ أكثر من ثلاثين عاماً ونحن نهدف إلى خلق روح

الاهتمام بالمضطهدين ،وأن نحرك صلوات من أجلهم في كل مكان ، وأن نشجع المسيحيين في بلدان كثيرة لكي يوفروا الأناجيل والمطبوعات المسيحية في أماكن كانت ممنوعة من الدخول فيها. وقد أعلنت منظمات أخرى مماثلة عن أنها مديونة لنا بما قد أنجزت. ونتيجة لذلك ، فأن الملايين قد وصل إليهم عملنا في البلدان الشيوعية والعالم الحر.

لقد بدأ الأمر بأن تذكر البعض كلمات جون كريسوستوم (John Chrysostom) : إن قوة الأبرار لا تتمثل في عددهم ولكن في نعمة الروح القدس المعطاة لهم. لقد كان هناك اثنى عشر تلميذاً ؛ خميرة صغيرة. وكان جميع الناس غير مؤمنين؛ عجين كثير جداً. غير أن هؤلاء الإثنى عشر قد قلبوا العالم رأساً على عقب. كان الأمر يحتاج إلى تغيير عشرة أفراد ، ثم أصبحوا عشرين ، ثم مائة ، ثم ألفاً ثم مدينة بأكملها.

تماماً مثلما تنير عشرة شمعات بيتاً بأكمله ، هكذا الأمر بالنسبة للأعمال الروحية. الأمر يحتاج إلى عشرة أفراد يتغيرون ، وهؤلاء بإمكانهم أن يشعلوا ناراً تنير للجميع.

ولكن لكي نفعل هذا كنا نحتاج للتقديس ، وكان يجب علينا أن نصارع من أجل ذلك. إن الكلمة اليونانية للتقديس هي (haghiasmos) ، وهى تعنى أن يصبح المرء غير أرضى (ha أداة نفى وgheos وتعنى له علاقة بالأرض) لقد كنا بشر ، وكانت لنا تجاربنا. لذا لم يكن من الممكن أن نحارب الشيوعية من الخارج دون أن نحارب أنفسنا من الداخل أيضاً.

إن الدوافع الجنسية قوية للغاية ، وقد هزمت الكثير من المسيحيين ، غير أننا قد حاربنا حتى نخضع هذه الدوافع. لقد سقط البعض في الخطية ، غير أن هناك من نهضوا من الخطية إلى نقاوة أعظم من ذي قبل. كان يجب أن نكون أمناء في الأمور المادية أيضاً ، وكذلك أن ننجح في كافة الفضائل الأخرى. غير أن التقديس يشتمل على ما هو أكثر من ذلك. أنه يعنى أن نقبل في محبة أي صليب يمنحنا إياه الله. إنه يعنى أن نضع المسيح فوق كل ارتباط أرضى – حتى عائلتنا وأرواحنا.

نحن نرنم بسهولة كلمات الترنيمة : «فليذهب كل ما هو ثمين والأهل أيضاً وحتى حياتنا».

غير أنه كان يجب أن نفعل أكثر من مجرد أن نرنم ، كان يجب أن

نتخلى عن كل هذا ، وكان عندنا أمثلة حية لذلك.

حين كان الراهب الروسي أمفيلوشيا (Ampilochia) في السجن ، كان يلقى على جسده العاري مياه باردة في جو شديد البرودة إلى درجة التجمد. وراهب أخر يدعى جريجور (Gregor) قد عذب حتى الموت، لقد قطعوا أصابعه ، وسلخوا جلد ظهره على هيئة علامةٍ الصليب.وكذلك مقاريوس (Macarius) قد واجه مصيراً مماثلاً. لقد طلب إليه أن يتلوا بشهادة تدين راهبين آخرين حتى تستطيع الشرطة السرية أن تسجنهما. غير أن مقاريوس أجاب قائلاً : «يا أحبائي إنني لم أصبح راهباً حتى أصير خائناً ، بل لكي تصير حياتي كاملة من خلال الصلاة ، وأحاكى بهذا أسلافي في الإيمان».

لقد وعده ضابط الشرطة أن يعمل على تعيينه أسقفاً إذا ما تعاون معهم، وكان هذا شرفاً عظيماً (لقد كانت الحكومة الملحدة بالاتحاد السوفييتي هي التي تحدد القيادة في الكنيسة).

غير أنه أجاب قائلاً : أفضل أن أصبح شخصاً صغيراً. ومن أجل ثباته ضربوه حتى سالت الدماء من انفه وفمه وأذنيه ، ولكنه بقى على قيد الحياة.

ونحن ناظرين إلى أولئك الأبطال في الإيمان، كان يجب علينا أن نقدس أنفسنا، ونحتمل في محبة وفرح وتواضع الصلبان التي نحصل عليها. إن الملايين يتعرضون لخطر أنهم لا يدركون عظمة ورهبة يوم الرب العظيم. ترى ما هو الاستعداد اللازم لهذا اليوم؛ أنه ببساطة أن نكون مستعدين للتضحية.

في القرن التاسع عشر حين بدأت قصة إستعباد الهنود فى الهند الغربية في الانتشار وسمعت بها الكنيسة في مورافيا ، كان معروفاً أنه من المحال أن يصل الإنجيل إلى العبيد ، إذ كان سادة العبيد يمنعون عنهم التبشير. ذهب اثنان من المبشرين إلى الهند الغربية وعملوا في المزارع كعبيد تحت السياط. وكان لهذا العمل المضحى أثر كبير على العبيد جعلهم مستعدين لهذا اليوم العظيم.

هذه هي الروح التي تحرك إرساليتنا. لقد أثرنا عاصفة من الصلاة من أجل الدول الشيوعية، وأطلقنا عليهم مدافع الإنجيل.

إن انحلال الاتحاد السوفييتي ، وسقوط سور برلين يمثلان استجابة الله لهذه الصلوات. له كل المجد والكرامة.

* ٨٣ـ المتواضعون يمجدون المسيح

كتب الرسول بولس يقول : «**ولا طلبنا مجداً من الناس لا منكم ولا من غيركم مع أننا قادرون أن نكون في وقار كرسل المسيح**» (١ تس ٢ : ٦) .

يجب على الانسان المسيحي أن يكون متواضعاً في أموره الخاصة . إذا لطم على خده يحول الآخر أيضاً .

إن اللوحة الغنية لا تتشاجر مع الرسام ، فله مطلق الحرية في أن يرسم عليها متسول أو ملك . إن المسيحي يقبل بأي ظروف يسمح بها الله له ، فإذا نجح فهو لا يتفاخر بنجاحه . هل لفرشاه أن تتفاخر إذا ما استخدمت في رسم لوحة جميلة ؟ إن السيد والفنان هو وحده من يستحق المجد . وهكذا علاقتنا بالمسيح ، فالإنسان المسيحي لا يطلب مجداً من أحد .

تعطينا القديسة تريزا من (Lisieux) مثالاً لذلك في سردها لتاريخ حياتها ... ذات مرة كانت تقف بجوار أخت تقوم بغسل الملابس .فقذفت الأخت بمياه متسخة في وجه تريزا عن إهمال . وقفت تريزا في حيرة ، فإذا ما تركت المكان في تلك اللحظة دون أن تنبس بنبت شفة أو كلمة عتاب لتفكرت الأخرى أنها قد وقعت في خطأ جسيم وحزنت . وإذا ما قالت لها توقفي عن هذا كان يمكن أن ينشب خلاف بينهما . فقالت تريزا في نفسها : ماذا يعيبني إذا ما ألقى علي بالماء المتسخ ؟ إن الرب يسوع ، ابن الله ، قد عرض نفسه للبصق . وفيما هي تفكر هكذا ، بدأت تحب المياه المتسخة التي ألقيت عليها . وبالنسبة إليك أنت أيضاً ، هذا هو الرد المناسب حين تواجهك الإهانات في حياتك الشخصية .

كان المسيح متواضعاً ، وكذلك كان القديس بولس ، غير أن تواضعهما كانت له سمات خاصة تجعل الآخرين لا يفهمونه . لقد اضطر الرب يسوع أن يقول : «**لست أطلب مجد نفسي**» (يو ٨ : ٥) ، وكذلك «**لأني وديع ومتواضع القلب**» (متى ١١ : ٢٩) وبولس أيضاً كان يؤكد للجميع أنه لم يكن يطلب مجداً من أحد .

إن الشخص المتواضع في العادة لا يحتاج أن يتفاخر بتواضعه ، ولكن

فقط عندما يقوم بعمل يبدو وكأنه كبرياء، أو تعالى، يجب عليه حينئذ أن يفسر ما قام به.

لا تهتم إذا ما وضعت نفسك، واعتبرك الآخرون متعالٍ. إن المسيحي متواضع في أموره الخاصة، لكنه على يقين أنه يحمل رسالةً من الله. أنه يؤكد على هذا بسلطان كبير، وهو على أهبة الاستعداد أن يجادل إلى الدرجة التي يعتبر فيها ثقيل ومقلق، بل قد يعطى انطباعا أنه شخص يظن أنه يعرف أكثر من سائر الناس. هكذا كان الرسول بولس حين كتب يقول أنه لا يطلب مجداً من الناس؛ نحن أيضاً رسل، غير مستحقين في أنفسنا، لكننا نحمل رسالة ثمينة.

ذات يوم وصلتنا رسالة من شخص مسيحي أمريكي وكانت رسالة شيقة، قال:

«إنني أعتبر نفسي شخصا فقيرا مقارنة بالمنطقة التي أعيش فيها، وهذا لأن دخلي صغير، ولكنني محترم بين الجميع. بعض الناس يملكون أقل مما لي، ولكنني أملك ما يمكنني من مساعدة الفقراء، لذا فاعتبر إنساناً غنياً. إنني غنى أيضاً بالأطفال، إذ لي منهم أثنى عشر طفلاً.

حين قرأت كتاب ومبراند «العذاب الأحمر» قررت أن أفعل شيئاً من أجل الكنيسة المضطهدة. لذا فقد حصلت على نسخ أخرى من الكتاب ووضعتها في أماكن واضحة للعيان حتى يجدها الناس. وكتبت اسم ورقم الهاتف الخاص بي على كل نسخة حتى أن كل من تلمسه رسالة الكتاب يتصل بي حتى نصلى معاً. لقد تفكرت في داخلي : هل على أن أصلى فقط إذا ما شب حريق في منزلي؟ لن أصلى فحسب حتى ينطفئ الحريق، أو حتى يأتى رجال الإطفاء، سأصلى وأطلب رجال الإطفاء حتى يأتوا، وسوف أتى بطفاية الحريق الخاصة بي أيضاً. لذا فقد قررت أن أكتب كلمة حول هذا الموضوع، وأرسلها إلى الكنائس، وأطلب إلى الرعاة أن يدعوني لألقى لهم بهذه الكلمة.

سوف أخذ أيضاً سائر الكتب التي أصدرتموها بشأن الفظائع التي يتحملها المسيحيون في الأراضي الشيوعية إلى جميع دور الكتب المسيحية، وسأطلب إليها أن يعرضوها في مكان جيد.

إن اخوتي الذين يعيشون تحت الحكم الشيوعي يعرضون أنفسهم للسجن والموت من أجل توصيل الكلمة المكتوبة، فكم بالأحرى أنا، أليس من الواجب أن أعرض نفسي لبعض المضايقات البسيطة؟

إنني لم أنل من التعليم سوى قدر ضئيل، فقد حصلت على سنة واحدة من التعليم الثانوي، وأعمل في وظيفة شاقة، وقد كنت مدمناً للخمر، ولكن أحد الأخوة صلى من أجلي، والآن صرت ابنا لله. إنني أوصيكم بأن تتبعوا في حماس هذا الأخ في خدمة الرب وأن تسلكوا بالطرق العملية التي سلك بها، أيا كانت الخدمة التي يدعوكم إليها الرب.

الناس يعانون اليوم من الإهمال، فلا أحد يتحدث إليهم، فأحباءهم يفضلون أن يشاهدوا التليفزيون عن الحديث معهم. فلتقرع أبواب الأصدقاء والجيران، وتؤكد لهم أنك لا تبتغى أن تزعجهم وتقتحم خصوصيتهم، بل على العكس، أنت تبتغى أن تساعدهم في أن يتعلموا كيف تكون لهم شركة مع الله بأن تعطيهم أمثلة عن أولئك الذين قد نجحوا في هذه الشركة وهم تحت آلام حكم دكتاتوري دموي.

إن هذا البرنامج ليس خيالي ولا ينتمي إلى المدينة الفاضلة، وإنما نحن نفرح ونتهلل أن الشيوعية قد نالتها هزيمة ساحقة على أيدينا.

وقد توقع الشيوعيون أنفسهم ما أتى عليهم، فطبعت دار نشر شيوعية تدعى (Politicheskoye Izdatestvo) كتاباً عام ١٩٧٢ يدعي «تدمير بدون ديناميت» (Subversion without Dynamite) بقلم بيلوف وشيلكين (Belov and Shilkin). يظهر الكتاب صوراً للمطبوعات المسيحية التي تم تهريبها في سيارات، والأماكن الخفية لتهريبها، وكذلك الكتب المسيحية المخفية في غلاف قصصي، والمجلات المخبأة تحت سجاد القطارات القادمة من الغرب، والبالونات الطائرة التي كانت تلقى بنبذات مسيحية، الي آخر ذلك

لقد وصف السوفييت إرساليتنا ومثيلاتها بلفظ «مجموعة من المجرمين» وقد أطلقوا على كتبنا لفظ «ديناميت» وفى الواقع هم كانوا على حق.

* ٨٤.سر النجاح

قال يوسف في العهد القديم هوذا سبع سنين قادمة شبعاً عظيماً في كل أرض مصر (تك ٤١ : ٢٩) لماذا جاءت على مصر تلك البركات الخاصة؟ لماذا يأتي عليها شبع عظيم ويتم أيضاً تحذيرها بسنوات جوع عجاف تعقب سنوات الشبع ؟ هناك ثلاثة أسباب لذلك وهى أيضاً نفس سر نجاح أي إرسالية:

١ – إن فرعون الذي كان يحكم مصر في ذلك الوقت كان ملكاً حقيقياً. لقد كان يتصرف كملك ليس في صحوه فقط، بل إن عقله الباطن كان أيضاً ممتلئاً بالاهتمام بشئون رخاء شعبه حتى أن ذلك الاهتمام أصبح موضوع أحلامه أثناء الليل.

إن كل مسيحي حقيقي هو ملك. قال لوثر: «إن أى مسيحي يعتبر سيداً مطلقاً على الكل، ولا يحكمه أحد»، لكن المسيحي الحقيقي يملك بالحب. لذلك أضاف لوثر قائلا «أن المسيحي خادم للكل، ويخضع للجميع » إن المؤمن لا يحتاج لأن يجاهد لكى يربح النفوس – إن الأمر بالنسبة له ليس مجرد إلزام أن يضع مصلحة الكنيسة أولاً إذ أن إيمانه المسيحي قد أصبح متغلغلاً ومسيطراً تماماً على عقله الباطن. فإنه ببساطة رابح نفوس، وملكوت الله يعد أولوية في حياته. وعندما يخلد للنوم، وتختفى قوة الإرادة، حينئذ يمتد ملكوت الله في أحلامه. ومنذ اليوم الأول الذي جئت فيه للمسيح، كنت أحلم بأن أشهد عن المسيح إلى الناس في الاتحاد السوفييتى. إن مثل هذا الأحلام تتحقق دائماً.

٢ – إن فرعون صاحب الأحلام الطيبة قد تقابل مع شخص آخر صاحب أحلام، هو يوسف وقد اتحد به. بعد أن قضيت سنوات في السجون الشيوعية أحلم بإرسالية تصل إلى كل العالم الشيوعي، وحين انتقلت إلى الغرب، تقابلت مع قساوسة ومؤمنين ممن لهم نفس الحلم الذي لي، ولكنهم

لا يعرفون كيف يحققونه. وقد استطعنا أن نتحد معاً في تحقيق ذلك الحلم.

٣- لم يكن فرعون شخصاً متحيزاً عن الإطلاق. لقد نصحه البعض بأن يستدعي قدامه شخصاً أجنبياً عن بلاده، ولون جلده مختلف عن لون جلد شعبه، وقد يبدو بالنسبة لفرعون أنه رجل له ديانة غريبة، فهو لا يعبد سوى إلهاً واحداً لا يراه أحد. كما أنه أيضاً سجين له سمعة سيئة. وقد أُلقى به في السجن بتهمة التهجم على امرأة بهدف اغتصابها.

ولكن هذا الفرعون كان يحسب كل إنسان في المقام الأول إنساناً. فكل إنسان يمكنه تحقيق الخير للبلاد. هؤلاء الذين ارتكبوا بالأمس أخطاء سيئة جداً، يمكنهم اليوم أن يصبحوا أناساً رائعين. وأيضاً، من يعلم فربما تكون التهم التي وجهت ليوسف غير حقيقية ؟ فإن هؤلاء الذين يمتلكون العبيد عادة كانوا يسجنون عبيدهم دون محاكمة عادلة، مثلما فعل فوطيفار مع يوسف.

ونحن أيضاً كان لنا الإصرار على التمسك باتجاه خالٍ من التحزب. هل يعتبر الشيوعي شخص يقوم بعملية التعذيب ؟ لقد قام القديس بولس بتعذيب المسيحيين. إن من يقوم بالتعذيب اليوم من الممكن أن يكون رسول المستقبل. فإنه ليس بداخلنا أى تحامل ضده. إننا فقط نحبه ونحاول أن نربحه للمسيح.

هل هناك من قام بخيانة للكنيسة السرية، أو هناك قائد كنيسة في الغرب ساوم مع الشيوعيين ؟ نحن نعلم إن كل إنسان معرض لأن ينخدع قلبه بسهولة. إننا نحبه ونحاول أن نربحه للاتجاه الصحيح.

إن الشيوعية أرادت أن تسود على كل الأجناس بجميع ألوانها الأبيض، والأسود، والأصفر. إن أحد نذر الموت والشيوعية أن كلاهما يبغي الناس من جميع الأجناس، فهي تريد أن تصل للبشر من كل الشعوب. لكن

هكذا يفعل الحب، المحبة قوية كالموت (نش ٨: ٦). يمكننا أن نحب هؤلاء الذين ينتمون لحزب اليمين أو اليسار، نحب الأصوليين أو أتباع المذهب الحديث، وكل من هم غير تابعين لأى شئ. نستطيع أن نحب الخمير الحمر (Khmer Rouge) وسكان كوريا الشمالية، كما نحب أيضاً الذين يقاومونهم. نحن لا نحمل في قلوبنا أى تحزب ضد أى شخص. فنحن نعنى ما نقول حين نرنم «توجوا يسوع ملكاً على الكل».

إن توفر تلك الشروط قد حقق لمصر رخاء في أيام القحط وإمداداً للمصريين ولجيرانهم. وبسبب توفر تلك الشروط أيضاً في إرساليتنا قد حققنا إنتصارات عظيمة، عقبتها إنتصارات أعظم.

لقد قدمت لك أمثلة باسلة لرجال ونساء يعملون في إرساليتنا، بجانب أبطال في الإيمان يعيشون تحت آلام كثيرة. عليك أنت أيضاً أن تتمثل بهم بأن تعيش حياة تحقق أهداف الملكوت، وأن تجعل الرب «**يبتهج بك فرحاً**» **(صف ٣: ١٧)**

جيد أن نرى المسيح فى حياة قديسيه،
هذا الكتاب
مليئ بالقصص التى تعبر عن المحبة القلبية العميقة
لله مهما كان الثمن